الأدب القطري الحديث

محمد عبد الرحيم كافود


مصمم الغلاف يوسف أحمـد



محمد عبد الرحيم كافود

الطبعة الأولى

١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م

« اهـــــــداء »

الى شباب قطر وبناة مجدها وعماد نهضتهـا الى الذين يبذلون الجهد ويسهرون الليل فى سبيل عزة وطنهم ..

اهدى هذه الدراسة المتواضعة لتكون لبنة من اللبنـــات التى وضعوها أو سوف يضعونها لبناء صرح بلدنا العزيز .

مقـــــدمة

بقلم الدكتور / ماهر حسن فهمى

منذ الحرب العالمية الأولى يحاول الجناح الشرقى للأمة العربية ممثلا فى منطقة الخليج ان يواكب الحركة الفكرية العربية · وقد كان العراق على وجه الخصوص مؤثرا فى المنطقة من الناحية الفكرية لانه الدولة العربيـــــة الخليجية الكبيرة ، ولذلك كانت النهضـــــة تتجه من الشـــــمال الى الجنوب ·

وكما بدأت النهضة فى قلب الأمة العربية بدأت فى الجناح الأيمن ، كأنها تسير على منوالها وتتبع خطـاها ، او كانت النهضة واحدة فى العصر الحديث لم يكن من الممكن تجاوز حقيقتها وان كان من الممكن اختصار ازمانها وقطع الشـوط فى مدى أقصر ، فما اتمه قلب الأمة فى قرن ونصف يمكن ان يتمه جناحها الخفاق فى نصف قرن تقريبا · تمثلت عوامل النهضة فى انشاء المدارس وارسال البعثات وظهور المطبعة وانشاء الدوريات ووسائل الأعلام المختلفة · ولكن ظهـور النفط كان انقلابا أشبه بالانقلاب الصناعى الذى حدث فى أوربا منذ قرنين تقريبا ·

وعندما نتحدث عن الأدب نربط بينـــه وبين الحيـــــاة الاجتماعية باعتباره ظاهرة اجتماعية فهو الصـورة الفنية الصادقة للانسان العربى ·ويرى العلماء ان حوافز النهوض انما يثيرها التصادم بحضارة قوية غازية ، فهنـــا تعـود المشاعر الى الأصول القديمة لتجد فيها حقيقتها التى تحميها من الفناء فى القوى الغازية فتنشأ حركة الاحياء ·

وهكذا كان الشأن فى منطقة الخليج ، فقد كان الاحتلال يهتم دائما بنقاط ارتكاز ساحلية لتأمين الملاحة ولكنه عندما بدأ يأخذ طريقه الى الداخل فى فترة ما بين الحـربين حين شم رائحة النفط وتوقع تدفقه وقدر خطورته ، بدا الصـدام

الحضارى وبدأت حركة الاحياء ومن هنا كانت محاولة الخليفى فى قطر لاختيار مجموعة من الشعر العربى فى عصر الصحة والسلامة فى كتابه « بستان الأكياس والأخيار من الناس » وكانت محاولة ابن درهم أيضا فى مختاراته « نزهة الابصار بطرائف الأخبار والأشعار » ٠ كما كانت محاولات احمد يوسف الجابر وعبد الرحمن المعاوده وابن درهم وغيرهم ممن تتبعوا الاتجاه المحافظ بخصائصه التى تتمثل فى عمود الشعر كما حدده المرزوقى فى شرحه لديوان الحماسة ٠ وكانت محاولات غيرهم فى بقية بلدان الخليج العربى لأن من الصعب الحديث عن جزء من كل ينبض عن قلب واحد ، دون الاشارة من حين الى حين كلما اضطر الموقف الباحث الى النظرة الشمولية ٠

وقد استطاع ابناء الخليج ان يقوموا بتعبيد الطريق ، فدرست عواطف الصباح الشعر الكويتى الحديث ودرس علوى الهاشمى الشعر المعاصر فى البحرين ودرس محمد عبد الرحيم قافود « الأدب القطرى الحديث » ومن قبل قامت دراسات أخرى تناولت جوانب من الحياة الأدبية فى الخليج يجدها الباحث فى مراجع هذا البحث ٠ وعلى الرغم من ذلك فهناك عقبتان تعترضان كل باحثيحاول ان يقترب من الحياة الأدبية فى الخليج ٠ اما الأولى فهى جمع المادة ، وأكثر هذه المادة الأدبية بحاجة الى تنقيب طويل عند الأدباء أحيانا وفى صفحات الدوريات القديمة أحيانا أخرى أى انها بحاجة الى عملية جمع فهى غير ميسرة أمام الباحثين ومن هنا كانت لقاءات الباحث محمد عبد الرحيم قافود لبعض الأدباء وكان اعتماده على ما لم ينشر فى بعض الأحيان ٠ واما العقبة الثانية فهى وعورة الطريق بمعنى ان الباحث لا يجد أمامه هاديا يهديه ، وقد يفكر فى الاستعانة ببعض الدراسات التى سبقته فدرست الحياة الأدبية فى بيئة عربية أخرى ، ولكن هذا الاعتماد قد يأتى بنتيجة عكسية ، لأن التفسيرات قد تكون مضللة ما لم يكن حذرا ، وهكذا يجد الباحث نفسه فى

النهاية أمام أرض خلاء عليه ان يختط فيها طريقه بنفسه ٠ ولكن محمد قافود استطاع ان يجتاز هاتين العقبتين وكان له من عزيمته خير عون ، وكان له من وعيه ما مكنه من الحكم الصائب فى كثير من الأحيان،ومن مثابرته ما يلمسه القارىء فى جمع المادة وتصنيفها وموازنتها وتفسيرها تفسيرا علميا ٠

وقد لاحظ الباحث بعض الظواهر ورصدها ، مثل تغير اتجاه الشعر من المديح والرثاء والفخر وهذه الأغراض التقليدية الى الاتجاه نحو ذات الشاعر والتعبير عن خلجاتها ٠ وهذا حق ، واذا لم تكن الظاهرة شديدة الوضوح فى الشعر القطرى فهى أكثر وضوحا فى البيئات الخليجية الشمالية لأن التطور بدا من الشمال الى الجنوب وان كان الجنوب قد اسرع الخطى بحيث أصبحت حركة التطور اليوم تسير بخطوات متقاربة ٠ وهذا الاتجاه نحو الذات قد تفرع الى فرعين فرع لم يستطع ان يتأقلم مع هذا التغير الاجتماعى والاقتصادى والتبدل السريع فى العادات والتقاليد وآخر يحاول ان يتكيف مع الواقع الجديد ٠

ولم يتوقف الباحث عند فن العرب الأول وهو الشعر العربى الفصيح ، ولكنه عرض للشعر النبطى باعتباره كان الفن الغالب على البيئة فى مرحلة من المراحل ، ولا يستطيع ان يدرك هذا حق الادراك سوى من عاش فى البادية ووجد هذا اللون هو السائد ٠ وتقوم الآن محاولات بعض الباحثين لتقعيد هذه العاميات وربطها باللغة العربية الفصحى باعتبار هذه العاميات ترجع الى بعض اللهجات العربية القديمة ، ولكنها لم تستطع ان تربط بين عروض الخليل بن احمد وبين انغام هذا الشعر النبطى ٠

كما لم يتوقف الباحث عند الشعر وحده ولكنه عرض للحياة الأدبية بصورة عامة فتناول الرسائل الديوانية باعتبارها ممثلة للنثر الفنى فى مرحلة تخلفه ولكنه لم يعرض

للرسائل الاخوانية وهى بالتأكيد موجودة · وعندما يتطور النثر الفنى فى بيئة من البيئات المعاصرة لا يجد البـــــاحث نفسه بحاجة الى دراسة الرسائل بنوعيها ·

وتناول الباحثأيضا فن المقالة ونشأتها مرتبطة بالصحافة وأنواعها ولاحظ تطور أسلوبها وتخلصـــه من الغريب الذى كان يظهر فى بعض المقالات ، والألفــاظ العامية التى كانت تظهر فى مقالات أخرى نتيجة الضعف الثقـافى ، ثم تخلص المقالة من السجع ، وكأنها تتبع تطور المقالة فى البيئات التى سبقتها عندما كان ينادى الشدياق « السجع للمؤلف كالرجل من الخشب للماشى ، فينبغى لى الا اتوكأ عليه » ·ومن المؤكد ان لغة المقالة الصحفية اليوم أقرب الى لغة الحديث للمثقف العربى ، وقد أثرت الصحافة فى فنون القول كلها ·

كذلك تنـــاول القصـــة القصيرة والأدب المسرحى وهى محاولات ما زالت فى بدايتها ، ولكن رصدها اليوم يذكرنا غدا بالخطوات التى سرناها ،كما يلفت نظر النقاد والباحثين اليها ، والباحث نفسه عرض لها عرضا نقديا بعد دراســة الأسس الفنيـــــة لكلا اللونين ، ولم يكن يستطيع ان يقوم بموازنات تعمق الدراسة لأن المحاولات لم تتطور ولم تصل الى النضج الفنى الذى يسمح بالمـــوازنة ، ويكفى فى هذه المرحلة ان يتحدث عن نشأة أهم الفنون النثرية وان يحــاول تحليلها ·

والحقيقة ان الباحث قد أحاط بموضوعه احاطة شــاملة وعرض قضاياه رابطا بينها مفسرا لها ولا ينبغى ان ننسى حين نبنى القصور أولئك الذين قطعوا الصـــخور ومهدوا الطريق كما كان يقول « المازنى » ومهما اختلفنا مع الباحث فى مدلول الشعر العذرى حين يراه الشـــعر الذى يصف المحبوبة وصفا حسيا دون تبذل ونراه الشعر العفيف الذى يصف العواطف فى سمو روحى بعيـــد عن الجســد ، أو

اختلفنا معه فى مفهوم التجديد أحيانا ، فمما لا شك فيه ان هذا البحث قد سد فراغا فى المكتبة العربية كنا بحاجة الى من يقوم به ، والأمر بعد ذلك وجهات نظر ، أليس البحث فى النهاية وجهة نظر ؟

ا ٠ د / ماهر حسن فهمى
عميد كلية الدراسات الانسانية
جامعة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

في ظل النهضة الحديثة لدول الخليج العربي أخذ بعض أبناء هذه البلاد يفكر في دراسة أدبها ، ورصد ظواهره ، وتسجيل نماذجه ، وتحديد مسيرته ، تمشيا مع النهضة الحضارية في مختلف مجالات الحياة المادية والعلمية والأدبية ٠

وبقيت قطر التي أخذت بحظ من هذه النهضة في مختلف هذه المجالات ، دون أن يلتفت أحد من الباحثين أو الدارسين الى أدب هذا القطر على نحو ما التفت أبناء دول الخليج الأخرى الى آدابهم ٠ هذا اذا استثنينا تلك الاشارة العابرة التي سجلها الأستاذ عبد الله الطائي في كتابه : « الأدب المعاصر في الخليج العربي » ، حيث عرض في سطور قليلة لبعض شعراء قطر ٠

من هنا رأيت من الوفاء لبلدي هذه ، ولوطني الأكبر أن أنهض بهذا العبء ، وأن أتتبع حالة الأدب القطري في العصر الحديث ومدى ما وصل اليه ، بالنسبة للأدب العربي عامة في سائر الأقطار العربية ٠

وهو عبء شاق مضن ، يتطلب الكثير من العناء والجهد، والصبر لانجاز هذه المهمة ٠ لأن معظم هذا الأدب موزع بين الصحف والمجلات ، بل ان كثيرا من الأشعار احتفظ بها أصحابها فلم ينشروها في صحيفة ولم يسجلوها في ديوان٠

ولهذا كان على من يتصدى لذلك أن يتتبع كل الصحف والمجلات ويفتش في جميع الكتب والدواوين ، التي تتصل بالأدب القطري ، ويلتقي بكل ممن لهم صلة بالأدب والثقافة في البلاد ٠

وهذا ما وفقنى الله اليه بقدر ما وسعنى الجهد والصبر ٠

وقد بدأت الفترة الزمنية لهذا البحث منذ مطلع القرن التاسع عشر الى وقتنا الحاضر ، ونظرا للتغير الاقتصادى الذى شهدته البلاد فى منتصف القرن الحالى ، وما صحب ذلك من تغير اجتماعى وثقافى وفكرى كبير شهدته البلاد فى هذه الفترة ٠ فقد ارتأيت تقسيم الحياة الفكرية والأدبية الى مرحلتين مرحلة ما قبل النفط وتمتد منذ مطلع القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن الحالى ، والمرحلة الثانية : وتبدأ منذ نهاية المرحلة الأولى وحتى وقتنا الحاضر ٠

وقد جاءت هذه الخطة متمشية مع التطور الفكرى والأدبى الذى شهدته البلاد ، تبعا للتطور الاقتصادى والاجتماعى ٠

وقسمت هذه الدراسة الى أربعة أبواب :

ففى الباب الأول :

تحدثت فيه عن الحياة العامة فى قطر ٠ وقد خصصت الفصل الأول لاعطاء نبذة عن قطر جغرافيا وتاريخيا ، وقد عرضت بشىء من الايجاز لتاريخ قطر ومكانتها عبر العصور، لأسباب تتعلق بالحياة الثقافية والفكرية ٠ كما هو واضح فى سير الدراسة ٠

أما الفصل الثانى : فقد خصصته للحياة الاقتصادية ، والاجتماعية ، وأوضحت ما تركه ذلك التغير الاقتصادى الكبير بعد اكتشاف النفط من أثر فى الحياة الاجتماعية ، والثقافية ، والأدبية ٠

أما الفصل الثالث : فقد خصصته للحياة الثقافية وقمت بدراسة النشاط الثقافى والفكرى وما شهده من جمود وركود ، أو ما شهده من تطور ونشاط عبر المرحلتين ، معللا لكل هذه الظواهر والأسباب ٠

وفى الفصل الرابع : قمت بدراسة الحياة الأدبيـــة عبر المرحلتين وأشرت الى ما شـــهدته المرحلة الأولى من ركود وجمود فكرى وأدبى • ثم ما تشهده المرحلة الثانية من نشاط ملموس ، ولكنه لا يتمشى مع التطور المادى الذى تشـــهده البلاد وقد وقفت فى هذا الفصل معللا ومحللا لكل الأسباب والظواهر التى أحاطت بالحياة الأدبية •

أما الباب الثانى :

فخاص بدراسة النثر الفنى ، وخصصت الفصـل الأول منه لدراســـة النثر فى المرحلة الأولى ، وأوضحت أن هذه المرحلة لم تعرف شيئا من النثر بمعناه الفنى الدقيق • وقد ذكرت نماذج من الرسائل المتبادلة بين حكام قطر وغيرهم من الحكام كنماذج للرسائل الديوانية ، وهى رسائل تتسم بالبساطة وركاكة الأسلوب وكثرة الأخطاء ، وهى تعبر عن حالة النثر فى تلك المرحلة الى جانب الاستشهاد بنصـوص من مقدمات بعض الكتب التى ألفت فى هذه الفترة •

وفى الفصل الثـــانى : تتبعت حالة النثر فى المـــرحلة الثانية ، وهذه المرحلة قد ظهر فيها النثر الحديث بكل صوره من مقالة ، وقصة ، ومسرحيـــــة ، الا أنه لا زال فى بداية الطريق وقد ذكرت نماذج من هذه الأنواع شـارحا ومحللا ومقوما لها •

أما الباب الثالث :

فهو دراسة للشعر القطرى الحديث ، ففى الفصل الأول منه قمت بدراسة الشعر فى المرحلة الأولى متنـــــاولا أهم الأغراض التى تناولها الشعر فى هذه المرحلة محللا وشارحا ومقوما ، لهذه النماذج من حيث الشــكل والمضمون وصلة هذه الأشعار بالمجتمع وقيمتها الفنية •

وفى الفصل الثانى : تحدثت عن الشـــعر فى المـــرحلة

الثانية ، وأوضحت أن هذه المرحلة قد شهدت تطورا ملحوظا فيما يتصل بالشعر ، ولذلك ظهر هناك اتجاهان فى الشعر القطرى الحديث : اتجاه تقليدى محـــافظ وأطلقت عليـــه المدرسة الكلاسيكية الجديدة حيث امتاز شعراء هذه المدرسة عن المرحلة السابقة بالتجديد فى الموضوعات والمضامين ٠

أما الاتجاه الثانى : فقد أطلقت عليه الحـركة التجديدية وهو يمثل نتاج الشباب من هذا الجيل ، وهو نتاج لا زال فى طور النمو وبداية الطريق ٠

ـ ولذلك كانت دراستنا له دراسة تأريخية ورصد أكثر من كونها نقدا وتقويما ، وذلك راجع لأسباب علمية ذكرناها فى موضعها ـ وقد ظهر عند هذا الاتجـــــاه تجديد فى الشكل والمضمون والموضوعات ٠

أما الفصل الثـــالث : فقد خصصته لدراســـــة الشعر (النبطى) دراســـــة موجزة عارضــــا لأهم رواده وأهم موضوعاتهم وصلة هذه الأشعار بالبيئة والمجتمع ٠

أما الباب الرابع :

فقد خصصته لدراسة أشهر شعراء المرحلتين دراســـــة وافية تكشف عن شخصية كل شـــــاعر واتجاهاته وفنون شعره وخصائصه ، وقيمته الفنية مع النماذج والشواهد ٠

وبعد فهذا البحث يعد بكل تواضع صـــورة شبه كاملة ليس للأدب القطرى الحديث فحسب وانما هو كذلك صــورة للحياة الثقافية والفكرية فى قطر الحديثة ٠

ومع ذلك لا أدعى الاحاطة والكمال فيه ، وانما حسبى به أنه اللبنة الأولى للأساس الذى سوف يكمله شـــباب قطر وبناة مجدها فى المستقبل باذن الله ٠

واذا كان لابد للفضـــــل أن يذكر لذويه ، فانني أرى من واجبى أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير الى أستاذى الجليل الذكتور حسن جاد حسن « عميـد كلية اللغـــة العربية » والمشرف على هذا البحث ، لما بذله من جهد ، وما أسداه الى من توجيهاته وارشاداته التى كان لها الفضل فى خروج هذا البحث على الصورة التى ظهر بها ٠

كما لا يفوتنى أن أشـــكر كلا ممن قدموا لى العـــــون والمساعدة فى هذا البحث وأخص منهم الدكتور ماهر حسن فهمى « عميد كلية الآداب بجامعة قطر » والزميل محمد حمد النصر « مدير دار الكتب القطرية » ٠

والله ولى التوفيق

(محمد عبد الرحيم قافود)

البـــاب الأول

« الحياة العامة فى قطر »

الفصـــل الأول :

قطر تاريخيا وجغرافيا

الفصـــل الثانى :

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

الفصـــل الثالث :

الحيـــــاة الثقـــافية

الفصـــل الرابع :

الحيـــــاة الأدبيـــــة

الفصـــل الأول
قطر جغرافيا وتاريخيـا

قطر جغرافيا :

تقع شبه جزيرة قطر فى منتصف الساحل الغربى للخليج العربى تقريبا وعلى وجه التقـــريب بين خطى العـــرض ٣٠ـ٢٤ ٥٢ و ٣٤ـ٢٦ ٥٢ شـــــمالا وبين خطى الطـــــول ٤٥ـ٥٠ ٥٥ و ٤٠ـ٥١ ٥٥ شرقى جرينتش ٠

وتقدر مساحتها بحوالى (١١٤٠٠) كم٢ ٠ ويبلغ أقصى طولها من الجنوب الى الشمال (١٦٠) كم وعرضـــها من الشرق الى الغرب (٨٠) كم ٠ وهى عبارة عن شبه جزيرة تمتد كالكف فى مياه الخليج العربى فتحدها الميـــاه من الشرق والشمال والغرب ، أما من الجنـــوب فتشترك فى حدودها مع المملكة العربية السعودية وامارة أبى ظبى ٠

وسطحها مستو تتخلله بعض الكثبان الرملية والتـلال ، وتكسوها الحجارة والصخور غير الوعرة ٠

ومن حيث المناخ فان الطابع الصحراوى هو الغـــالب عليها حيث ترتفع درجة الحرارة الى حوالى ٤٥ درجة مئوية فى فصل الصيف وهو أطول الفصول حيث يبدأ من شـــهر مايو ويستمر حتى نهاية سبتمبر كما أنه يلاحظ ارتفـــاع شديد فى الرطوبة ٠

أما فصـــل الشـــتاء فقصير ويميل الى الدفء مع قلة الأمطار (١) ، وعندما تسقط الأمطار تمتلىء بعض الرياض المتناثرة فى شبه الجزيرة بالمياه ، فتنمو بعض الأعشـــاب الموسمية التى تكون صالحة للرعى والتى يعتمد عليها سكان

---

(١) جوانب من جغرافية قطر ، د ٠ صلاح بحيرى ، مضيوف القرا. ص ٥١ ٠

البادية فى رعى مواشيهم وخاصة على السـاحل الغربى للبـلاد ٠

السـكان :

ويبلغ عدد سكان قطر حوالى ١٩٠ ألف نسـمة وهو رقم تقريبى لسنة ١٩٧٤م (٢) ٠

ومن المرجح أن التعداد قد تجـاوز هذا الرقم بكثير فى الوقت الحاضر ، ويعمل معظم هؤلاء السـكان فى الوقت الحاضر فى الشركات البترولية والمؤسسـات الحكومية ، والتجارة أما عمليـة الغوص فتكاد تكون قد انطمست من حياة السكان على خلاف صيد السمك الذى أولى اهتمـاما خاصا فى الوقت الحاضر ، باعتبـاره مادة اسـتهلاكية لا يمكن الاستغناء عنها ٠

وسوف نتحدث عن ذلك بتفصيل أكثر عندما نعرض للحياة الاقتصادية ٠

أهم المدن :

الدوحة :

وهى العاصمة ويقطنها أكثر من نصف السكان ، وتقع على الساحل الشرقى لشـبه جزيرة قطر ، وتكاد تستقطب معظم المنشآت الحكومية والمؤسسات والشركات وقد انشىء بها ميناء كبير يصلح لرسو السفن ذات الغـاطس الكبير ويعتبر الميناء الرئيسى للبلاد خاصة بالنسبة للواردات وقد تعرضت هذه المدينـة للتدمير مرتين فى الماضى وذلك بسبب

---

(٢) المصدر السابق ص ٨٦ ٠

الحروب القبلية والاقليميـــــة التى كانت تدور بين امارات الخليج العربى فى ذلك الوقت (٣) ٠

ونتيجة لاتساع المدينة المستمر باعتبـــارها مركز جذب وصلت المدينة الى الضواحى المحيطة بها كالريان ومدينـــة خليفة اللتان تقعان الى الشمال والغرب من الدوحة ٠

دخان :

وهى مدينة حديثة انشئت بعد اكتشاف النفط على الساحل الغربى لقطر وتضم بعض المنشآت الخاصـــة بشركة النفط (شركة نفط قطر) صاحبة الامتياز فى تلك المنطقة ، كما أنه انشئت فى تلك المدينة بعض المساكن الخاصـــــة بموظفى الشركة ودار للسينما وناد للموظفين ٠

ومن تلك المدينة التى تقع على الساحل الغربى لقطر يتم استخراج النفط وضخه عبر الأنابيب الى مدينة (أم سعيد) على الساحل الشرقى ليتم تصديره ٠ حيث أن الســـــواحل الغربية لقطر ضحلة ولا تصلح لمرور السفن الكبيرة بها ٠

أم سعيد :

وهى مدينة حديثة أيضا انشئت بعد تدفق النفط فى قطر كميناء للتصدير على الساحل الشرقى ، وبها مصفاة للبترول كما أنه أصبحت فى الوقت الحاضر قاعدة صناعية فى قطر حيث انشأوا بها مصنعا للغاز ـومصنعا للأسمدة الكيماوية، ومصنع الحديد والصلب ٠

الزبارة :

وهى قرية صغيرة (فى الوقت الحاضر) تقع على الساحل الغربى فى جنوب العريش وقد كانت فى الماضى مدينـــــة

---

(٣) التطور السياسى لقطر من ١٨٦٨ ــ ١٩١٦ م ص ٣٩ ، عبد العزيز المنصور وانظر دليل الخليج ج٠ج لوريمر ص ١٢١٥ جـ٣ القسم التاريخى ٠

مزدهرة اقتصاديا فكانت تتمتع بميناء حر للتجارة وخاصة تجارة اللؤلؤ ، وكانت هذه المدينة محصنة تحصينا منيعا حيث كانت تحيط بها حوالى ١٢ قلعة على شكل دائرى لحراستها كما كان يقصدها العلماء والطلاب للانتساب الى مدارسها (٤) .

وتبعد عن مدينة (الدوحة) ١١٣ كيلو مترا يربطهما طريق معبد ، وقد تعرضت هذه المدينة لعدة حروب وهجمات معادية فى ابان ازدهارها (٥) .

الوكرة :

وهى مدينة قديمة تقع على الساحل الشرقى لقطر بين مدينة الدوحة وأم سعيد ، وكانت مركزا لتجارة اللؤلؤ وصيد الأسماك وقد تعرضت هى الأخرى للتدمير فيما عرف بخراب الدوحة الثانى عندما هوجمت من قبل البحرين وأبى ظبى عام ١٨٦٧ م (٦) .

---

(٤) قطر ماضيها وحاضرها ص ١١١ ، مصطفى مراد الدباغ .

(٥) يعود تاريخ ازدهار الزبارة وبروزها سياسيا واقتصاديا الى ما بين ١٧٦٦ـ ١٨٨١ م فقد نزل بها آل خليفة بعد هجرتهم من الكويت على اثر خلاف نشأ بينهم وبين آل الصباح فتركوا الكويت ونزلوا فى الزبارة ١٧٦٦ م وكان حكام قطر آنذاك آل مسلم أصهار بنى خالد وخضع آل خليفة فى بداية عهدهم لسلطة آل مسلم ولما قويت شوكتهم وازدهرت مدينتهم تمردوا على آل مسلم واستقلوا بالزبارة (قطر ماضيها وحاضرها ص ١١١ ، مصطفى الدباغ) ، وقد زاد فى ازدهار هذه المدينة هجرة الكثيرين اليها من البصرة وغيرها بعد استيلاء الفرس على البصرة (نفسه ص ١١٢) .

وقد تعرضت الزبارة كذلك لهجوم مسلح من قبل الفرس حين قام حاكم (أبو شهر) الشيخ ناصر الذى هاجم الزبارة بعد أن رأوا أن موانيهم التجارية بدأت تتأثر بسبب ازدهار الزبارة فقاموا بهجومهم على قطر ١٧٨٣ م ولكن هذه القوات الغازية منيت بالفشل (التطور السياسى لقطر ١٨٦٨ ـ ١٩١٦ م ص ٣٥ ، عبد العزيز المنصور) ، كما هاجمها سلطان مسقط عام ١٨١١ م وأحرقها بعد نهبها وهجرها الكثير من سكانها (نفسه ص ٣٦) .

وظل آل خليفة فى الزبارة حتى فتح البحرين ١٧٨٣ م وبعدها نقلوا مقر حكمهم الى البحرين وان ظلوا فترة طويلة يطالبون بمدينة الزبارة التى هى من ممتلكات قطر ومن ضمن أراضيها .

(٦) دليل الخليج ـ القسم التاريخى جـ ٣ ص ١٢١٤ ج٠ج٠ لوريمر .

وهناك العديد من المدن والقرى المتناثرة على خارطة قطر وليست بذات أهمية كبرى بالنسبة لموضوعنا ٠ كما أن هناك العديد من الجزر التابعة لشبه الجزيرة القطرية ومن أهم هذه الجزر :

جزيرة (حالول) وتقع على الساحل الشرقى وهى مقر لبعض الأعمال والمؤسسات التابعة لشركة (شل لقطر المحدودة) وبها يتم تخزين الزيت الذى يتم استخراجه من الآبار البحرية استعدادا لشحنه للخارج ٠

وجزيرة (السافلية) وتقع الى الشمال من مدينة الدوحة وهى أقرب الجزر اليها ، والعالية وتقع الى الشمال الشرقى من الأولى ٠

وعلى الساحل الغربى تقع جزيرة (حوار) وهى عبارة عن مجموعة من الجزر ويمكن الوصول الى هذه الجزر فى حالة (الجزر) سيرا على الأقدام ٠

وجزيرة حوار كما يذكر (مصطفى الدباغ) فتحها زياد بن عمر بن المنذر وقال فيها عمارة بن عقيل الشاعر :

وأسأل حوار غداة قتل محلم
فلنخبرنك ان سألت حوار
عن عامر وبنى جذيمة اذ هوى
للحين حد جذيمة العشار (٧)

كما أن هناك بعض الجزر الصغيرة وغير مأهوله كجزيرة (ركن) و (البشيرية) وغيرها ٠

---

(٧) قطر ماضيها وحاضرها ـ مصطفى الدباغ ـ ص ٣٢ ٠

قطر تاريخيـــا :

_ ١ _

من المعروف لدى المؤرخين قديما أن المنطقة التى تمتد من البصرة شمالا وحتى عمان جنوبا كان يطلق عليهــا اسم البحرين ، وحينا يحصرون هذا الاسم بالقسم الشمالى من ساحل الخليج الغربى ، ويسمون القسم الجنوبى الممتد من قطر حتى سير عمان باسم الخط ٠

يقول ياقوت الحموى عنه : « وهو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان ، قيل : هى قصـــبة هجر ، وقيل هجر قصــــبة البحـــرين وقد عدها قوم من اليمن » (٨) ٠

ومما يقوله المؤرخ ياقوت الحموى أيضا : « قطر : موضع فى جوانب البطائح بين البصرة وواسط عرف بهذه النسبة محمد بن الحكم القطرى ٠٠٠ » (٩) ٠

وقد اشتهرت قطر قديما بنسج البرود والثياب حتى عرف هذا النوع من النسيج باسم قطر ونسب اليها ٠

قال البكراوى : « البرود القطرية حمر لها أعلام فيهـــا بعض الخشونة ، وقال خالد بن جنبـــة : هى حلل تعمل فى مكان لا أدرى أين هو ، وهى جياد وقد رأيتها وهى حمر تأتى من قبل البحرين » (١٠) ٠
وقال أبو عبيد : القطر نوع من البرود ، وأنشد :

كساك الحنظلى كساء صـــوف
وقطر يا فأنت به تفيـــد (١١)

---

(٨) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٤٧ ، ياقوت الحموى ٠
(٩) نفسه ج ١٦ ص ٣٧٣ ٠
(١٠) المصدر السابق ٠
(١١) المصدر السابق ٠

وقال أبو منصـــــور : « فى اعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لها قطر واحسب الثيـاب القطرية تنسب اليها » (١٢) ٠

وقد جاء اسم قطر فى قصيدة للشاعر الأموى جرير :

خليلى لولا أن تظنا بى الهوى
لقلت سمعنا من سكينة داعيـا
قفا واسمعا صوت المنادى فانه
قريب ، وما دانيت بالود دانيا
ألا طرقت اسماء ، لا حين مطرق
أحم عمانيـــــا واشعث ماضيا
لدى قطريات اذا ما تغـــــولت
بها البيد غاولن الحزوم الفيافيا (١٣)

وقد اشتهرت قطر فى الماضى كذلك بكونها سوقا للنعـائم حيث كانوا يصطادونه من رمال يبرين ويأتون لبيعـــــه فى أسواق قطر ، يقول الراعى : توفى سنة (٩٠هـ) :

الأوب أوب نعــــائم قطـــرية
والآل آل نحـــائس حقب (١٤)

كما أن بعض الرماح التى كان يؤتى بها من قبل الهنـد وتقوم وتدخل عليها بعض التحسينات فى قطر ومن ثم سميت بالخطية نسبة الى ميناء قطر كما يذكر (١٥) ٠

وممن ينسبون الى قطر من الشعراء الشـــاعر الجاهلى (المثقب العبدى) وقد ورد اسم قطر فى بعض أشعاره منها :

---

(١٢) المصدر السابق ج ١٦ ص ٣٧٣ ٠

(١٣) نفسه ٠

(١٤) نفسه ٠

(١٥) قطر ماضيها وحاضرها ـ مصطفى الدباغ ص ١٤١ ٠

كل يوم كان عنـــــــا جللا
غير يوم الحنو فى جنبى (قطر)
ضربت دوسر فينـــــا ضربة
اثبتت أوتاد ملك فأستقر (١٦)

وكانت وفاته ٥٨٧م (١٧) ٠

ـ ٢ ـ

وعندما جاء الاسلام بمبادئه الســـامية وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى دين الله بعث العـــلاء ابن عبد الله الحضرمى الى البحرين يدعوهم الى الاســـلام ودخلت تلك المنطقة فى حظيرة الاســـلام وذلك فى العـــام السادس الهجرى (١٨) ٠

٠ وفى العهد الأموى ظهر من قطر شـــاعر وقائد كانت له شهرته ومكانته وهو قطرى بن الفجاءة أحد زعماء الخوارج وقادتها الذى حارب ضد الأمويين والزبيريين ودامت خلافته للخوارج ما يقارب عشرين عاما ، كما ذكر ابن حزم (١٩) ٠

وقطرى ليس باسم له وانما نسبة الى المكان الذى ولد فيه وهو قطر وقد ولد فى (المعدان) وكانت تعرف (بالأعدان) احدى قرى قطر ، يقول (ابن خلكان) :

« وقد قيل ان قولهم قطرى ليس باسم له ، ولكنه نسبة الى موضع بين البحرين وعمان ، وهو اسم بلد كان منه أبو نعامة المذكور ، فنسب اليه ، وقيل انه هو قصبة عمان ٠٠٠ » (٢٠)

---

(١٦) المصدر السابق ١٣٨ ٠
(١٧) تاريخ آداب اللغة العربية جرجى زيدان جـ ١ ص ١٦١ ٠
(١٨) قطر ماضيها وحاضرها ٠ مصطفى الدباغ ص ١٤٤ ٠
(١٩) جمهرة انساب العرب ، لابن حزم ص ٢١٢ ٠
(٢٠) وفيات الأعيان ـ ابن خلكان جـ ٤ ص ٩٥ ٠

واسم قطرى ، جعونة بن يزيد بن زياد ينتهى نسبه الى بنى تميم (٢١) والفجـاءة لقب أبيه لأنه كان باليمن ثم أتى قومه فجأة فسمى بذلك (٢٢) ٠

ومن أشعار قطرى السائرة قصـيدة له تفيض شجاعة وبطولة وتنبع من روح مؤمنة بالقضاء والقدر فلا تهاب الموت وهى روح اسلامية امتاز بها الخـوارج فى أشـعارهم وبطولاتهم :

أقول لهـا وقد طارت شعاعا
من الأبطـال ويحك لن تراعى
فانك لو سـألت بقاء يوم
على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا
فمـا نيل الخلود بمسـتطاع
ولا ثوب البقـاء بثوب عز
فيطوى عن أخى الخنع اليراع
سـبيل المـوت غاية كل حى
فداعيه لأهل الأرض داع (٢٣)

وظل قطرى فى كفاح وحروب مسـتمرة مع الأمويين والزبيريين حتى قتل فى طبرستان بعد هزيمة الخوارج وبعد أن تفرق عنه أصحابه (٢٤) ٠ وذلك بين عامى ٧٨ أو ٧٩ للهجرة كما ذكر ابن خلكان ٠

وبعد انتهاء حركة الخوارج وهزيمتهم على يد الأمويين عام ٧٣هـ انتهى نفوذهم على منطقة الخليج وأصبحت تلك المنطقة خاضعة للدولة الاسلامية (٢٥) ٠

---

(٢١) فارس من قطر ـ قطرى بن الفجاءة ـ ابراهيم يونس ص ٣٥ وما بعدها ٠

(٢٢) تاريخ قطر العام ـ محمود بهجت سنان ص ١٩٤ ٠

(٢٣) قطرى بن الفجاءة ٠ ابراهيم يونس ص ١٤٧ ٠

(٢٤) وفيات الاعيان ابن خلكان جـ ٤ ص ٩٤ ٠

(٢٥) تاريخ قطر العام محمود بهجة سنان ص ٤٢ ٠

وفى سنة ٨٦١م ظهرت حركة (الزنج) والتى تزعمها رجل فارسى يدعى على بن محمد يزعم أنه من أبناء على زين العابدين ، وكان يدعو الى تحرير العبيد وانتقل بدعوته هذه من العراق الى البحرين حيث التف حوله الكثير من الأرقاء والعبيد يناصرونه ويقاتلون معه وظلت المنطقة خاضعة لحكم الزنج حتى سقط حكمهم عنها فى ٨٨٣م (٢٦) وعادت المنطقة الى حكم العباسيين ٠

وبعد زوال الزنج ظهرت حركة جديدة كانت أكثر عنفا وتطرفا فى هذه المنطقة وهى حركة القرامطة والتى كانت فى بدايتها دعوة الى امامة محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق ، ولكنها انحرفت عن ذلك وأصبحت دعوة الى الاشتراكية فى الأموال (٢٧) والنساء وأصبحوا يقاتلون كل من لم يدين بمذهبهم ويستحلون دمه وماله ، وكان (أبو سعيد الجنابى) (٢٨) أحد زعماء القرامطة قد استطاع أن يفرض سيطرته على البحرين وقطر والمنطقة الشرقية وظل القرامطة يواصلون حروبهم ضد المسلمين حتى أنهم دخلوا المسجد الحرام وقتلوا الحجاج فيه بل أنهم اقتلعوا الحجر الأسود وأتوا به الى هجر وذلك عام ٩٣٠م (٢٩) ٠

ولكن نتيجة للأنقسام الذى حصل بين القرامطة حول الزعامة ضعفت دولتهم وتبددت قوتهم ، وانتهزت القبائل هذه الفرصة فقامت الثورات ضدهم فى تلك المناطق وسقطت دولتهم ، وقام العيونيون بعدها لفرض سيطرتهم على البحرين وقطر والأحساء عام ١٠٧٦ م ٠

---

(٢٦) تاريخ قطر العام ٠ محمود بهجت سنان ص ٤٣ ٠

(٢٧) قطر ماضيها وحاضرها - مصطفى الدباغ ص ١٦٠ ٠

(٢٨) قطر ماضيها وحاضرها - مصطفى الدباغ ص ١٦٢ ٠

(٢٩) تاريخ قطر العام ٠ محمود بهجت سنان ص ٤٤ ٠

والعيونيون من بنى عبد القيس وسموا بالعيونيين نسبة الى مكان سكناهم حيث كانوا يقطنون مشـــارف العيون بالأحساء (٣٠) ٠

وبعد سقوط الدولة العيونية فى البحرين فى عام ١٢٣٢م تقريبا (٣١) قامت حكومات ضعيفة فى تلك المناطق ولم يكن لها أهمية كبيرة فى مسار الأحداث (٣٢) ٠

ـ ٣ ـ

وفى بداية القرن السادس عشر تطلع الأوربيـــون الى منطقة الخليج وأصبحت محط أنظارهم وكان البرتغـاليون أول من دخل تلك المنطقة فبعد أن دخلوا الهنـد وخضعت لسيطرتهم قاموا بعدها ببسط نفوذهم على منطقـة الخليج وذلك عام ١٥٠٨ م وكان هدفهم التحكم فى طرق التجـارة بين آسيا وأوروبا (٣٣) ٠

وظل البرتغاليون فى صراع مع القوى المحلية وخاصـة حكام هرمز الذين دخلوا فى صراع طويل ضـــد هؤلاء الغزاة ٠

وبعد سقوط البرتغال فى يد الأسبان فى ١٥٨٠ م ضعفت القوة البرتغالية فى هذه المنطقة وأخذت القـوى المحلية فى مقاومتها بجهود متكاتفة حتى استطاعت أن تجلى القـوة البرتغالية من منطقة الخليج العربى بالتعاون مع القـوى الفارسية والانجليزية التى بدأت تظهر فى تلك المنطقة (٣٤)٠ ودخل الهولنديون كذلك فىمنطقة الخليج وكانوا ينافسون

---

(٣٠) قطر ماضيها وحاضرها ـ مصطفى الدباغ ص ١٦٢٠٠

(٣١) المرجع السابق ص ١٦٢ ٠

(٣٢) تاريخ قطر العام ٠ محمود بهجت سنان ص ٤٧ ٠

(٣٣) التيارات السياسية فى الخليج العربى ، د ٠ صلاح العقاد ص ١٥ ٠

(٣٤) المصدر السابق ص ٢٤ ٠

الانجليز فى التجارة وبلغ التنافس بهم الى صراع وحاول الهولنديون بعدها فرض السيطرة العسكرية لتأمين تجارتهم فى منطقة الخليج ، ولكنهم فى نهاية القرن الثامن عشر اضطروا الى الانسحاب من المنطقة نتيجة للتفوق الانجليزى والمقاومة المحلية التى لاقاها الهولنديون (٣٥) .

وفى القرن الثامن عشر الميلادى دخلت فرنسا فى منطقة الخليج العربى لمنافسة الانجليز والهولنديين فى أطماعهم الاحتكارية (٣٦) .

وكان العثمانيون قد دخلوا الى الخليج العربى فى بداية القرن السادس عشر الميلادى وحصل صراع بينهم وبين البرتغاليون ولكنهم لم يستطيعوا ان يسيطروا السيطرة الكاملة على المنطقة كلها وانما كانت تبعية هذه المناطق فى الغالب تبعية اسمية باعتبار الخلافة العثمانية خلافة اسلامية ، ولهذا كان خضوع المسلمين لها أمرا يسيرا ولم يلقى مقاومة شديدة (٣٧) .

ولعل صلة العثمانيين بقطر وبدأ تبعيتها لهم تعود الى عام ١٨٧١ م عندما وصلت حامية تركية بقيادة الشيخ عبد الله الصباح حاكم الكويت الى الدوحة ، وكانت بدعوة من الشيخ جاسم بن محمد آل ثانى ، وقد كان والده الشيخ محمد بن ثانى معارضا للحماية التركية ولكنه كان قد تقدمت به السن فلم يستطع أن يعمل شيئا غير أن يرفض العلم التركى (٣٨) .

وبعدها أخذت تركيا تحاول فرض سيطرتها الكاملة على

---

(٣٥) المصدر السابق ص ٣٤ .

(٣٦) المصدر السابق ص ٤١ .

(٣٧) قطر ماضيها وحاضرها ـ مصطفى الدباغ ص ١٦٧ .

(٣٨) التطور السياسى لقطر ١٨٦٨ ـ ١٩١٦ م ص ١٤٠ ، عبد العزيز منصور .

قطر بعد أن كانت لاتتعدى السـيطرة الاسمية وذلك حين أخذت تحـاول فرض الضرائب ، وتعيين بعض المدراء فى الزبارة والعديد (٣٩) ٠

وسوف نعرض بشىء من التفصيل حول العلاقة العثمانية القطرية عندما نتحدث عن دور الشـيخ قاسم بن ثانى فى تكوين الامارة القطرية ٠

النفوذ الانجليزى - أو الحماية البريطانية لقطر :

من المعروف أن الوجود الانجليزى فى الخليج العـربى ابتدأ فى أوائل القرن السادس عشر ودخل فى صراع مـع الهولنديين والفرنسيين والعثمانيين وان كل هذه القوى قد تقلصت من المنطقـة فى وقت مبكر باستثناء السـيطرة الانجليزية التى ظلت تهيمن على المنطقة حتى ١٩٧١ م ٠

ولعل قطر آخر الامارات العربية التى وقعت معـاهدة الحماية مع بريطانيا وذلك عام ١٩١٦ م ، وسوف نتحدث عن هذه المعـاهدة فى أثناء حديثنا عن الحكام المحليين من آل ثانى ٠

القوى المحلية :

لقد كانت قطر تخضع محليا فى الفترة الأولى من بداية الصراع الأوربى التركى فى المنطقة - والتى سلف ذكرها - الى حكام محليين منهم (آل مسلم) وهم أصـهار (بنو خالد) (٤٠) الذين كانوا قد فرضوا سيطرتهم على الاحساء بعد طرد العثمانيين منها عام ١٦٦٩ م (٤١) ٠

---

(٣٩) المصدر السابق ص ١٤٩ ٠

(٤٠) بنو خالد من بطون عامر بن صعصعة من العدنانين ٠ جاءوا من الشام مع الفتح التركى لشبه الجزيرة العربية والمنطقة الشرقية ٠

(٤١) قطر ماضيها وحاضرها ، مصطفى الدباغ ص ١٦٨ ٠

وبعد قدوم (آل خليفة) وهم فرع من العتوب (آل صباح - الجلاهمة - آل خليفة) على أثر خلافهم مع آل الصباح فى الكويت عاد آل خليفة الى الزبارة عام ١٧٦٦ م ، وبعد فترة وجيزة استطاع آل خليفة أن يستقلوا بالزبارة ويمتنعوا عن دفع الضريبة لآل (مسلم) (٤٢) ٠

ولقد تحدثنا عن آل خليفة وعلاقتهم بالزبارة فى أثناء حديثنا عن الزبارة والذى سبق ذكره ٠

وبعد فتح آل خليفة للبحرين ١٧٨٣ م بمساعدة القوى القطرية تطلع آل خليفة للبحرين واتخذوها مقرا لهم وذلك فى عهد الشيخ سلمان آل خليفة ١٧٩٤ - ١٨٢٠ م ٠

آل ثانى يستقلون بامارة قطر :

ويرجع نسب آل ثانى الى بنى تميم احدى القبائل العربية فى شبه جزيرة العرب ، ومنها قبيلة المعاضيد التى ينتمى اليها آل ثانى ، وقد وصل آل ثانى الى قطر فى أوائل القرن الثامن عشر ٠ وفى عهد محمد بن ثانى برزت زعامة آل ثانى للقبائل القطرية والتفوا حوله ، ثم كان لشخصية ابنه قاسم أثر كبير فى بروز الكيان السياسى المستقل لقطر ، فبعد خلافات ووقائع حدثت بين قطر والبحرين (٤٣) تم على أثره انفصالهما عن بعض نهائيا عام ١٨٦٨ م ، وعقد الشيخ محمد بن ثانى معاهدة (١٨٦٨ م) مع (بيللى) المعتمد البريطانى فى الخليج العربى ، وبعد توقيع المعاهدة أصبحت قطر تخضع لسلطة آل ثانى ٠

وبعد وفاة الشيخ محمد بن ثانى عام ١٨٧٨ م (٤٤) تولى مقاليد الحكم ابنه الشيخ قاسم بن محمد ، وكان الشيخ

---

(٤٢) التطور السياسى لقطر ١٨٦٨ - ١٩١٦ م ، عبد العزيز المنصور ، ص ٣٤ ٠
(٤٣) التطور السياسى لقطر من ١٨٦٨ - ١٩١٦ م ، عبد العزيز المنصور ص ٤٣٠
(٤٤) المصدر السابق ص ٢٥ ٠

قاسم يميل فى ولائه للعثمانيين وكما سبق أن ذكرنا أنه هو الذى استدعاهم لزيارة قطر فى عهد والده ،وأخذ العثمانيون بعدها يتدخلون فى الشئون القطرية بصورة غير مرضية ، وذلك بفرض الضرائب ، وتعيين المدراء فى العديد والزيارة ، ولكن الشيخ جاسم رفض هذا التدخل ، وأعلن اعتزاله الحكم ولكن والى البصره رفض ذلك ، وأعد جيشا واتجه به من البصرة عن طريق الكويت حيث حصل على موافقة من شيخ الكويت للمساهمة فى هذه الحملة بل أن حاكم الكويت بعث بحملة بقيادة مبارك الصباح وصلت فى مارس ١٨٩٢ م الى الاحساء (٤٥) ٠

وعندما علم الشيخ جاسم بذلك نقل مقر حكمه الى الوجبه ولما وصل الوالى محمد حافظ استقبله الشيخ احمد بن ثانى نيابة عن أخيه الشيخ جاسم ، ولكن الوالى أصر على مقابلة الشيخ جاسم ثم بعد مفاوضات مسدودة قام الأتراك باعتقال الشيخ احمد بن ثانى وبعض أعيان الدوحه ، وبعدها قام الأتراك بالهجوم على « الوجبه » ليباغتوا الشيخ جاسم ولكن الشيخ جاسم كان قد أوهمهم بترك البلاد وبتسريح الجيش فى حين أنه وزعه على عدة نقاط هامة فى البلاد ، وقام على أثرها بمهاجمة الأتراك واستطاعت القوة القطرية أن تهزم الجيش الغازى وتستولى على الكثير من أسلحته وبعدها استطاع القطريون فرض شروطهم على الوالى التركى وذلك بنقل كل فلوله الغازية الى الاحساء واطلاق سراح الشيخ أحمد بن ثانى ٠

وهكذا ظلت العلاقة بين قطر وتركيا شبه متوترة حتى قطيعتها ونقل الحامية التركية من قطر عام ١٩١٥ م وانهاء نفوذها عندما عقدت المعاهدة بين قطر وبريطانيا سنة ١٩١٦م فى عهد الشيخ عبد الله بن جاسم آل ثانى ٠

---

(٤٥) المصدر السابق ص ١٥٠ ٠

وظل الشيخ عبد الله يحكم قطر ما يناهز الخمسين عاما وكان ولى عهده والمرشح للامارة بعده ابنه الشيخ حمد بن عبد الله ولكن المنية عاجلته وتوفى قبل والده · وبعدها قام الشيخ عبد الله بتولية الحكم لابنه الشيخ على وولاية العهد للشيخ خليفه بن حمد على أن يتولى الامارة بعد عمه الشيخ على · ولكن تولى الامارة بعده الشيخ احمد بن على عام ١٩٦٠ م ·

وفى سنة ١٩٧٢ م تولى الشيخ خليفه بن حمد آل ثانى مقاليد الحكم فى البلاد ، وكان قد أعلن الشيخ خليفه بن حمد استقلال دولة قطر عام ١٩٧١ م وانهاء جميع المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بين قطر وبريطانيا ·

ودخلت قطر فى المنظمات الدولية كالأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية ، كما ساهمت فى المنظمات والمؤتمرات العربية والعالمية ·

الفصـــل الثـانى
الحياة الاقتصادية والاجتماعية

من المعروف أن السكان فى الخليج العربى يعودون فى الغـالبية العظمى منهم الى قبـائل عربية نزحت من شـــبه الجزيرة على فترات مختلفة وأخذت تتنقل فى منطقة الخليج من مكان لآخر أما طلبا للرزق أو نتيجة لحروب قبلية فتنزح القبيلة أو الجماعة من مكان لآخر ٠

كما أن مناشط الحيـــاة فى هذه المنطقـة واحدة وهى الاعتماد الأساسى على البحر بحثا عن اللؤلؤ أو فى صـــيد الأسماك ، الى جانب الرعى وتربية الماشية فى البادية ٠

ونتيجة لذلك فان العادات والتقاليد والفنون تكاد تكون واحدة فى هذه المنطقة ومن الصعوبة تحديد هويتها والتفريق بينها فى الانتماء ٠

يقول الدكتور محمد غانم الرميحى : « من تشابه الظروف الطبيعية فى الخليج تشابهت مناشط السكان الاقتصـــادية والاجتماعية والسياسية » (١) ٠

ويقول موضحا أثر ذلك فى العادات والتقاليد والفنون : « ونتيجة للواقع الطبيعى والوضع الاقتصـــادى الســـائد والعلاقات القبلية والعائلية أصبح هناك ثقافة شبه موحدة تعتمد على المزيج بين الصحراء والبحر ، وبين رعى الابل والتجارة ، فتبلورت فنون وأغانى شعبية متقـاربة ، ونمط حياة وسلوك موحد فى السكن والملبس والتحية واســتقبال الزوار وظواهر اجتماعية وتقاليد متشـــابهة فى الزواج والوفاة والمناســـبات الدينية والدنيـــوية ، ومع التحول

---

(١) البترول والتغير الاجتماعى فى الخليج العربى ص ٨ ، د ٠ محمد الرميحى٠

الاقتصادى الحديث أصبح امتصـــــاص وتعلم التكيف مع متطلبات الحياة الجديدة أيضا بمستوى متقارب » (٢) ٠

أولا : الغـوص :

ولقد كان الاعتماد الرئيسى فى الاقتصـــاد القطرى يقوم على عملية الغوص بالاضافة الى صيد الأسماك قبل ظهــور النفط ٠

وعملية الغوص عملية شاقة فيها الكثير من المخـــاطرة والعذاب ، بالاضافة الى الأمراض الناتجة عن هذه العملية الشاقة كداء الرئة ونحوه ،وما يتعرض له الغواص منأخطار الأسماك المتوحشة ٠

وتخرج سفن الغوص غالبا فى بداية شهر يونيو وتستمر فى عمليـــة البحث عن الؤلؤ حتى شــــهر سبتمبر من كل عام (٣) ، وهناك مدد مختلفة وتسميات مختلفة لكل رحلة من رحلات الغوص (٤) ٠

ويكاد يعمل فى الغوص أكثر من نصف ســكان قطر فى عهد ما قبل النفط ، وعملية الغوص عملية متعددة الجوانب والوظائف ومنها :

١ ـ النوخذه : وهى كلمة (فارسية) الأصل ومعنـــاها أمير السفينة أو قائدها (٥) ، واستعملت فى لهجــة الخليج لتؤدى نفس المعنى وهو ربان السفينة ٠

٢ ـ المجدمى : وهو الشخص الذى ينــوب عن النوخذه ، والمسؤول عن عمال السفينة ٠

---

(٢) المصدر السابق ص ١٦ ٠

(٣) المصدر السابق ص ٣٢ ٠

(٤) المصدر السابق ٠

(٥) الأغنية الشعبية فى قطر ، محمد الدويك ج ٣ ص ٩ ٠

٣ ـ الغواص : وهو الذى يقوم بالغوص الى قاع البحر واستخراج الصدف الذى يحتوى على اللؤلؤ ٠

٤ ـ السيب : وهو الشخص الذى يقوم بسحب الغواص من البحر ، كما يقوم بمراقبته أثناء عملية الغوص ٠

٥ ـ الرضيف : وهو صبى يقوم بخدمة العاملين على السفينة ومساعدة السيب فى بعض الأحيان ٠

٦ ـ العزال : وهو شخص يعمل لحسابه الخاص على ظهر السفينة على شريطة أن يدفع مبلغا معينا يتفق عليه مع صاحب السفينة ٠

٧ ـ السكونى : وهو الذى يتولى عملية توجيه السفينة الى المكان المطلوب بواسطة (الدفة) ٠

وهناك (الطواشين) وهم التجار الذين يقومون بعملية المضاربة وشراء اللؤلؤ من سفن الغوص ومن ثم بيعه أو تصديره للخارج ٠

وكانت عملية الغوص تتم بأن يقوم (النواخذه) بتزويد الغواصين والبحارة الذين معه بمبلغ من المال يعتبر كسلفة تسدد بعد عودتهم من الغوص وبيع اللؤلؤ الذى حصلوا عليهم فيخصم من نصيب كل شخص المبلغ الذى أخذه ٠

ويحدث أحيانا بأن يكون مورد أو مدخول الغوص فى بعض الأحيان لكل فرد أقل من المبلغ الذى عليه ، وهنا يكون لزاما عليه بأن يدخل مع نفس (النوخذا) فى السنة القادمة حتى يؤدى ما عليه من دين ، أو يقوم بتسديده قبل أن يدخل فى تعاقد مع شخص آخر ، كما يحدث أحيانا بأن يكون (النوخذا) نفسه مدان (للطواشين) من التجار الكبار وعندها يلزم ببيع لؤلؤه على هؤلاء المدينين له ويحدث الكثير من الغبن فى هذه العملية ويلعب الجشع دوره فى ذلك (٦)٠

---

(٦) البترول والتغير الاجتماعى فى الخليج العربى ، د ٠ الرميحى ص ٣٥ ٠

ويذكر لوريمر فى كتابه « دليل الخليج » أن الأسطول القطرى كان يتكون من حوالى ٨١٧ سفينة تعمل فى صيد اللؤلؤ ، وأنه (أى اللؤلؤ) الصادر الرئيسى للبلاد (٧) ٠

ولاشك أن لهذا المورد الاقتصادى الهام مكانته فى الحياة الاجتماعية والأدبية نظرا لأنه محط الآمال فى حياة أفضل عند كل عودة يعود منها الغواصون ، بالاضافة الى الرحلة الطويلة التى تستغرق شهورا فى وسط السفينة المحاطة بالأخطار والأهوال فكان لابد أن نرى أو نجد الكثير من الاشعار والقصص حولها ، ولكن مع الأسف فان الشعر الفصيح قليل ونادر فى الأدب القطرى حول هذا الموضوع أما بالنسبة للفنون الشعبية كالأهازيج والأغانى فكثيرة ومتعددة الجوانب والفنون ٠

ثانيا : صيد الأسماك :

ويأتى فى المرتبة الثانية بعد الغوص على اللؤلؤ من حيث أهميته كمورد رزق للسكان فى قطر ومن المعروف أن الخليج العربى كما هو غنى باللؤلؤ كذلك هو يزخر بكميات كبيرة من الأسماك نظرا لوجود الاعشاب البحرية ونتيجة الدفء الذى تمتاز به مياه الخليج ٠

ومن المعروف أن مياه الخليج تحتوى على حوالى ٤٠٠ نوع من الأسماك (٨) وكما يذكر (لوريمر) أن عدد مراكب صيد الأسماك كانت حوالى ٢٥٠ مركبا (٩) ، ولقد كانت طريقة صيد الأسماك فى القديم طريقة تقليدية بالنسبة للوسائل الحديثة التى أدخلت على هذه الحرفة ، وبينما رأينا أن عملية الغوص على اللؤلؤ قد اندثرت لأسباب اقتصادية ٠ فاننا نرى أن صيد الأسماك قد أولاه الاقتصاد الحالى

---

(٧) دليل الخليج جـ ٦ القسم الجغرافى ٠ ج ٠ ج ٠ لوريمر ص ١٩٩ ٠

(٨) الاقتصاد الكويتى القديم ٠ عادل محمد العبد ص ٦٥ ٠

(٩) دليل الخليج لوريمر ص ١٩٩٠ جـ ٦ القسم الجغرافى ٠

أهمية كبيرة ، لكى يساهم فى الاقتصـــاد الوطنى الى جانب النفط وتنويع مصادر الدخل فى البلاد ، لذلك فقد تأسست فى عام ١٩٦٦ « الشركة الوطنية لصيد الأسماك » (١٠) كما تم انشـــاء مصنع فى الدوحة لتعبئة الربيـــان (الجمبرى) وتصديره للخارج ٠

ثالثا : الزراعة :

أما النشاط الزراعى فقد كان محدودا نظرا لقلة الميـاه، بالاضافة الى أن التربة فى قطر غير صـــالحة للزراعة فى معظمها ، وذلك لغلبة الطابع الصـــحراوى عليها كما أن الأرض مغطاة بطبقة من الحجارة والجير ، نضيف الى ذلك ملوحة التربة وشدة الحرارة ٠

كل هذه العوامل كانت سببا فى تخلف الزراعة فى قطر ، وفى الوقت الحاضر وبعد ظهور النفط وما تبعــه من رخاء وتطور اقتصادى أخذت تولى الدولة هذا القطاع أهميـــة كبرى الا أنه كما سبق أن ذكرنا بأن الطبيعـــة عامل غير مساعد على نمو الزراعة النمو المطلوب ، كما أن انشـــاء المزارع من قبل الأفراد يعتبر عمليـــة غير مربحة نظرا لقلة الأيدى العاملة وارتفاع أجورها بالاضـــافة الى العوامل السابقة التى لا تشجع على التوسع فى هذه المهنـــة على الرغم من أهميتها ٠

الا أن هذا لا يعنى أن الزراعة ليس لها مكانة فى قطر ، بل أن المســـاحة المزروعة فى الوقت الحاضر والمنتجـات الزراعية كالخضر والتمور قد تضـــاعفت اضـــعافا كثيرة بالنسبة لما قبل ، فقد قفز عدد المزارع من (١١٩) مزرعة عام ١٩٦٠ م الى (٤٥٣) مزرعة فى عام ١٩٧٥ م (١١) ٠

---

(١٠) الدليل الاعلامى العربى ـ قطر ص ٧٣ سنة ١٩٧٥ م ٠

(١١) جوانب من جغرافية قطر ٠ د ٠ صلاح البحيرى ، ومضيوف الفرا ص ٤٤٠

رابعا : ظهور البترول وأثره فى التغير الاجتماعى :

لقد بدأ اكتشاف النفط فى قطر قبيل الحرب العالميـــــة الثانية أى فى عام ١٩٣٩ م (١٢) ٠

ولكن بسبب الحرب العالمية توقف العمل فى هذه الحقول المكتشفة حتى سنة ١٩٤٩ م ، حيث بدأ فى نهاية هذا العـــام تصدير النفط الى الخارج وعلى أثرها دخلت قطر حيـــــاة جديدة من الرخاء الاقتصادى ٠

وباكتشاف البترول تغير نمط الحيــــاة الاجتماعية فقد هجر الكثير من السكان بل الغــــــالبية العظمى منهم البحر واتجهوا للعمل فى الشركات حيث أن العمل فى هذه الشركات أكثر ضمانا وأوفر دخلاً للفرد من عمل الغوص أو الصيد ٠

وفى قطر تعمل عدة شركات بترولية من أهمها :

١ ـ **« شركة نفط قطر المحدودة » :**
وهى أولى الشركات فى قطر سواء من حيث الأسبقية فى العمل هناك أو من حيث كمية الانتاج ٠
وأهم مناطق حقولها تقع فى (دخان) على الســـاحل الغربى لقطر ويصدر النفط عن طريق مينــــــاء (أم سعيد) على الساحل الشرقى لقطر ٠

٢ ـ **« شركة شل لقطر المحدودة » :**
وقد حصلت على امتياز التنقيب فى عام ١٩٥٢ م وبدأ انتاجها عام ١٩٦٤ م (١٣) وهى تعمل فى الميــــاه الاقليمية التابعة لدولة قطر ٠

ويتم تخزين النفط المســتخرج من الآبار التى تغمرها

---

(١٢) نهضة قطر ص ٣٣ سنة ١٩٦٥ ٠

(١٣) المرجع السابق ص ٣٤ ٠

المياه فى خزانات خاصة فى جزيرة (حالول) والتى اتخذت مقرا لمعظم أعمال الشركة ٠

٣ ـ « شركة الزيت القطرية المحدودة (اليابان) » :

وهى مجموعة شركات يابانية وحصلت على امتيازها فى قطر عام ١٩٦٩ ، كما أن هناك شركة جديدة دخلت فى استثمارات النفط والتنقيب عنه فى قطر هى :

«شركة البندق المحدودة» وهى تعمل فى الحدود المشتركة بين دولتى قطر وأبو ظبى ولذلك فمردود حقل (البندق) يقع مناصفة بين الدولتين ٠

ولقد كانت شركات البترول فى الماضى تستولى على نصيب الأسد من الانتاج فى معظم الدول المنتجة للبترول ، وكانت الدول المستهلكة للبترول هى التى تتحكم فى أسعاره لأن معظم الشركات العاملة فى انتاجه وتسويقه من تلك الدول الصناعية ٠

وبعد فترة طالت تحركت الدول العربية للمطالبة بحقوقها النفطية المهضومة واستطاعت فى عام ١٩٧٤ أن تحصل هذه الدول ومنها قطر على حقها الكامل فى استغلال ثروتها النفطية ٠

فقد أعلنت دولة قطر فى ١٩٧٤/١٢/٢٢ م أن جميع حقوق وممتلكات الشركات البترولية فى قطر (نفط قطر ـ وشل) ملك للدولة وهكذا آلت جميع الأسهم البترولية الى قطر ٠

ولقد أسهم هذا التطور الاقتصادى وارتفاع دخل الدولة من البترول الذى يشكل حوالى ٩٥٪ من الدخل القومى فى تطور الحياة الاجتماعية والثقافية ٠

ولا شك أننا نلحظ التطور المادى فى قطر قد سبق التطور الفكرى والثقافى ونظرا للتطور الاقتصـــادى العظيم الذى أحدثه البترول فقد تغير الكثير من أنماط الحيـاة · ودخلت قطر المجال الصناعى الحديث بسرعة وخاصة فى السبعينات حيث أنشأت العديد من الصـــناعات البترولية وغيرها من الصناعات التى تتوافر موادها الأولية فى البلاد ·

يقول الدكتور محمد غانم الرميحى :

« أما قطر فانه رغم دخولها المجال الصناعى حديثـــا منتصف الستينات الا أنها خطت خطوات الكويت والبحرين ، فدخلت سريعا فى مجال الصناعة » (١٤) ·

ومن أهم الصناعات الحالية فى قطر والتى بدأ انتاجها :

- مصنع الأسمنت ·
- مصنع الأسمدة الكيماوية ·
- مصنع الربيان (الجمبرى) ·
- مصنع سوائل الغاز الطبيعى ·
- مطاحن الدقيق ·
- مصفاة للبترول فى أم سعيد (١٥) ·

الى جانب العديد من المشروعات الانمائية التى تساهم فى الدخل القومى للبلاد ·

ونتيجة لذلك فقد تغيرت الحياة الاجتماعية فى قطر تغيرا جذريا خاصة ما يتعلق بالحيـــاة المادية وما يتبعهـــا من استعمال الوسائل والأدوات الحديثـــة مما كان له أثره فى الحياة الاجتماعية ·

---

(١٤) البترول والتغير الاجتماعى فى الخليج · د · الرميحى ص ٥٠ ·

(١٥) دليل قطر للتجارة والصناعة ص ٣٠ ـ سنة ١٩٧٧ ·

الحيـــاة الاجتماعية :

- ١ -

ونتيجة للتطور الاقتصادى الكبير ، وللطفرة المادية التى حدثت بعد اكتشاف النفط ، فقـــد أدى هذا التغير المادى السريع الى تغير فى جميـــع نواحى الحيـــاة الفـكرية والاجتماعية فغيرت الكثير من المفاهيم والعـادات والتقاليد التى كانت راسخة فى المجتمع ·

يقول الدكتور صلاح العقاد :

« وفى مجال الحياة الاجتماعية انقلبت معايير العلاقات بين الناس ، فبعد أن كانت تبنى أساسا على الانتماء القبلى ، فاذا بالنفط يفكك هذه العلاقات الاجتماعية القديمة ، ويحل محلها قيما جديدة تقوم على أساس طبقى » (١٦) ·

وترى احدى الباحثات (١٧) :

« ان من أبرز عوامل التغير الاجتماعى الذى طرأ على المجتمع فى قطر » نتيجة للتطور الاقتصـــادى والثقـــافى وما تبعه من دخول عنـــاصر جديدة فى بنيـــة التركيب السكانية :

١ - ظهور النزعة الفردية فى المجتمع بعد أن كانت الروح الجماعية القبلية هى الأساس ·

٢ - نتيجةللاتصـــال بالأجانب أن تغيرت إلقيم والاتجاهات وأصبحت القيمة الأســـاسية للتعليم بعد أن كانت للعائلة ·

---

(١٦) التيارات السياسية فى الخليج العربى ، د · صلاح العقاد ص ٣٦٤ ·

(١٧) الالتقاء الحضارى وأثر البترول فى تغير الأسرة فى قطر · جهينـــة العيسى ص ١٧٧ ·

٣ - كما أن الأب لم يكن له الدور القديم فى السيطرة والتوجيه ·

وهكذا نرى أن العادات والتقاليد العربية بدأت تتأثر أمام الزحف الحضارى الذى يغزو المجتمع الخليجى بصورة سريعة ودون تمييز للصالح منها أو الطالح ·

وقد سبق أن عرفنا من العرض التاريخى أن الشعب القطرى يعود فى غالبيته العظمى ، الى قبائل عربية قدمت من شبه الجزيرة العربية على فترات مختلفة ، وعن طرق مختلفة ، ولا شك فى أنها حملت معها عاداتها وتقاليدها العربية والاسلامية ·

فمن العادات العربية التى يتصف بها الشعب القطرى اكرام الضيف والمبالغة فيه عادة متأصلة فى القطريين ولا زالت حتى الآن ، فلا يكاد يحل الضيف حتى يتسابق الناس الى دعوته واكرامه والاحتفاء به ·

ومن العادات القطرية الاحتفال بالأعياد الاسلامية والوطنية باقامة العرضات ، وهى عبارة عن رقصات شعبية يظهر فيها الفخر والقوة ، وكانت تقام فى أوقات الحروب للاستعراض والتفاخر بما لديهم من قوة وعزة وما كانت لهم من انتصارات فى الماضى ·

وتظهر هذه العرضات فى الوقت الحاضر فى الأعياد والأفراح كالزواج ونحوه · وتكون هذه العرضة فى الغالب بأن ينتظم الرجال فى صفين متقابلين ، ويقف عازفو الايقاع وسط هذين الصفين وهم يضربون على الدفوف (الطارات) والطبول ·

كما أن هناك مجموعة من الرجال تقوم بالرقص على تلك الايقاعات وهى تحمل السيوف المذهبة والبنادق ·

وهناك شخص يقوم بتلقين المنشــدين مقطوعة معينـــة وينتقل بها من الصف الأول الى الصف الثــانى حيث يقوم بتلقينهم لكى يرددوا على الصــف الأول ، ويعـــــرف باسم صاحب الشيلة ٠

ومن أمثلة هذه المقطوعات التى يرددونها : (١٨)

الله أكبر حققت الثورة بضد اليهود
حلت عليهم قدرت الله بالقصى والنفـــاد
صوت طوايرنا عليهم مثل قصف الرعود
والقاع ترجف خدها بمصفحات أجداد (١٩)
نوه بها النــاصر عليهم واستحث الجنود
وابرك نهار للنشامى صح فيه الجهاد (٢٠)
والله بالاقصى علينا ما عطينا الصدود
الا نحاول نكبس الطاغى أهجود الجراد (٢١)

وهذه المقطوعة تدل على الوعى القومى الذى يعيشـــه الانسان القطرى ومدى اهتمامه بالقضايا العربية والقومية المعاصرة ٠ فهى تدور حول النزاع العربى الاسرائيلى وتشيد بالعرب وقوتهم ٠

ومن العـــادات الموروثة أيضــا عادة (القنص) وهو الخروج فى رحلات للصيد بواســـطة الصـــقور والبنادق وتستغرق هذه الرحلات أوقات مخلتفة منها ما يطول وهى التى تكون الى خارج البلاد ، حيث يقصـــدون الأماكن التى

---

(١٨) الأغنية الشعبية فى قطر ـ محمد الدويك جـ ٢ ص ١٠١ ٠

(١٩) طوايرنا : طائراتنا ٠ مصفحات اجداد : المصفحات الحديثة ٠

(٢٠) الناصر : جمال عبد الناصر ، للنشامى : للرجال ٠

(٢١) يقسم بانه لن يتنازل عن المسجد الأقصى وأنهم سوف يهاجمون الطاغى ويصطادونه ، كما يصطاد الجراد فى الليل ٠

تتواجد فيها الطيور والحيوانات (كالباكستان - وايران - والربع الخالى) وغيرها ٠

كما أن هناك رحلات خلوية داخلية يقوم بهـا الناس فى جماعات الى الرياض المتناثرة فى شبه جزيرة قطر وذلك فى فصل الشتاء ٠

ويصف لنا الشاعر ٠ عبد الرحمن المعاودة رحلة من هذه الرحلات وما يدور فيها ، فالروضة خضراء نضرة ، والرائحة عطرة يزيدها جمالا ذلك الهواء الصـافى المنعش ، ويأخذ بعدها فى وصف أصـحابه ووظآئفهم ، وما دار بينهم فى الأكل وأصناف اللحوم والفواكه ٠

يقول الشاعر : (٢٢)

وقد مشـينا فى مروج نضرة
وقد نشقنا من شذاها العطرة
أما الهواء فهو طلق صـافى
وعشـبها كأخضر اللحـاف
ما بين ذى شعر وراعى قهوة
وآخر يطلب صـيدا عنـوة
طعـامنا من فاره الخـراف
ومن لذيذ الأرز فى صـحاف
وفوق ذا من الحم الحبـارى
وكلنا فى أكله تبـارى
ولا تسـل عن نادر الفـواكه
يهفـو لهـا كل أديب نابه
وقد قنصـنا آخر النهـار
فلاذ منـا العير بالفـرار

---

(٢٢) القطريات ، المعاودة ص ١٦٧ ٠

ومن العادات القطرية تلك الاجتماعات التى يعقدونها فى مجالسهم وغالبا ما تكون هذه المجالس منعزلة عن المنزل ، فيجتمع فيها الأقارب والمعارف من الرجال وتدور فيهـــا الأحاديث حول أمور الحياة ، ويتخلل ذلك مناقشـــة بعض الأمور الدينية والادبية وتنشد الأشـــعار . وقد أخذت هذه العادة تتقلص وتندثر فى هذه الأيام . بسبب مشاغل الحياة الجديدة التى صرفت الناس عن هذه المجالس .

ومن التقاليد التى كانت متأصلة فى المجتمع القطرى هو زواج ابن العم من ابنة العم وأحقيتـــــه بهـــا ، وقد يصل الموضوع الى درجة أن تكون الفتاة منذورة لابن عمهـــا أو قريبها ، فلا يجوز زواجها من غيره .

كما أن اختيار الزوجة عندما يريد الشاب الزواج يكون من قبل أهله فهم الذين يختارون له ويقومون بالخطبة (٢٣).

ولكن هذه العادات أخذت تتلاشى أمام التغير الاجتماعى الذى حدثللمجتمع القطرى بعد الطفرة الاقتصادية والعلمية التى قلبت بعض المفاهيم والأعراف التى كانت سائدة آنذاك فى المجتمع .

كما أنه من الجدير بالملاحظة أن المجتمع القطرى ظل حتى الآن مجتمعا محافظا تحكمه العادات العربية بفضـــائلها وأخلاقها والشريعة الاسلامية بمبادئهـــا وأخلاقياتهـــا ، فالاختلاط أمر غير مقبول لدى المجتمع القطرى ، وقد يكون من أكثر المجتمعات الخليجية محافظة فى هذا المجال .

ولذلك سوف نلاحظ هذه الظاهرة فى الأدب القطرى وكيف أن الغزل من أقل الموضوعات ، وأبعدها عن التصريح وان كان هنـــاك غزل فهو تغزل عفيف وبعيـــد عن التخصيص والتصريح .

---

(٢٣) الالتقاء الحضارى واثر البترول فى تغير الأسرة فى قطر ـ جهينة العيس ص ٢٤٥ .

ـ ٢ ـ

أما بالنسبة للمعتقدات الدينيـــــة والغيبيات فى المجتمع القطرى ، فانه قبل الحديث عنها لابد أن نشير بكلمة موجزة الى الدعوة الوهابية وأثرها فى المجتمع القطرى ٠

ورائد هذه الدعوة هو الامام محمد بن عبد الوهاب الذى يتصل نســـبه ببنى تميم ، ولد عام (١٧٠٣ م) وكان والده قاضى (العيينة) بنجد ، وتلقى تعاليم الدين الاســلامى فى بداية عهده عن والده ،ثم اتجه الى مختلف الأقاليم كالاحساء والبصرة وبغداد ودمشق يأخذ عن علمائها وفقهائها ، وتأثر كثيرا بآراء ابن تيمية (٢٤) الذى كان يدعو الى اتبـــــاع طريقة السلف والعودة الى الكتاب والسنة ونبذ الخرافات والبدع ٠

وكان الامام محمد بن عبد الوهاب أثنـــاء تطوافه بتلك البلاد يشاهد الكثير من البدع والمنكرات التى ترتكب باسم الدين عن جهل وضلال ٠

ولذلك قام بدعوته الاصلاحية وهى العودة الى الاســلام الصحيح كما عاشه السلف الصالح أيام الرسول (ص) والصحابة والابتعاد عن البدع والمنكرات ، كزيارة القبــور والتبرك بها والنوح على الميت ، والاستشفاع بالأوليــــاء والصالحين ٠٠٠ الخ ٠

وهذه الدعوة كما يتضح مـ نمبادئها وكما كان أصحابها يرونها دعوة (سلفية) ٠

أما (الوهابية) فهى لقب رماه به خصومهم لتنفير الناس عنهم وكأنهم جاءوا بمذهب جديد (٢٥) ٠

---

(٢٤) الدولة السعودية الأولى ٠ د ٠ عبد الرحيم عبد الرحمن ص ٣٥ ٠

(٢٥) المرجع السابق ص ٣٦ ـ ٣٧ ٠

وعندما غادر الامام محمد بن عبد الوهاب مدينة (العيينة) بضغط من بنى خالد الذين كانوا يسيطرون على منطقـــــة الاحساء ونجد آنذاك ٠

التجأ الامام بعدها الى الدرعية وناصره محمد بن سعود وذلك عام ١٧٤٥ م ٠

واتخذ الوهابيـــــون من الدرعيـــــة قاعدة لدعوتهم ، واستطاعوا أن يصمدوا فى وجه بنى خالد وغيرهم من القوى التى تحاول اخماد هذه القوة النامية للوهابيين ٠

وكان لتبنى آل سعود للدعوة الوهابيـــة أثرها فى تركيز قبضتهم على السلطة وبسط نفوذهم على منطقة نجد ثم على شبه الجزيرة العربية ٠

وقد استخدمت الدعوة الوهابية من قبل آل سعود وسيلة لأهداف سياسية كانوا يتطلعون اليها ، وقد لا يكون الامام متفقا معهم فى كل ما ذهبوا اليه من مغالاة ٠

وفى حقيقـــــة الأمر أن الدعوة الوهابية كانت تقوم على هدفين :

أولهما : دينى وهو ما كان يهدف اليه الامام محمـــد بن عبد الوهاب من اعادة الناس الى حظيرة الاسلام الصحيح والنقى ٠

أما الهدف الثانى : وهو ما كان يسعى اليه آل سعود فهو هدف سياسى ، وكانت الدعوة الوهابية بالنسبة لهم وسيلة الى غاية ، وهى توسيع ممتلكاتهم والسيطرة على أكبر قدر ممكن من المناطق المجاورة لهم ٠

أما صلة الوهابية بقطر فقد تعود الى عام ١٧٩٨ م حين دخل الوهابيون الى قطر بقيادة ابراهيم بن عفيصان واحتلوا

بعض القرى والمدن ثم قاموا بحصارهم للزبارة ، حتى هاجر سكانها الى البحرين (٢٦) ٠

ولكن التأثير الحقيقى للدعوة الوهابية فى قطر كان فى عهد الدولة السعودية الثانية ، وذلك عندما تولى الشيخ محمد بن ثانى أمور البلاد وكان وكيلا للوهابيين فى جمع الضرائب من شيوخ القبائل ٠

كما أن الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى كان من المتحمسين للمذهب الحنبلى وكانت هذه الروح الدينية تظهر فى أشعاره التى سوف نعرض لها عندما نتحدث عن الشعر القطرى ٠

ولذلك كان للدعوة الوهابية أثرها الكبير فى المجتمع القطرى بالنسبة للمعتقدات الدينية والغيبيات ، وكان من أثر هذه الدعوة فى قطر ما يتجلى حتى الآن من أننا لا نجد مظاهر الحزن البالغ ، والتفجع العميق فى حالات الوفاة بالصورة العنيفة التى تظهر فى بعض المجتمعات العربية الأخرى ، كلطم الوجه وتمزيق الملابس ، وارتداء السواد ، واتباع النساء للجنائز ، واعلاء القبور ونحوه ، وغيرها من العادات المبالغ فيها والتى لا تكاد تجدها فى المجتمع القطرى ٠

وتقول احدى الباحثات :

« فالحزن على الموتى فى المجتمع القطرى لا يعبر عنه بشكل واضح وصريح خاصة عند الرجال ، فلا تقام مآتم للعزاء . وانما يتقبل أهل الميت العزاء فى البيت لمدة سبعة أيام ، ولا تلبس ملابس خاصة بالحداد كالملابس السوداء فى بعض البلاد العربية ، انما ترتدى الملابس العادية » (٢٧) ٠

---

(٢٦) تاريخ الكويت ٠ د ٠ أحمد أبو حاكمة ص ٢٥٦ ٠

(٢٧) الالتقاء الحضارى وأثر البترول فى تغير الأسرة فى قطر ٠ جهينة العيسى ص ٢٥٢ ٠

ولكن ما ذكرته الباحثة من وجود ذكرى الأربعين وتوزيع اللحم والأرز فيها (٢٨) ، هذه العـــادة غير موجودة فى المجتمع القطرى وليس هنـــاك ما يعرف بذكرى الأربعين٠ أما توزيع اللحم والأرز فيكون فى اليوم الأول من الوفاة وهو ما يعرف عندهم « بالعشيات » ٠

أما بالنسبة لزيارة القبور والتبرك بها ، أو الاعتقـــاد بشفاعة الأولياء والصالحين ، وتقديم النذور لهم فهى من العادات التى لا يقرها المجتمع القطرى ٠ وان كانت ظاهرة النذور موجودة فهى لا تكون الا لله دون واســطة وذلك بأن ينذر بأن يتصدق بكذا اذا وفق لفعل أو عمل ما ، أو ان نجا من مرض ونحوه ٠

وهنـــاك فئة قليلة تعتنق المذهب الشـــيعى (ويعرفون بالبحارنة) ، وهذه الفئة لها بعض المعتقدات والشعائر التى يدين بها الشيعة كاقامة المآتم فى أيام عاشـــوراه ولبس السواد والبكاء وضرب الصدور ونحوه ٠

---

(٢٨) المصدر السابق ص ٢٥٣ ٠

الفصل الثـالث

الحيـــاة الثقافية

ــ ١ ــ

وعندما نريد الوقوف على الحالة الثقافية والفكرية فى شبه الجزيرة القطرية فى العصر الحديث فان أهم النصوص التى بين أيدينا لا تتعدى بداية القرن التـــاسع عشر ، حيث أخذت السمات التاريخية والجغرافية تتبلور بصــورة أكثر وضوحا حتى برزت عام ١٨٦٨ م ككيان سياسى معترف بها ٠

والحديث عن الحياة الثقافية فى قطر خلال القرن التاسع عشر بالذات حديث يعتمد أكثر ما يعتمد على التخمينـــات والافتراضات والقياس أكثر مما يعتمد على وثائق ومصادر مؤكدة ، لأننا لم نعثر على وثائق أو مصـــادر تحدثت عن الحياة الثقافية أو حتى الحياة الاجتماعية فى تلك الفترة ، اللهم الا بعض الوثائق التاريخية التى كان جل اهتمامهـــا منصبا على النواحى السياسية والعسكرية ، وهذه المشكلة تشمل معظم منطقة الخليج سواء من حيث كمية المصـــادر والدراسات حولها ، أو من حيث نوعية هذه الدراســـات والبحوث ٠

فقد كانت هذه المنطقة بصفة عامة مهملة من قبل الدارسين والمؤرخين حتى العشرينات من القرن العشرين ٠

وعندما بدأت تتفجر آبار النفط فى هذه المنطقة لفتت أنظار العالم لها ، وبدأوا ينظرون اليهـا بجدية واهتمـــام بالغ ، وأصبحت محط أنظار الدارسين والباحثين ، هذه ملاحظة ٠

أما الملاحظة الثانية التى يجب مراعاتها حين نتحدث عن

الحياة الثقافية والأدبيـــة فى هذه الفترة ـ وعلى الأخص القرن التاسع عشر ـ فهى أننا لا نستطيع التحـديد الدقيق لحصر النتاج الفكرى وتخصيصـــه باقليم معين ، حيث أن التراث الفكرى لهذه المنطقة ـ أعنى بهـــا منطقة الخليج ـ تراث مشترك فكما عرفنا من المقدمة التاريخية أن شـــعوب هذه المنطقة ترجع الى قبــــائل عربية متداخلة فى تركيبها البشرى لمكونات شعوب هذه المنطقة ، فقد كانت هذه القبائل تعيش فترة عدم استقرار ، وهى فى تنقل وترحال مســـتمر بين هذه الأقاليم أما طلبا للرزق ، أو على أثر معارك وغارات تتعرض لها هذه المناطق ٠

ولهذا فالتراث الفكرى والثقافى قاسم مشترك بين شعوب هذه المنطقة ، بل ان الحياة المادية والفكرية واحدة لهـــذه الشعوب واستعملت كلمة شـــعوب بنـــاء على الواقع الذى تعيشه المنطقة ومن التقسيمات السياسية ، والا فان كلمة الشعب الخليجى هى الواجبـــة الاستعمال للدلالة على تلك الفترة ٠

ولهذا فلا غرابة أن نجد أن شاعرا أو أديبا فى هذه المنطقة ينسب الى أكثر من بلد من بلدان هذه المنطقة ، كما هو الحال بالنسبة للشاعر خالد الفرج (١) ، أو الشـــاعر عبد الجليل الطباطبائى ، والشـــاعر عبد الرحمن قاسم المعـــاودة ، وغيرهما (٢) ٠

والملاحظة الثالثة التى يجب مراعاتهـــا عند الحديث عن الحياة الثقافية والأدبية فى قطر ـ قبل بداية القرن الحالى ـ

---

(١) فالكويت تنسبه اليها بحكم ولادته ، والبحرين تنسبه اليها بحكم اقامتـــه لفترة معينة فيها ، والمنطقة الشرقية (السعودية) تنسبه اليها بحكم أنه أقام فيهـــا حتى وفاته ٠

(٢) أنظر بهذا الصدد كتاب : لمحات من الخليج العربى محمد جابر الأنصارى : ص ٧١ وما بعدها ٠

هى أن قطـر قد عاشت فترة طويلة ومريرة من الصراعات والحـــــروب التى لا تكاد تنتهى من احداها حتى ترغم على الدخول فى غيرها .

واستمرت الحالة السياسية فى البلاد فى عدم استقرار ، وفى حالة حروب وصراعات حتى بداية القرن العشرين أى فى عهد الشيخ عبد الله بن جاسم حيث عقدت معـــــاهدة ١٩١٦ م وقد سبق الحديث عنها .

ولا شك أن عدم الاستقرار السياسى والعسكرى ،بالاضافة الى الحياة الاقتصادية المتدهورة التى كانت تعيشها المنطقة بصفة عامة ، وشظف العيش الذى كان يعيشه الانســـــان القطرى فى تلك الفترة ، كل ذلك كان سببا مبـــــاشرا فى الضمور الفكرى والتأخر الثقافى والأدبى فى البلاد .

فمن المعروف أن الثقافة لا تنمو وتترعرع ،والفكر لا يكدح زناده ويؤتى ثماره الا فى جو يسوده الأمن والاســتقرار ، ولم يتـــوفر ذلك الجو فى بداية تكوين الدولة وحتى بداية القرن الحالى .

وبعد هذه المقدمة التى لابد منها لوضع النقـــاط على الحروف كما يقولون ، نبدأ بدراسة الحياة الثقافية فى قطر من أوائل القرن التاسع عشر وحتى الوقت الحاضر .

كما سبق أن ذكرنا فى الفصل التاريخى أن هذه المنطقة كانت تعرف باسم البحرين وأحيانا بالخط ، وقد كان فيهــا من الأسواق الأدبية ما هو مشهور فى كتب الآداب والتاريخ، ومن أشهرها فى هذه المنطقة : هجر ، ودارين ، الجرعاء ، الزارة ، والمشقر (٣) ، وكانت هذه الأســـــواق الى جانب

---

(٣) الأدب العربى المعاصر فى شرقى الجزيرة (قسم الشـــعر) د . عبد الله المبارك ص ١٣ .

نشاطها الاقتصادى أسواقا أدبية وفكرية ، فهى الى جانب البيع والشراء تعقد فيها الندوات الأدبية ، وتلقى الاشعار ، ويتبارى فيها الفصحاء ، كما أنه كان يؤمها رجال الدين من الرهبان والأساقفة ليبشروا بالمسيحية التى انتشرت فى تلك المناطق ٠

وقد كانت هذه المنطقـــة رافدا أصيلا وفياضا فى اثراء الأدب العربى شعره ونثره منـذ الجاهلية وحتى العهـــد العباسى ، وكان من أشهر شعرائها فى الجـاهلية طرفة بن العبد ، والمتلمس والمثقب العبدى ، والممزق وغيرهم (٤) ٠

وظلت هذه المنطقة سباقة فى العطاء الفكرى والأدبى فى صدر الاسلام والدولة الأموية ففى العهد الأموى اشتهر من شعرائها قطرى بن الفجاءة زعيم الخوارج الازارقة والذى تحدثنا عنه فيما سبق ، وكانت للخوارج اتجـاهات وأفكار جديدة خرجوا بها وخالفوا غالبية المسلمين ، وانقسموا الى عدة فرق (٥) ٠

ثم ظهرت فى المنطقة فى العهـــد العباسى بعض المذاهب السياسية والفكرية كحركة الزنج ، والقرامطة وغيرهم (٦) ٠

كل ذلك يدل على أنه كان لهذه المنطقة دور فعال فى الحياة الفكرية والسياسية حتى عهد الدولة العباسية ٠

ولكن بعد التفكك والضعف الذى أصاب الدولة الاسلامية وسقوطها فى بغداد ، وما آلت اليه الأمة العربية من تمزق واختلاف وانقسام ، جعل هذه المنطقة فى البداية عرضـــة لهذه الانقسامات وفرضت الدولة العثمـانية وجودها على

---

(٤) المصدر السابق ، ص ١٠ ٠

(٥) قطرى بن الفجاءة ٠ ابراهيم يونس ص ١٧ ٠

(٦) أنظر المقدمة التاريخية ٠

المنطقة فى نفس الوقت بدأ الاستعمار الأوربى بمختلفأنواعه يدخل الى هذه المنطقة ، ومن ثم أصبحت هذه المنطقـــة فى حالة يرثى لها من التخلف الاقتصادى والفكرى ، فقد أنشغل أهل المنطقة بين حروب خارجية يحاولون مقاومتهـا ، وبين معارك جانبية داخلية يريد زعيم كل قبيلة أن يفرض سيطرته على القبائل الأخرى وكان لهذه الحالة المضـطربة أثره فى التدهور الاقتصادى مما أدى الى تدهور ثقـــافى وفكرى نتيجة لذلك ٠

واذا كانت حالة الركود والجمود الفكرى والثقـــافى قد شملت الوطن العربى بأسره فى فترة معينة الا أن هذه الحالة من التخلف قد طالت ، على هذه المنطقة بسبب السياســة الاستعمارية التى فرضتها بريطانيا على الخليج لكى تتمكن من استغلال ثرواته ، ولكى يتحقق لها ذلك فقد حاولت عزله عن العالم مما كان له أثر سىء على الحياة الثقافية والوعى القومى ٠

وعندما نريد أن نتحدث عن الحياة الثقافية والأدبية فى قطر من أوائل القرن التـــاسع عشر وحتى منتصف القــرن العشرين فان الباحث يواجه الصعوبات التى ذكرتها سابقا وفى مقدمتها :

(أ) الجمود الفكرى والنضوب الثقافى وقد بينا أسبابها ٠

(ب) عدم توافر المصـــــادر والمراجع التى تتحدث عن هذه الفترة ٠

ولذلك فسوف نحاول أن نلقى بعض الضوء على الحياة الثقافية والأدبية بما استطعنا الوصول اليه من خلال بعض الكتب التاريخية أو المصادر الشـــفوية التى استقيناها من بعض المهتمين بالحياة الأدبية والثقافية فى قطر ٠

ومن خلال المقدمة الجغرافية والتاريخية التى مرت بنـــا

فى هذا البحث رأينا أن مدينة الزبارة قد شـــــهدت تطورا اقتصاديا ، وأهمية سياسية وعسكرية كبيرة ، وأنهـــا قد استقطبت الكثير من التجارة فى الخليج ، مما كان له أثره فى اقبال الكثير من النجـــار والأثرياء اليها ، تلاه توافد العلماء والشعراء الى هذه المدينة ٠

ونظرا للحياة الاقتصادية المزدهرة التى كانت تعيشـها مدينة (الزبارة) فقد صحبتها حياة ثقافية نشـطة فى تلك الفترة ، فقد ذكر صاحب (تحفة المستفيد بتاريخ الاحسـاء فى القديم والجديد) ، أن هذه المدينــة عنـدما تعرضت للهجوم الفارسى بقيادة نصر بن مذكور عام ١٧٨٢ م ، « كانت مزدهرة بالثروة وتجارة اللؤلؤ ، وقصدها العلماء وفتحت فيهـــا المدارس ، وقصدها طلاب العلم ، وطلاب الرفد من أهلها الأسخياء » (٧) ٠

وعندما دخلتها القوات الوهابية عام ١٨٠٩ م كان فيهـا مجموعة من الشعراء فى مقـدمتهم الشـاعر المشـهور عبد الجليل الطباطبائى ، الذى طلب منه القائد الوهابى أن يصحح له قصيدة كان قد تقدم بها للقائد أحد الشـــعراء ، فرأى القائد ضعفها فطلب من الطباطبائى تصحيحها ، ولكن الأخير رفض ذلك لما فيها من تعريض ببعض أصدقائه وعلماء البلاد ولكن القائد أصر على ذلك فوعده الطباطبائى بانشاء قصيدة من عنده يمدح فيها الأمير الوهابى ويمجد هذا الفتح والتى نالت اعجاب القائد وبعث بها للأمير فى الدرعية (٨) ٠

وظلت مدينة (الزبارة) مزدهرة علميا واقتصـــاديا فى شبه الجزيرة القطرية حتى كانت عرضة لهجمـات متعددة من قبل الفرس والوهابيين ثم هجوم سلطان مسقط عليهـا

---

(٧) تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء فى القـــديم والجديد ٠ محمـد عبد الله الاحسائى ص ٦ ٠

(٨) ديوان عبد الجليل الطباطبائى ص ٧ ٠

وحصاره لها وعندما استولى عليها الوهابيـــون ، وتركها آل خليفة أخذ جمع كبير من الأدباء والعلماء والتجـــار فى مغادرتها وكان فى مقدمتهم الطباطبائى (٩) يقول من قصيدة طويلة يصف فيها الحصار المضروب حول المدينـــة من قبل سلطان مسقط وكان هو آنذاك فى مدينة البصرة لقضـــاء بعض مصالحه ، بينما كانت زوجتـــه وأولاده فى الزبارة ، وقد صور ذلك فى قصيدة طويلة يذكر فيها لواعجه وشوقه الى أهله ويصف ذلك الحصار المضروب حول المدينة والذى يحول بينه وبين الوصول الى زوجه وأولاده هناك ·

يقول الشاعر :

لك الله انى من فراق الحبـــائب
لفى لاعج بين الأضـــالع لاهب ·
أكابد أشـــواقا تكاد لفرطهـا
توقد فى جنبى نار الحبـــاحب ·
هـــواى زبارى ولست بكاتم
هواى ولا مصـغ للاح وعائب ·
أتوق اذا هب الجنـــوب لأننى
أشم الغوالى من مهب الجنـائب ·
نأت دار من أهـــوى وعز مزارها
ومن دونها قد حال قرع الكتائب ·
وسـد طريق القرب منها بخمسة
وخمسين جلا من عظام المراكب ·
ملاء جمـوعا للعـدا كل جحفل
يدك الرواسىمنزئير المقانب (١٠)

وبعد هذه الغزوات المتكررة على المدينة ، ثم ما تلاه من انتقـــال آل خليفة الى البحرين افتقدت الزبارة مكانتهـــا الاقتصادية والعلمية وأصبحت مدينة شبه مهجورة ولم تقم

---

(٩) القضية العربية فى الشعر الكويتى · خليفة الوقيان ص ١٩ ·

(١٠) ديوان عبد الجليل الطباطبائى ص ١ ، ٢ ·

فى قطر مراكز علميـــة معروفة فى تلك الفترة وحتى بداية القرن العشرين ٠

أما ما ذكره الأســـتاذ عبد العزيز المنصور (١١) من أن محمود الألوسى قد ذكر فى كتابه (تاريخ نجد) بأن الحيــاة الثقافية فى قطر كانت تنحصر فى وجود مدرستين ابتدائيتين ومجموعة من الشعراء منهم ابن عثيمين ، والطبـــاطبائى ، فاننى قد رجعت الى المصـــدر المذكور وهو (تاريخ نجد) للألوسى ولم أجد فيه شيئا من هذا القبيل ، اللهم الا ما ذكره الألوسى عن الحياة الثقافية فى الاحساء حيث يقول :

« وفى الخطة الاحسائية نحو عشرين مكتبا للصـــبيان يقرأون فيه القرآن العظيم ونحوه ، وفيها زهاء ثلاثين مدرسة تدرس فيها الفنون العربية ، والعلوم الدينية ٠٠ » (١٢) ٠

ولا أعلم اذا كان الأستاذ المنصور قد اســتخرج النتيجة من هذا النص وعلى أن قطر من الخطة الاحسائية ٠

أما بالنسبة للطباطبائى فهو قد عاش فى قطر فترة ازدهار الزبارة وقد سبق ذكره وسوف يكون موضع دراســـة عند دراستنا للشعر القطرى ، كذلك بالنسبة لابن عثيمين فهو قد صحب آل ثانى وله قصائد فيهم كما أنه حارب معهم ضـــد العجمان ٠ وقد ظل النظام السائد فى التعليم فى تلك الفترة وحتى بداية الخمسينات نظام الكتاتيب أو (المطوع) كما هو معروف فى المنطقة ، حيث ظل التعليم الدينى هو الأساس ، وذلك بأن يتعلم الطـــالب القرآن الكريم ، وبعض الأحاديث النبوية ، وقد يمتد ذلك الى اللغة العربية من نحو وشـــعر وسيرة ، وغالبا ما كان يقتصر هذا التعليم المحـــدود على أولاد المقتدرين والأغنياء ٠

---

(١١) التطور السياسى لقطر من ١٨٦٨ ـ ١٩١٦ م عبد العزيز المنصور ص ٢٠ ٠

(١٢) تاريخ نجد ٠ محمود شكرى الألوسى ص ٤٠ ط (٢) ٠

ونظرا للحياة المضطربة وخاصة فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر لا نرى للتعليم أى مكانة تذكر أو ربما لم تصل الينا أية معلومات عنه أو عن الحياة الثقافية فى هذه الفترة ، اللهم الا ما وصل الينا من أخبار بعض الشـــعراء وما تركوه من أشعار محدودة ربما ضاع أكثرها قبل طبعها فى دواوين فى وقت متأخر ٠

وأهم هؤلاء الشعراء الذين عرفناهم الشـــيخ قاسم بن محمد آل ثانى وهو المؤسس الحقيقى لدولة قطـر وقد كان شاعرا وعالما بأمور الدين ، يقول عنه أمين الريحانى : « ومن دواعى احسانه الورع والتقوى ، فقـــد كان حنبلى المذهب متصلبا فيه ، يصرف واردات أوقافه على الجوامع والخطباء بل كان هو نفسه يعلم الناس الدين ، ويخطب فيهم خطبـــة الجمعة » (١٣) ٠

ويفد على قطر فى تلك الفترة الشـــاعر النجدى المعروف محمد بن عثيمين الذى يلازم الشيخ قاسم بى ثانى وتلتقى ميولهما الأدبية فتقوى من هذه الزمالة والصـــداقة ، وفى نفس الفترة يظهر الشاعر القطرى المعروف ماجد بن صالح الخليفى وهو الى جانب نظمه بالفصحى كان ينظم بالعـامية وظهر بعده الشاعر محمد بن عبـــد الوهاب الفيحانى الذى اقتصر فى نظمه على الشعر النبطى (الشعبى) ٠

واذا كان التعليم النظامى قد بدأ ينتشر فى بلدان الخليج فى أوائل القرن الحالى فاننـــا مع الأسف نجد أنه قد تأخر دخوله فى قطر حيث ظل نظام المطوع هو النظام السائد فى التعليم حتى الخمسينات من هذا القرن ، وأشـــــهر هذه الحلقات العلميـــــة ـ مدارس تعليم القـرآن ـ التى كانت موجودة فى الدوحة فى هذه الفترة مدرسة (السنيدى) فى الجسرة ، ومدرسة عبد الحميد الدايل فى البـدع ، وكتاب

(١٣) تاريخ نجد وملحقاته ٠ أمين الريحانى ٠ ص ١١٤ ٠

ابن درهم فى فريق الغانم ، وكتاب حسن مراد ، ثم الى جانب هؤلاء كانت هناك السيدة آمنة محمود جيدة تقوم بتعليم البنات القرآن الكريم (١٤) ٠

وفى عهد الشيخ عبد الله بن قاسم بدأت تظهر بوادر أمل فى النهوض بالتعليم فى البلاد وذلك عندما استقدم الشيخ محمد بن مانع (١٥) من السعودية عام ١٩١٠ م ، حيث تولى القضاء والخطابة والتدريس فى قطر (١٦) ٠

وقد نشأت على يديه المدرسة (الأثيرية) التى كان الشيخ بن مانع هو المؤسس لها والمدرس فيها ، وذلك بعد أن قام بعض أعيان البلاد بالمساهمة فى انشائها وفى مقدمتهم خالد بن محمد الغانم وخليل ابراهيم الباكر (١٧) ، وقد استمرت هذه المدرسة من ١٩١٣ ـ ١٩٣٨ م (١٨) وكان من رعيلها الأول الذين تتلمذوا على الشيخ محمد بن مانع من رجال قطر وممن أسهموا فيما بعد فى خدمة الحياة الثقافية والأدبية فى البلاد ، الشيخ عبد الله بن تركى ـ أحد رجال التعليم فى قطر ـ والشيخ عبد الله الأنصارى وهو من رجال التعليم أيضا ، والشيخ عبد الله بن زيد المحمود ـ رئيس المحاكم الشرعية ـ والشاعر القطرى أحمد بن يوسف الجابر، والشيخ فالح بن ناصر ، والشاعر محمد بن عثيمين ٠

وفى تلك الفترة أى فى عام ١٩٣٨ م قام الشاعر والأديب

---

(١٤) التعليم العام فى قطر ـ مذكرات عن التعليم ٠ الدكتور كمال ناجى ٠

(١٥) الشيخ محمد بن مانع ولد فى (عنيزة) من أعمال نجد عام ١٣٠٠ هـ وتلقى علومه الأولى فى مدارس تحفيظ القرآن الكريم ، وبعدها سافر الى بغداد وقرأ على العلامة محمود شكرى الألوسى ، ثم سافر الى القاهرة ودرس فى الأزهر الشريف عاد بعدها الى السعودية وأصبحت له شهرة كبيرة فى المنطقة ٠

(١٦) مشاهير علماء نجد وغيرهم ـ الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ٠ ص ٤١٥ ٠

(١٧) رواية عن الأستاذ الشاعر أحمد يوسف الجابر فى ١٩٧٨/١/٢٨ م ٠

(١٨) التعليم العام فى قطر محاضرات ٠ للدكتور كمال ناجى ص ١ ٠

عبد الرحمن بن صالح الخليفى بتصنيف كتاب أدبى جمع فيه بعض المختارات الشعرية والأمثال والحكم والقصص التاريخية من التراث القديم وقد أسماه « بستان الأكياس والأفراد من النـاس » ، وبعدها بقليل ظهر مصنف آخر للشاعر والأديب عبد الرحمن بن عبد الله بن درهم وكانت تغلب عليه الروح الدينية . وذلك راجع الى نوعية الثقافة التى نهل منها ، وكتابه (نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار) كذلك عبارة عن مختارات شعرية اختارها المؤلف من التراث العربى قديمه وحديثه ، كما هو الحال بالنسبة للكتاب الذى سبق حديثنا عنه ، ولا شك أن هذا الاتجاه وهو الاختيار من السابقين أو تلخيص كتبهم وشرحها ونحو ذلك كان راجعا الى الجمود والركود الفكرى فعندما تعطلت الملكات عن الابداع اتجهت الى هذا النوع من التأليف كما هو الحال بالنسبة لفترة الركود والجمود التى عاشها العالم العربى من قبل .

وسوف يكون هذان المصنفان موضع حديثنا عند الحديث عن الحركة الأدبية .

ـ ٣ ـ

وبعد فترة قصيرة من بدء ظهور النفط فى البلاد عام ١٩٤٩ م وبعد أن أصبحت عوائد النفط تدر على البلاد ، قام الشيخ حمد بن عبد الله باستدعاء أحد رجال التعليم من الشارقة وهو الأستاذ/ محمد بن على المحمود ومعه ثلاثة مدرسين ، وتم افتتاح مدرسة شبه نظامية هى (مدرسة الاصلاح الحمدية) (١٩) ، وكان المنهج المتبع فى التدريس فيها هو المنهج المصرى، وكانت تدرس فيها العلوم الاسلامية، واللغة العربية ، والتاريخ والحساب ، وفى العام الثالث أدخلت اللغة الانجليزية (٢٠) .

---

(١٩) التعليم العام فى قطر ـ محاضرات ـ للدكتور . كمال ناجى ص ٢ .

(٢٠) نفسه .

ولعل أول مدرسة نظامية أنشئت فى قطر هى المدرســـة التى أنشئت عام ١٩٥١ م وكانت تضم (٢٤٠) طالبـــــا ، وبها ستة مدرسين (٢١) ٠

وفى عام ١٩٥٦ م تشكلت وزارة التربية والتعليم ، وكان أول وزيرا لها الشيخ خليفة بن حمد (أمير البلاد حاليا) ، وفى العام التالى ترك الوزارة لأخيه الشيخ قاسم بن حمد الذى ظل وزيرا للتربية والتعليم حتى عام ١٩٧٦ م حين انتقل الى رحمة الله ، وقد خطت قطر فى مجال التعليم خطـــوات كبيرة بفضل ما توفر لها من طفرة اقتصادية كبيرة كان لها أكبر الأثر فى تقدم التعليم وازدهاره فى البلاد ٠

وقد أنشئت أول مدرسة للبنات فى عام ١٩٥٤م ـ ١٣٧٤هـ وقد يكون السبب الرئيسى فى تأخر افتتاح المدارس للبنــات راجعا الى النظرة المتشددة التى كان ينظر اليها المجتمع فى تعليم الفتاة وخروجها من المنزل ، ولكن التعليم أخذ يشق طريقه فى تطور مستمر لكلا الجنسين ، ســـــواء كان هذا التطور من حيث الكم أو الكيف ، وقد بلغ عدد المدارس الآن وحسب احصائية ١٩٧٦ م حوالى (١١٨ مدرسة) منهـــا (٥٩) مدرسة للبنات ، ويبلغ عدد طلابهـــا حوالى (ثلاثين ألف) طالب وطالبة فى مختلف مراحل التعليم (٢٢) ٠

البعثات : وقد تم ارسال أول بعثة تعليميـــــة للخارج للدراسات الجامعيـــــة فى عام ١٩٥٩ م ، وقد كانت الدولة تقوم بارسال معظم الطلبة الذين ينهون المرحلة الثـــانوية وتكون لديهم الرغبة فى مواصلة الدراسة وهذه البعثـــات موزعة على كثير من الجامعـــات العربية والأجنبيـــة وفى مختلف التخصصات ٠

ولا شك أن لهذه البعثات التعليمية دورا كبيرا فى تنميــة

---

(٢١) نهضة قطر ص ٣٩ ٠

(٢٢) حصاد الموسم الثقافى ـ الجزء الثالث ص ٢٦٠ ـ (وزارة التربية) ٠

المواهب واكتساب ثقافة غزيرة ومتنوعة عن طريق التعليم الجامعى ومن خلال المجتمعات التى يتلقون فيها تعليمهم ، فقد ســاعدت هذه البعثات الشباب القطرى على الاطلاع والانفتاح على التيارات الثقافية والأدبية التى تعيشها تلك المجتمعات التى يغشونها ٠

كما أن اســتقدام المدرسين وغيرهم من المثقفين الذين وفدوا على البــلاد كان له أثر كبير فى بث الوعى العلمى والثقافى فى البلاد ٠

كليتا التربيــة :

وقد توجت النهضــة التعليمية فى البلاد بافتتاح كليتى التربيــة للمعلمين والمعلمات فى عام ١٩٧٣ م ، والكليتان تضمان أقساما مختلفة ، ولكن كل هذه التخصصــات تدور حول محور أساسى هو الاعداد التربوى لخلق المعلم المؤهل علميـا وتربويا لتحمل مسئولية التعليم فى البلاد ، ونظــام الدراسة بهما يقوم على نظام الساعات المكتسبة (وهو نظام أمريكى) حيث أن الطالب بامكانه أن ينهى عدد الســاعات المقررة لنيل درجــة (البكالوريوس) فى أقل من أربع سنوات كما هو متبع فى النظام التقليدى ، وذلك راجع الى اجتهــاد الطالب وقدراته العلمية ، ولكن هذا لم يطبق عمليا حتى الآن فى الكلية ، حيث تستغرق الدراسة أربع سنوات ٠

ولا شك أن لافتتاح هاتين الكليتين أثرا على الحيــاة الثقافية فبالاضافة الى كونها مرحلة تعليمية عالية وتكملة للهرم التعليمى فى البلاد ، فهى كذلك مكسب من حيث أعضاء هيئة التدريس ذوى الخبرة العلمية ، والتى بدأت نشاطاتهم تظهر فى المواسم الثقافية والندوات العلمية ، وعن طريق أجهزة الأعلام ٠

وممــا هو جدير بالذكر أن هاتين الكليتين همــا نواة

للجامعة القطرية التى يجرى الاعداد لاستكمالها فى السنوات القادمة (*) ٠

المكتبات العــــامة :

ولعل هذا النوع من المكتبات لم تعرفه البلاد الا فى وقت متأخر وذلك فى منتصف الخمسينات حيث تم افتتـــــاح دار الكتب القطرية وكانت بدايتها مجموعة من الكتب التى تبرع بها المدرسون ، ثم تولت أمرها الدولة فى عهـــد الشــيخ على بن عبد الله الذى جلب لها الكثير من الكتب من الخارج، وفى عام ١٩٦٢ م أنشىء للــــدار مبنى خاص ومصمم على أساس علمى لهذا الغرض (٢٣) ٠

وفى عام ١٩٦٣ م ضمت هذه الدار الى دائرة المعــارف (وزارة التربية والتعليم حاليا) ، وتضم الدار فى الوقت الحاضر مجموعة كبيرة من مختلف الكتب والدوريات ، كما أن بها مجموعة كبيرة من المخطوطات النادرة التى استطاعت الدار الحصول عليها من المكتبات والمتاحف العالمية ٠

وتحتوى الدار على قاعة كبيرة خاصة للمطالعات تتوافر فيهـــا بالاضافة الى الكتب مجمـــوعة كبيرة من الصحف والمجلات والدوريات ، كما أن بالدار قاعة أخرى خاصـــة بالأطفال مجهزة بكتب مبسطة ومنوعة تتناسب ومستوياتهم ٠

وقد قامت الدار بطبع مجموعة كبيرة من الكتب الدينيــة والأدبية وتوزيعها بالمجان على الجمهور ٠

ونذكر بعضا من هذه الكتب التى طبعت ووزعت على نفقة الدار :

---

(٢٣) نهضة قطر ص ٥٧ ٠

(*) ملاحظة : بدأ فى العام المنصرم ١٩٧٨ م افتتاح جامعة قطر وهى تضم أربع كليات هى : كلية الدراسات الانسانية ، وكلية الدراسات الاسلامية ، وكلية العلوم ٠ الى جانب كليتى التربية ٠

١ - العدة فى شرح العمدة (فقه) تأليف بهاء الدين المقدسى .
٢ - غاية المنتهى فى الجمع بين الاقناع والمنتهى - تأليف مرعى بن يوسف الحنبلى .
٣ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - لشيخ الاسلام ابن تيميه .
٤ - كتاب الفروع - شمس الدين المقدسى .
٥ - مشكاة المصابيح - لولى الدين التبريزى .
٦ - الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية - لابن القيم الجوزية .

الى جانب العديد من الكتب الدينية التى طبعت على نفقة الدولة وتقوم الدار بتوزيعها (٢٤) .

وهناك العديد أيضا من كتب الأدب التى طبعت ووزعت منها :

١ - نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والاشعار - لعبد الرحمن بن درهم .
٢ - شرح مقصورة ابن دريد - للخطيب التبريزى .
٣ - ديوان أحمد بن على بن مشرف .
٤ - ديوان ابن دراج القسطلى .
٥ - ديوان على بن مقرب العيونى .
٦ - مختار الأغانى - لابن منظور الأفريقى المصرى .
٧ - ديوان ذى الرمة .

والى جانب العديد من الكتب التى قامت الدولة بنشرها وتوزيعها من كتب التراث العربى ، كذلك أولت اهتمامها بالشعراء القطريين فقامت الدولة بجمع أشعار بعض هؤلاء الشعراء وطبعها ، سواء كان منها الفصيح أو الشعبى . وأهم هذه الكتب :

١ - روض الخل والخليل ديوان السيد عبد الجليل .

---

(٢٤) فهرس مطبوعات الشيخ على بن عبد الله .

٢ - ديوان قاسم بن ثانى - (نبطى) ٠
٣ - ديوان الفيحـــــانى (نبطى) ٠
٤ - ديوان الخليفى (فصيح - ونبط) ٠
٥ - القطريات
٦ - دوحة البلابل عبد الرحمن المعاودة ٠
٧ - لسان الحال

ونكتفى بهذا القــدر من ذكر بعض الـكتب التى طبعت ووزعت على الجمهور مما كان له أثر كبير فى انتشار الوعى الثقافى وايقاض الحياة الفكرية والأدبية فى البــلاد ٠ ولا زالت الدار تساهم مساهمة فعالة فى الحياة الثقــافية والأدبية فى البلاد ٠ الى جانب تعاونهــا الايجــابى مع الباحثين والدارسين ٠

الأندية الأدبية والثقافية :

أما بالنسبة للأندية الأدبية فلم يظهر فى قطر شىء من هذا القبيل على الرغم من أهميتـــه فى دفع الحركة الأدبيــة وتطورها ، وأخيرا قامت (ادارة رعاية الشــباب) بتنظيم الأندية الموجودة فى قطر وكلها أندية رياضية ، ولكن الادارة خصصت أحد هذه الأندية وهو (نادى الجسرة) لكى يكون ناديا ثقافيا واجتماعيا ويهتم بتنمية المواهب الفنيــة لدى الشباب كما يعمل على اقامة المعارض الفنية ، واحيــاء الندوات الثقافية ، الا أن ليس له نشاط يذكر فى هذا المجال على الرغم من الدعم المادى الذى تقدمه الدولة لهذا النادى ٠

المركز الثقافى :

وفى عام ١٩٧٦ م افتتح المركز الثقافى الذى عرف فيما بعد باسم « ادارة الثقافة والفنون » ، ولا شك أن افتتاح مثل هذا المركز قد جاء متأخرا بالقيــاس الى التغيرات الكبيرة التى تعيشها قطر بين عهدين ، مع أن - انشـــاء مثل هذا

المركز من أهم العوامل التى تساعد على تقدم الحياة الثقافية والفكرية فى البلاد ٠

وعلى أية حال فان هذا المركز على الرغم من قصر الفترة التى مرت على انشائه الا أنه بفضل المسئولين والقائمين عليه من الشباب يقوم فى الوقت الحاضر بدور فعال فى تنشيط الحركة الثقافية والأدبية فى مختلف المجالات ، فهو الى جانب المحاضرات والندوات الثقافية التى يقيمها بين آن وآخر ، يقوم كذلك بالاعداد لنشر بعض الكتب والدواوين التى تتصل بالتراث القطرى ومن أهمها :

١ ـ العمل على طبع ديوان محمد بن عبد الوهاب الفيحانى ، واستدراك بعض أشعاره التى لم تجمع فى الطبعات السابقة للديوان ٠

٢ ـ الاعداد لطبع كتاب حول التراث الشعبى فى قطر ٠

كذلك يقوم المركز الثقافى بالعمل على اقامة المعارض الفنية والعمل على تنمية المواهب الفنية وتشجيعها ٠

وتحتوى (ادارة الثقافة والفنون) على عدة أقسام أهمها :

(أ) نادى الشعر النبطى (الشعبى) الذى يعد بمثابة ملتقى لشعراء النبط فى قطر ٠

(ب) المكتبة العامة وتحتوى على مجموعة كبيرة من الكتب الأدبية والثقافية فى الفن والموسيقى والمسرح ٠

(ج) قسم المسرح : ومهمته الاشراف على المسارح فى قطر والتعاون معها ماديا وأدبيا ٠

(د) قسم الموسم الثقافى : ومهمته الاشراف على الندوات والمحاضرات الثقافية والتنسيق لها ٠

الصحافة المحلية ودورها فى الحياة الثقافية والأدبية :

ولم يكن ظهور الصحافة من حيث التأخر الزمنى بأفضل من غيرها من الوسائل والعوامل المؤثرة فى الحياة الثقافية، فقد جاءت هى الأخرى فى وقت متأخر جدا ، كما كان الحال بالنسبة للتعليم والمنتديات والمكتبات وغيرها ٠

وقد ظهرت الصحافة المحلية فى أواخر الستينات أى فى عام ١٩٦٩ م حيث صـــدرت أول مجلة قطرية هى (مجلة العـــروبة) التى أصـــدرها عبـــد الله حسين نعمـــة ، وكانت مجلة أسبوعية سياسية اجتماعية وذلك هو الطابع الغالب عليها ، أما الناحية الأدبية فيهـــا فقد كانت ضعيفة ولعل السبب فى ذلك راجع الى عدة أسباب أهمهـــا ، أن المشرفين على هذه الـــزاوية (الأدب) لم يكونوا من ذوى التخصص كما أن تجاوب الأقلام المحليـــة مع هذه المجلة لم يكن ايجابيا على الرغم من أنها كانت أول مجلة تصدر فى البلاد، بالاضافة الى كونها ظهرت فى وقت متأخر جدا بالنســـبة لانتشار التعليم والانفتاح الثقافى على العالم وما شـــهدته البلاد من تغيرات فى جميع نواحى الحياة ٠

أقول مع ذلك كله فان المتصفح للمجلة يحس بذلك النضوب الفكرى والأدبى وانحساره على صفحاتها وخاصة بالنسبة للأقلام المحلية ٠

ولكنها مع ذلك كان لها فضلها فى تشجيع بعض الأقلام الشابة ونشر انتاجهم وتعريف القراء به خاصـــة فى بداية عهدها ، كما أنه كان لها فضل الريادة الصحفية فى البـــلاد حيث أنها أول مجلة تصدر فى قطر ٠

مجلة الدوحة :

وهى مجلة ثقافية شهرية تصدر عن وزارة الأعلام وقد

صدر العدد الأول منها فى رمضان ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م وقد ساهمت هذه المجلة فى الحركة الثقافية والأدبية ، وفى بداية عام ١٩٧٦ م قامت وزارة الأعلام بتطوير هذه المجلة بعد أن قامت بالاتفاق مع مجموعة من كبار الكتاب والمفكرين فى الوطن العربى للكتابة فيها وأصبحت المجلة ذات طابع عربى عام أى أنها مجلة ثقافية عربية غير اقليمية ، فهى شبيهة « بمجلة العربى » التى تصدر فى الكويت • ولذا فان اهتمام المجلة بالموضوعات المحلية قليل ونادر ، باستثناء ما يكتبه محمد جابر الأنصارى - من أسرة التحرير فى المجلة - فى باب خاص باسم « الأدب الجديد فى الخليج » •

كما أن وزارة الأعلام قامت باصدار مجلة أخرى فى عام ١٩٧٦ هى مجلة (الخليج الجديد) وهى مجلة شهرية وتختلف عن الأولى فى أنها ذات طابع محلى من حيث اهتمامها بالمواضيع المحلية والخليجية بصفة عامة •

مجلة العهد :

وهى مجلة أسبوعية صدرت عام ١٩٧٤ م ، ولا نكون مبالغين اذا قلنا أن مجلة العهد على الرغم من أنها صدرت فى وقت متأخر الا أن رصيدها بالنسبة للأقلام المحلية أكبر من غيرها ، ولهذا فاهتمامها بالحياة الأدبية وخاصة بالنسبة للأقلام المحلية بات ملحوظا ، وهناك العديد من الأقلام القطرية الشابة ذات الميول الأدبية قد اتخذت لها زاوية أو صفحة فى هذه المجلة نذكر من هذه الأقلام الشابة الأستاذ/ خليفة عيد الكبيسى الذى يكتب فى باب ثابت سماه (أضواء كاشفة) مقالات أدبية وموضوعات اجتماعية • كما أن هناك بعض الفتيات القطريات اللواتى أخذن يساهمن فى المجال الأدبى والفكرى فى البلاد من أمثال كلثم جبر ، وغيرها ، كما أن مجلة (العهد) تقوم بتبنى مشروع أدبى جليل وهو مساعدة المواهب الأدبية وتشجيعها وذلك من خلال قيامها بنشر انتاج هؤلاء الناشئة فى كتاب دورى

أسمته (كتاب العهد) ، وقد صدر منها حتى الوقت الحاضر عددان : « الســـاعة والنخلة » للأديب خليل الفزيع وكتاب (أنت وغابة الصمت والتردد) لكلثم جبر ، وسوف نعرض لهما أثناء حديثنا عن النثر الفنى فى فصل لاحق ٠

ولا شك أن هذا الاهتمام الذى توليـــــه مجلة (العهد) للحركة الأدبية راجع الى كون رئيس تحريرها أديبا قبل أن يكون صحفيا (٢٥) ٠

والى جانب المجلات الســـالفة الذكر توجد مجلات أخرى ذوات طوابع معينة كمجلة (الجوهرة) مهتمة بشئون المرأة، ومجلة (الصقر) عن القوات المسلحة ، و « ديارنا والعالم » وجريدة يومية (العرب) تصدر عن مؤسسة العروبة ٠

الندوات والمحاضرات :

ولعلنا لا نكون مبـــالغين اذا قلنا أن هذه النـــدوات والمحاضرات لها دور فعال لا يقل من حيث الأهمية عن دور الصحافة وغيرها من وسائل النشر فى تنمية الحياة الفكرية، ونشر الوعى الثقافى ، بين الجمهور ٠

والندوات والمحاضرات الثقافية فى قطر بدأت تقريبا فى أوائل الستينات ولكنها لم تكن منتظمة وانما كانت تخضع للمناسبات والظروف كالمناسبات الدينية أو الزيارات التى يقوم بها بعض العلماء والمفكرين والأدباء للبـلاد فيقومون بالقاء مثل هذه المحاضرات ٠

ولكنها فى بداية السبعينات أخذت تظهر بشـــكل واضح ومنظم حيث قامت وزارة التربيـــة والتعليم عام ١٩٧٣ م

---

(٢٥) هو الأستاذ خليل ابراهيم الفزيع له العديد من المقالات الأدبية ، ومجموعة من القصص القصيرة ، كما أن له كتابا مطبوعا تحت عنوان « أحاديث فى الأدب » ٠

بتنظيم هذه المحاضرات فى مواسم معينـــــة وتوزع هذه المحاضرات على الموسم الثقافى مع العمل على تنويع هذه المحاضرات بحيث تشـــمل جميع النواحى الفكرية (٢٦) ، وذلك بدعوة كبار العلماء والمفكرين من الدول العربيـــة والأجنبية لالقاء مثل هذه المحاضرات والندوات ٠

وتقوم وزارة التربية والتعليم بطبع هذه المحـــاضرات فى كتب دورية حيث يتم توزيعها على المؤسسات والمكتبات والجمهـــور ٠ ولا شك أن لهذا العمل دورا كبيرا فى نشر الوعى الثقافى وتهيئة الجو الفكرى ونموه فى البلاد :

ونظرة سريعة الى عناوين بعض هذه المحاضرات يدلنا على مدى التنوع ، ثم مدى اهتمام المســئولين عنهـــا فى اختيارهم للشخصيات ذات السمعة العلمية ودعوتهم لها ٠

فمن هذه المحـــــاضرات : (الموسم الثقـــــافى الأول ٧٣/١٩٧٤ م) :

١ ـ أضواء على بعض قوانين القرآن ٠ د ٠ عبد الحليم محمود (٢٧) ٠

٢ ـ المشاكل المعارضة فى التفكير العربى المعـــــاصر ٠ د ٠ عمر فروخ (٢٨) ٠

٣ ـ مشـــكلات اللغـــة فى العصر الحديث ٠ د ٠ كمال بشر (٢٩) ٠

وفى الموسم الثقافى الثانى ٧٤/١٩٧٥ م

---

(٢٦) حصاد الموسم الثقافى لعام ٧٣/١٩٧٤ م عن وزارة التربية والتعليم ٠

(٢٧) حصاد الموسم الثقافى (جا) ٧٣ ـ ١٩٧٤ م عن وزارة التربية والتعليم ٠

(٢٨) نفســه ٠

(٢٩) نفســه ٠

منها هذه المحاضرات :

١ ـ قسمات العالم الاسلامى • د • مصطفى مؤمن •

٢ ـ الشعر النبطى امتداد للشعر الفصيح • عبد الله خميس •

٣ ـ رباعيات الخيام • د • المستشرق برند فاشر •

ومن حصاد الموسم الثقافى الثالث (٣٠) هذه المحاضرات :

١ ـ أمسية شعرية • د • صالح خرفى من (الجزائر)

٢ ـ المرأة والتنمية • د • سهير القلماوى •

٣ ـ ملامح الحداثة فى الأدب العالمى • د • حسام الخطيب من (سوريا) •

٤ ـ أمسية شعرية • د • عاتكة الخزرجى من (العراق) •

الى جانب العديد من المحاضرات والندوات التى تتناول مختلف النواحى الفكرية والعلمية والتى تتخلل المواسم الثقافية فى البلاد ولها كبير الأثر فى ايقاظ الحياة الفكرية والثقافية •

كما أنه من الجدير بالذكر أن كليتى التربية تقومان بنفس الدور فى اقامة المواسم الثقافية من خلال أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة بالاضافة الى الأساتذة الزائرين ، وتقوم الكليتان كذلك بطبع هذه المحاضرات وتوزيعها وقد أسمت مجموعة هذه المحاضرات « من ثمار الفكر » •

وهكذا نرى أن بداية السبعينات كانت نقطة تحول ملموس فى ظهور عوامل فعالة فى دفع الحركة الثقافية والأدبية نحو النمو السريع والتطور المستمر على أساس فكرى متكامل ووعى ثقافى سليم •

---

(٣٠) حصاد الموسم الثقا ى ج ٣ ٧٥ ، ٧٦ ، ١٩٧٧ م عن وزارة التربية والتعليم •

الفصـل الرابع
الحركة الأدبية فى قطر

ـ ١ ـ

حين نتحدث عن الحركة الأدبية فى هذا الفصل سنحاول الايجاز والتخصيص وذلك لأننا أثناء حديثنا عن الحيـــاة الثقافية فى الفصل السابق ، كنا قد تطرقنا الى الحيـــاة الأدبية باعتبارها جزء من الحياة الثقافية ، ولعدم التكرار فقد حاولت الايجاز ٠

كما أننى ســـوف أقسم الحيـــاة الأدبية فى قطر الى مرحلتين : ـ
المـرحلة الأولى : وتبدأ من أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن الحالى ٠
والمرحلة الثانية : تبدأ من بداية النصف الثانى من هذا القرن وحتى الوقت الحاضر ٠

وقد بنيت هذا التقسيم على أســاس التغير الكبير الذى حدث فى المجتمع القطرى وهى فترة الانتقـــال من مجتمع الصيد والرعى الى مجتمع النفط والصناعة ٠

فكان لهذا التغير الاقتصادى المفاجىء والطفـرة المادية الكبيرة التى شهدها المجتمع أثره فى قلب نظم الحيـــاة ووسائل المعيشة رأسا على عقب ، مما أدى بدوره الى تغير فكرى وثقافى نتيجة لانتشار التعليم والانفتاح الثقافى الذى شهدته البلاد عن طريق البعثـــات وغيرها من الأمور التى ذكرناها فى الفصل السابق ٠

ولقد كان من نتيجة ذلك أن بدأت مرحلة جديدة فى حيـاة الانسان القطـرى تختلف عن المرحلة الأولى فى تفكيرها ،

وثقافتها ، ومدى تفهمها للحياة الجديدة ٠ ولابد تبعا لذلك أن يكون للأدب نصيب من هذا التغير وهو ما سوف نشهده فيما يأتى من فصول ٠ ولكن الذى يجب أن نلحظه أن هذا التقسيم ليس حدا فاصلا بين مرحلتين وذلك بالقول بأن كل مرحلة مستقلة عن سابقتها استقلالا تاما ، ومغايرة لها على الاطلاق ٠ فهذا أمر لا يقبله المنطق ، ولا يتمشى مع حقائق التاريخ ٠

حيث أن تغير الحياة الفكرية والأدبية لا يكون بين عشية وضحاها ، بل لابد من وجود فترة طويلة لكى يتم هذا التغير٠ وهذا هو ما نشهده فى الوقت الحاضر من وجود هوة كبيرة بين التغير المادى الذى تشهده البلاد وبين التغير الفكرى والأدبى الذى لا يزال فى مرحلة النمو ٠ بالاضافة الى ذلك فاننا نجد أن الكثير من انتاج المرحلة الثانية ما هو الا تصوير للحياة فى المرحلة الأولى ٠

أى أن الكثير من أدبائنا الشباب عاد ليتخذ من الماضى مادة لأعماله الفنية المعاصرة ولكن بعد أن يصبغها بصبغة العصر ويلونها بثقافته الحديثة ٠

اذن فالصلة بين المرحلة الأولى والمرحلة الثانية صلة وثيقة وخالدة ولكن الفرق بين المرحلتين يبدو فى نوعية هذا الانتاج وكمه ، ومدى مجاراته لثقافة العصر وارتباطه بالبيئة التى نتج عنها ٠

وعلى هذا الأساس كان تقسيمنا الحياة الأدبية فى قطر الى مرحلتين :

ـ ٢ ـ

المرحلة الأولى :

وتبدأ هذه المرحلة من أوائل القرن التاسع عشر وتنتهى

بنهاية النصف الأول من القرن الحـــالى أى من ١٨٠٠ ـ ١٩٥٠ م ٠

وأول ما يصلنا من نتاج هذه المرحلة هو ديوان الشــاعر عبد الجليل الطباطبـــائى وهو عراقى المولد ٠ ولكن نظرا لمكوثه فترة طويلة فى (الزبارة) وظهور الكثير من الحوادث السياسية المحلية فى أشعاره فقد رأيت أن أعتبر هذا الانتاج أو هذه الأشعار من الأدب القطرى ـ وسوف نـنـــاقش ذلك عند حديثنا عن الشعر القطرى ـ وبعد مغادرة الطباطبائى لقطـــر فى حوالى عام ١٨١٠ م مع من ارتحلوا بعد خراب الزبارة (١) ، ظلت الحياة الأدبية فى ركود أو شبه مجهولة ولم يصلنا شىء عنها ، اللهم الا بعض الأشعار النبطية وكان الرائد لها الشيخ قاسم بن محمد بن ثانى حاكم البـــلاد آنذاك ٠ وفى نهاية القرن التـــاسع عشر ظهر الشـــاعر ماجد بن صالح الخليفى ، وهو أحد الشعراء الذين نظموا بالفصحى والعاميـــة ولـكنه لم يعمـر طويلا ـ ١٨٧٣ ـ ١٩٠٧ م (٢) وقد كان انتاجه محدودا ٠ وفى نفس الفترة وفد على قطر الشاعر النجدى الكبير محمد بن عثيمين الذى لازم حكامها فترة طويلة وسخر شعره لمدحهم ، كما أنه خاض بعض المعارك مع القطريين ضد أعدائهم (٣) ، وجاءت بعض قصائده مصورة لهذه الحوادث ٠ وممن تتلمذ على الشاعر ابن عثيمين وتأثر به فى قطر الشاعر القطرى أحمد بن يوسف الجابر ، الذى يعتبر من الشعراء الذين عاصروا المرحلتين وانتاجه يشمل الفترتين ، وان كان أكثر نتــاجه فى المرحلة الثانية ، ومن أدباء المرحلة الأولى أيضا الشاعر محمد بن حسن المرزوقى وهو شاعر تذكر بعض المصادر أنه كان حاد المزاج له مهاجاة مع كثير من شعراء عصره (٤) من أمثـال

---

(١) القضية العربية فى الشعر الكويتى ٠ خليفة الوقيان ص ١٩ ٠

(٢) ديوان ماجد الخليفى ص ٤ ـ ٦ ٠

(٣) ديوان ابن عثيمين ص ١٢ ٠

(٤) ديوان ماجد الخليفى ص ٣ ٠

النبهانى وغيره ، وربما دفعه الى ذلك هو أن النبهانى كان يقف موقفا عدائيا بالنسبة للقطريين يتضـح ذلك من كتابه (التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربيـــة) كما أن النبهانى كان ضد الوهابية ، التى كان الشاعر القطرى من المتحمسين لها ـ وعلى الرغم من أن الشاعر المرزوقى قد عاش فى النصف الأول من القرن الحالى الا أننا لم نستطع معرفة الكثير عنه وعن أشعاره سوى قصيدتين احداهما فى كتاب «نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والاشعار» لابن درهم ٠ وهى قصيدة طويلة قالها فى مدح الشيخ عبد الله بن قاسم مطلعها :

تدوم بالعز والاقبـــال والظفر
فى نعمة الله تبقى مدة العمر (٥)

والقصيدة الأخرى فى رثاء الشيخ قاسم بن محمد وهى قصيدة طويلة سوف نعرض لها فى فصل لاحق ٠

كما يذكر صاحب نزهة الأبصـــار أن للشـــاعر المذكور قصيدة رثاء أخرى فى صـــديقه عبد الله الخاطر ، ولكنها مفقودة (٦) ٠

أما بالنسبة للنثر الفنى فى هذه المرحلة فلا نكاد نحصل أو نعثر على شىء يذكر بهذا الصدد الا بعض الرســـائل الاخوانية أو المراســـلات الســـياسية التى كانت تدور بين الحكام فى المنطقة أو بين حكام قطر والمقيم البريطـانى فى المنطقة ومعظمها رسائل باللهجة العـــامية وذات أسلوب ركيك ، وســـوف نعرض لبعض هذه الأنواع النثرية فى موضـــعه ٠

أما التأليف فى الفترة الأولى فكما ذكرنا ســـابقا أنه لـ

(٥) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار ـ عبد الرحمن بن درهم جـ٣ ص ١٠٧٢ ط دمشق ٠

(٦) المصدر السابق ص ١٠٥٨ ٠

يكن هناك نشاط فكرى ذو أهمية وذلك بسبب الأميــة وعدم انتشار التعليم بالاضافة الى عدم الاستقرار · وكل ما نجده من ثمار تلك الفترة كتابان لأديبين قطريين هما عبارة عن مختارات شعرية ونثرية من التراث العربى :

وأولهما : كتاب « بستان الأكياس والأفراد من الناس » للشاعر والأديب عبد الرحمن بن صالح الخليفى ، الذى قام بتأليفه عام ١٩٣٨ م (٧) ·

والكتاب فى مجموعه عبارة عن مختــــارات من التراث العربى يجمع بين النثر والشعر ، فمن حكمة مأثورة الى مثل سائر ، أو قصة لطيفة ، الى جانب بعض الحوادث التاريخية المشهورة فى أيام العرب كحرب داحس والغبراء والبسوس وغيرها (٨) ·

والمؤلف يجمع فى مختاراته الى جانب الهدف التعليمى من وعظ وارشاد وحث على المكارم ، الترويح والتسلية والترفيه بما يسوقه فى كتابه من ملح وحكايات · وهذه بعض النماذج من الكتاب نسوقها لتعطى بعض ملامح عن صورة الكتاب المذكور ينقل المؤلف فى الحكم :

« من قعد عن حيلته أقامته الشدائد ، ومن نام عن عدوه أيقظته المكايد ، من قرب السفلة واطرح ذوى الاحســـــاب والمروءات استحق الخذلان » (٩) ·

ثم بعد ذلك يأخذ فى سرد بعض الوقائع والحــروب التى

---

(٧) ولد عبد الرحمن الخليفى عام ١٣١٠ هـ - ١٨٩٠ م أخذ عن الشيخ يعقوب بن يوسف حيث درس علوم الدين والعربية ، وكان مغرما بالأدب ، وله ديوان شعر (أحرقه) فى حياته توفى ١٩٤٣ م ·

(٨) بستان الأكياس والأفراد من الناس · عبد الرحمن الخليفى ص ١١٢ ·

(٩) المصدر السابق ص ١٢ ·

كانت تحدث أيام الجاهلية كحرب داحس والغبراء ، وحرب البسوس ، الى جانب بعض الخطب المشـــــهورة ، كخطبة الحجاج بن يوسف الثقفى عندما دخل العراق (١٠) .

وحين يختار من الأشعار نراه يكثر من شعر الحكم ، كما يكثر من القصائد التى تتسم بالفخر والاعتزاز بالنفس ، أو تدعو الى المكارم والصفات الحميدة ، وهذا طابع غالب على اختيار المؤلف . وهذه بعض من مختاراته الشـعرية والتى تدل على اتجاهه العام فى الاختيار :

ينقل عن الطرماح بن حكيم قوله : (١١)

لقد زادنى حبـــــا لنفسى أننى
بغيض الى كل امرء غير طائل .
وانى شقى باللئـــام ولن ترى
شقيا بهم الا كريم الشمائل .

وقول المتنبى : (١٢)

لا يسلم الشرف الرفيـع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم .
والظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفــــــة فلعــــلة لا يظلم .
والذل يظهــــــر فى الذليل مودة
وأود منـــــــه لو يود الأرقم .
أفعـــــال من تلد الكرام كريمة
وفعال من تلد الأعاجم أعجم .

وكما ذكرنا سابقا أن الاتجاه التعليمى هو المسيطر على اختيار المؤلف فى كتابه فمثلا يسوق قصيدة طويلة للشاعر عبد الجليل الطباطبائى ، وكلها حث على المكارم ودعوة الى

---

(١٠) نفسه ص ٨٧ .
(١١) نفسه ص ١٤٠ .
(١٢) المصدر السابق ص ١٦٧ .

التمسك بالصفات الحميدة ، تتخللها الحكم والمواعظ ، مطلعها : (١٣)

أحسن جنى الحمد تغنم لذة العمر
وذاك فى باهر الأخلاق والسير ٠
هم الفتى الماجد الفطريف مكرمة
يضوع نادى الملأ من نشرها العطر ٠

والقصيدة طويلة حوالى (١١١) بيتا كلها حث على المكارم ووعظ وارشاد ، ورسم للطريق الذى يجب أن يسلكه الانسان للفوز بالدنيا والآخرة ٠

ويختتم المؤلف كتابه ببعض القصائد التى نظمها هو وهى قصائد فى المدح والوصف والدعابة يتناول فى بعضها الأمور والجوانب البسيطة فى الحياة ليتخذ منها مادة لأشعاره كقصيدة (الفخ) وهى آلة بدائية كانت تستخدم فى صيد الطيور ٠

وربما تكون هذه القصائد التى للمؤلف قد ألحقها بالكتاب ابن المؤلف الأستاذ يوسف بن عبد الرحمن الخليفى وذلك حين قام بنشر الكتاب ، حيث أن المقدمات التى وضعت لهذه القصائد كلها على لسان الناشر (١٤) ٠

كما أنه مما يلاحظ على الكتاب أن المؤلف لم يلتزم بنظام معين فى كتابه من حيث التبويب والتقسيم بل هو ينتقل من موضوع فى النثر الى قصيدة فى الشعر ، ومن حادثة اسلامية الى حكاية جاهلية ، دون الالتزام بنظام معين سواء من حيث الموضوعات التى يتناولها ، أو من حيث الترتيب الزمنى ، وانما جارى النهج القديم الذى كان يتبعه المؤلفون العرب ، كالأغانى ، والعقد الفريد ٠

---

(١٣) المصدر السابق ص ١٨١ ٠

(١٤) المصدر السابق ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ٠

والكتاب الثانى الذى ظهر فى نفس الفترة هو كتاب «نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والاشعار » للأديب والشاعر عبد الرحمن بن عبد الله بن درهم (١٥) ٠ والكتاب أيضا عبارة عن مختارات من التراث العربى قديمه وحديثه ، يجمع فيه بين الشعر والنثر ، وان كان الأول هو الفن الغالب على الكتاب ، ويقع فى مجلدين فى آخر طبعة له وهو عبارة عن ثلاثة أجزاء ، وتتجاوز عدد صفحاته الألفين (١٦) ٠

والكتاب كما يتضح من مقدمة المؤلف أنه ألفه عام ١٣٥٩ هـ ــ ١٩٤٠ م (١٧) الا أننا نرى أن المؤلف فى نهاية الكتاب يذكر تأريخا مغايرا لما ذكره فى المقدمة حيث يذكر أنه انتهى من تأليفه للكتاب عام ١٣٥٥ هـ ــ ١٩٣٦ م (١٨) ٠

أما عن منهجه فى الكتاب فقد حاول فيه الالتزام بالترتيب الزمنى مبتدء بالنقل عن العصر الجاهلى ثم الأموى ثم العباسى ٠٠٠ وحتى عصره ، وقد بين ذلك فى مقدمته حيث يقول :

« وحرصت فيه على تقديم الأول فالأول ؟ الا أن يضطرنى عدم الكتب التى أنقل منها ، فأقدم المتأخر وألحق المتقدم ٠٠٠ » (١٩) ٠

---

(١٥) هو الشيخ : عبد الرحمن بن عبد الله بن درهم ولد فى مدينة الدوحة عام ١٢٩٠ هـ ٠ وبعد أن حفظ القرآن وجد فى طلب العلم بعثه الشيخ قاسم بن محمد بن ثانى فى بعثة دراسية للرياض بالمملكة العربية السعودية فى عام ١٣١٣ هـ حيث تتلمذ على الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ وظل هناك سنة كاملة عاد بعدها الى قطر ، حيث واصل الدرس على يد والده الذى كان قاضى البلاد آنذاك ٠ وقد شغف ابن درهم بدراسة الأدب وقراءة الأشعار ، وقد دفعه ذلك الى تدوين ثمرة قراءته واطلاعه فى مصنفه نزهة الأبصار ٠ وللمؤلف بعض القصائد والأشعار فى المديح والرثاء ، والمراسلات ضمنها كتابه الآنف الذكر ٠ وكان اماما لأحد المساجد الى جانب عمله بالتجارة ، وقد توفى عام ١٣٦٢ هـ ــ ١٩٤٣ م ٠

(١٦) وذلك فى طبعة منشورات المكتب الاسلامى بدمشق ٠

(١٧) نزهة الأبصار بطرائق الأخبار والأشعار جا ص ٥ ٠ ط ٠ دمشق ٠

(١٨) المصدر السابق ج ٣ ص ١١١٨ ٠

(١٩) المصدر السابق ج ١ ص ٦ ٠

وهذا ما حدث فعلا من عدم التزامه بالترتيب الزمنى حيث نراه بعد أن شرع فى الترجمة والنقل عن العصر الأموى يعود مرة أخرى للعصر الجاهلى ينقل ويترجم لشعرائه ٠ وقد أشار الى ذلك فى بداية الجزء الثانى قائلا : « انه لما تم المجلد الأول من نزهة الأبصار بطرائف الاخبار والاشعار استعنت الله على نقل المجلد الثانى وقد فاتنى فى الجلد الأل بعض تراجم شعراء الجاهلية وأشعارهم فأحببت اثباته فى أول هذا الجلد ، وكذلك لم أظفر ببعض تراجم شعراء الدولة الأموية وسأنقله ان شاء الله فى هذا الجلد على حسب الطاقة والامكان ٠٠٠ » (٢٠) ٠

ولكن المؤلف لا يقتصر على مافاته ليعيد الترجمة لهم بل نراه أحيانا يكرر من سبق أن نقل عنهم وترجم لهم وذلك حين يقع على قصيدة يستحسنها فانه يثبتها فى أى موضع من الكتاب كما فعل بالنسبة للشاعر (ابن الدمينة) فقد ترجم له ونقل له بعض القصائد فى الجزء الأول صفحة (٣٣١) ثم عاد فى الجزء الثانى لينقل له (٢١) ٠

كما أننا نراه فى الجزء الثالث يخرج عن الخطة التى رسمها لنفسه وذلك حين يعنون لهذه الأشعار حسب الموضوعات التى تدور حولها هذه القصائد فيأتى مثلا بالأشعار التى تحث على طلب العلم ، أو مدح القناعة ، أو ذم البخل والحسد ، أو مدح الوفاء ٠٠٠ الخ (٢٢) ٠

وقد بدأ المؤلف كتابه باختيار بعض القصائد التى قيلت فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ ثم بعدها بدأ بالشعر الجاهلى فالأموى فالعباسى وحتى عصره ٠ وقد أشرنا الى بعض المواضع التى كان المؤلف قد خرج بها على هذا الترتيب الزمنى والأسباب التى دعته الى ذلك ٠

---

(٢٠) المصدر السابق مج ١ ص ٦٢٤ ٠

(٢١) المصدر السابق مج ١ ص ١١١ ٠ ط ٠ دمشق ٠

(٢٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٧٥١ وما بعدها ٠

والمؤلف يسوق التراجم المختصرة لكل شاعر ينقل عنه ، مع الاشارة فى بعض الأحيان الى مناسبة القصيدة التى هو بصدد نقلها .

وهو في اختياره يغلب عليه الطابع الديني ، فهو ينتقى الأشعار التى تحث على الفضـــائل والأخلاق ، وتدعو الى التقوى والورع ، ويبعد عن كتابه شعر اللهو والمجون ويشير الى ذلك قائلا : « ولم أذكر شيئا من المجون والخلاعة تكرمة له عن ذلك ، وصدرته ببعض مدائح النبى صلى الله عليـــه وسلم تبركا باسمه الشريف » (٢٣) .

ويلحق المؤلف بكتابه بعض القصـــائد التى نظمها هو ، وهى فى صورة رسائل شعرية الى أصدقائه وأصحابه . وله قصــــــيدة طويلة فى رثاء صـــديقه عبد الله الخـــاطر مطلعها : (٢٤) .

أعينى جودا بالدموع السواكب
فان بكاء الالف أعظم واجب .
ولا تبخـــلا بالدمع لو كان من دم
على طاهر الأخلاق عف المذاهب .

وبعد هذه النظرة السريعة لاستعراض الكتابين السابقين لابد أن نقف قليلا عند المؤلفين ونحاول أن نلقى الضوء على شخصية كل منهما من خلال كتابه . فعلى الرغم من أن كلا الكتابين عبارة عن مختـــــارات من التراث العربى وليس للمؤلفين أى ابداع فكرى أو خلق فنى له قيمته فى كتابيهما الا أننا يمكن أن نكشف عن بعض الجوانب فى اتجـــاه كل منهما وشخصيته فى الكتاب بملاحظة الآتى :

---

(٢٣) المصدر السابق جـ١ ص ٥ . ط . دمشق .
(٢٤) المصدر السابق جـ٢ ص ٦٦٠١٠ . ط . دمشق .

ان شخصية صاحب نزهة الأبصار أكثر وضوحا وبروزا في الكتاب عن شخصية الخليفي في كتابه (بستان الأكياس والأفراد من الناس) يتضح بعض ذلك من خلال المقدمة التي صدر بها صاحب نزهة الأبصار كتابه ، وفيها رسم لنفسه خطة يسير عليها شارحا منهجه وهدفه في الكتاب ، بخلاف الخليفي الذي لم يلتزم بخطة معينـــة بل أخذ ينقـــل كل ما استحسنه دون ترتيب أو تبويب ٠

كما أن المقدمة التي وضعها لكتابه كانت موجزة للغــاية ومن الصعب أن تحكم على أسلوبه بهذه المقدمة القصيرة ٠ ولذلك فلا نجد للمؤلف أثرا ينم عن أســــلوبه وشخصيته الأدبية ، اللهم الا تلك القصائد التي نظمها المؤلف وألحقت بكتابه ٠

وعلى أية حال فان الروح العلمية عنـــد ابن درهم أكثر وضوحا ونضوجا منها عند الخليفي ٠ وأخيرا فان روح الجد والورع والوقار والمحافظة تغلب عند صاحب نزهة الأبصار من خلال مختاراته وقصائده التي ألحقها بكتابه ٠

وروح الدعابة والفكاهة المتزنة في حدود الأخلاق والتدين غالبة على صاحب « بستان الأكياس » من خلال مختــاراته ونظمه ٠

ـ ٣ ـ

المرحلة الثـــانية :

وهي المرحلة التي تبدأ باكتشاف النفط أي عام ١٩٥٠ م تقريبـــا ، وما ترتب على ذلك من تغيرات في مختلف أوجه الحياة في المجتمع القطري ٠ واذا كانت ثمرة هذه الطفرة الاقتصادية في البلاد قد ظهرت آثارها في التعليم وغيرها من الوسائل التي تساعد على تهيئة الجو الفكري والمناخ

الأدبى ، فان ثمرة هذه المنجزات قد تأخرت لفترة طويلة حيث أن النشاط الأدبى والفكرى ظل فى ركود وجمود حتى بداية السبعينات تقريبا ٠

وهذا أمر طبيعى لأن التغير الفكرى والتطــور الأدبى لا يكون بين يوم وليلة ، فمن المعروف أن التطور المادى دائما أسبق من التطور الفكرى لأن الانسان يتقبل الأشياء المادية بسهولة ويسر ، بخلاف الأشـــياء غير المادية ، كالنواحى الفكرية ، والعادات ، والتقاليد والمعتقدات ونحوها فانه من الصعوبة أن يقبلها الشخص بسهولة ويأخذ بهـــا دون أن يتهيأ الجو والوقت الكافى للتفكير فيها وتمثلها وتقبلها كما أن النواحى الفكرية والثقافية تحتاج الى جهد كبير لتحصيلها واستيعابها وهضمها ، ثم يأتى بعدها دور الخلق والابداع والتكييف بما يتمشى مع روح المجتمع وقيمـــه ٠ وعلى ذلك فلابد أن يكون هناك فارق كبير وهوة واسعة بين الناحيـــة المادية والناحية الفكرية ٠ فالأولى أقرب وأسرع للقبـــول لدى المجتمع من الثـــــانية ، يقول أوجبرين : « انه لما كانت الثقـــافة ذات طبيعـــة ديناميه وتراكمية فانه من الطبيعى أن تزداد سرعتها وخاصة فى تلك الجوانب ذات الطبيعـــة الأكثر تراكما : أى التكنولوجيا والثقافة المادية » (٢٥) ٠

وعلى أية حال فان التطور الفكرى والأدبى بحـــاجة الى وقت أطول من التطور المادى ، ولهذا فاننا نرى أن التغير الثقافى فى الحياة المادية كان سريعــــا وواضحا أثره فى المجتمع القطرى فى حين نرى أن التطـــور الفكرى والأدبى لا زال فى طور النمو اذا قسناه بالنسبة للتغيرات المادية أو الحضارية الأخرى ٠ ولكن من الجـــدير بالملاحظة أن هذه الفترة التى كانت فترة ركود وجمود فى النـــاحية الفكرية والأدبية بالنسبة للأقلام المحلية ، قد صحبتها على الجـــانب الآخر حركة أدبية نشطة من قبل الوافدين والمتكسبين بالشعر،

(٢٥) قاموس الانثولوجيا والفلكلور ٠ ايكه هو لتكرانس ص ١١٦ ٠

حيث أصبحت (الدوحة) وكأنها عاصمة بنى أمية من حيث تسابق الشعراء اليها ، وكيلهم المديح لحكامها ، بل أصبح قصر (الريان) ينازع قصر سيف الدولة الحمدانى فى حلب مكانته · فقد كان الشيخ على بن عبد الله حاكم قطر آنذاك (فى الخمسينات) محبا للأدب مولعا بالشعر تواقا للمدح والثناء ، فتوافد عليه الشعراء من مختلف الاقطار العربيـة يكيلون له المدح والثناء فى مقابل البذخ والعطاء الذى كان يغدقه عليهم ، وكانت كل تلك الأشعار مقصورة على المدح والثناء وطلب المزيد من العطـاء ، كما كانت تطبع دواوين هؤلاء الشعراء على نفقـة الدولة وتوزع بالمجان (٢٦) · وأكبر الظن أنه كان لهذه الحركة الشعرية الوافدة ، أثر فى إيقاظ الوعى الشعرى عند أبناء البلاد · وقد كان الى جانب هؤلاء الشعراء الوافدين بعض الشـعراء القطريين الذين ساهموا فى حركة الشـعر فى هذه الفترة وفى مقدمتهم عبد الرحمن المعاودة والشاعر أحمد بن يوسف الجـابر ، وسوف نعرض لهما أثناء حديثنا عن الشـعر فى موضع لاحق ·

وفى بداية السبعينات عندما بدأت تظهر وسـائل النشر كالصحافة والاذاعة وغيرها من الوسائل الاعلامية ، أخذت الحركة الأدبية فى النمو والظهور ، حيث بدأت تنشر على صفحات هذه المجلات بعض المقالات الأدبية ، والقصـائد ، والقصص القصيرة ، بالاضافة الى بعض المقـالات النقدية البسيطة التى تدور حـول مسرحية محلية ونحـو ذلك من

---

(٢٦) فمن هذه الدواوين :

١ ـ فى رحاب الدوحة

محمود شعبان

٢ ـ ومن وحى قطر

وقطريات · احمد نجيب فضل الله · وشعر من قطر · عبد المجيد خفاجى· ودرر المعانى فى مدح آل ثانى ـ لمجموعة من الشعراء من بينهم شعراء من قطر ·.

الموضوعات الأدبية التى كانت تنشر على صفحات هـــذه المجلات مما لم يكن له وجود من قبل فى قطر · فمثلا نشرت مجلة الدوحة فى العدد (٣٤) قصيدة لفتاة باسم (مستعار) (فتاة الخليج) (٢٧) ·

تحت عنوان : أسرار الحياة :

اننى أبحث عن صـــــــــوت رطيب ·
لا كصوت الناى يشجى أو كصوت العندليب ·
لحنه يجمع ما بين ابتســــــام ونحيب ·
فيـــــــه آلام ، وآمــــــال ، وطيب ·
فيـــــــه رجع الهمس يبـدو لى قريب ·
.. ..

وهى قصـــــيدة طويلة ذات طابع رومانسى ، وتمثل طابع التجديد فى الشعر القطرى كما سوف نتحـدث عن ذلك فى موضعه ·

وعنـــــــدما طورت مجلة الدوحة فى عام ١٩٧٦ م أخذ الشاعر مبارك بن سيف ينشر فيها بعض القصائد بصفة شبه مستمرة فى كل عدد من أعدادها الشهرية · يقول فى قصيدة له تحت عنوان :

من ربوع النيل الى شواطىء اللؤلؤ · (٢٨)
« هب لى بقطـــــر طائر يزقزق ·
من شــــاطىء متـــلألىء يتـدفق ·
يا مصر يا هبـــة الوجود وخيره ·
فالشمس من طيـــات مائك تشرق ·
يا نيـــل ان بعـــد الخليج نازلا ·
فالروح تهفـــوا للقصى وتعشـــق ·
كالســـــحر ماؤك يا خليج ليتنى ·

---

(٢٧) مجلة الدوحة العدد (٣٤) يوليو ١٩٧٢ م ·

(٢٨) مجلة الدوحة عدد يوليو ١٩٧٦ م

أشـــدو بذياك الجمـــال وأصدق ٠
فله من الأطيـــاف سحر خيالها ٠
ومن الزبرجـــد واللآلىء رونق ٠
يا بحر هل تذكر خطانا ٠٠٠ همســنا ٠
والرمل يجثو ناعما ٠٠٠٠ يتـألق ٠
.. ..
.. ..

وهناك العديد من القصائد التى اتسعت لهـــا صفحات الصحف والمجلات المحلية ، والتى أخذت تنشر منذ بدأ ظهور الصحافة فى البلاد ولا زالت تنمو هذه الحركة وتزداد على مر الأيام ٠ كما أن هناك العديد من القصص القصيرة التى أخذت تنشر فى الصحافة المحلية منها على سبيل المثال :

(شرخ فى المرآة) لـكلثم جبر فى مجلة الدوحة العــدد (سبعين) (٢٩) ٠

وقصة قصيرة تحت عنوان « وهم الســـعادة الزوجية » لخليل ابراهيم الفزيع فى مجلة العروبة (٣٠) ٠ وهنـــاك العديد من هذه القصص التى تنشر فى الصحف المحلية بأقلام قطرية فى الغالب والتى يضيق المقام عن حصرها ٠٠ كما أنه ظهرت بعض المقالات الأدبية التى تدور حول موضوع أدبى ، أو دراسة لشاعر ٠ فمثلا كتبت (زهرة مال الله) مقالة أدبية عن الشاعر ابراهيم ناجى ـ تحت عنوان : بلبل الشرق رسم الجمال فى كلماته (٣١) ٠

حيث عرضت الكاتبة الى حياة ابراهيم ناجى بايجاز ثم أهم المؤثرات التى أثرت فى حياته وأشعاره ٠ وكذلك مقالة للشاعر مبارك بن سيف عن الأديبة « مى زيادة » وحياتهـا

---

(٢٩) مجلة الدوحة عدد (٧٠) جمادى الآخرة ١٣٩٥ هـ ٠
(٣٠) مجلة العروبة عدد (٩٨) ١٩٧١/١٢/١٦ م ٠
(٣١) مجلة العروبة عدد (١٥٣) ١٩٧٢/١/٤ م ٠

ومكانتها الأدبيـــــة ونحو ذلك من المقـــــالات التى تعالج موضوعات أدبيةوكالمقالات التىيكتبها محمد جابر الأنصارى فى مجلة الدوحة عن بعض الشعراء القطريين تحت عنوان : الأدب الجديد فى الخليج ٠

كما أنه بدأت تظهر بعض المقالات النقدية وأغلبهـا يدور حول المسرحيات المحلية التى تعرض على المسارح القطرية ، ولا تكاد تخرج مسرحية الا ودار حولها الكثير من النقـاش والنقد ، والتحليل من أمثال مسرحية (أم الزين) (٣٢) ٠ ومسرحية (السر المكتوم) وغيرها من المسرحيات ٠٠

وهكذا نرى أن الحركة الأدبية فى الفترة الثـــانية وعلى الأخص منذ بداية السبعينيات أخذت تظهر بوضوح من خلال الصحافة وغيرها من وسائل الأعلام حيث بدأت تنشر مختلف الفنون الأدبية من شعر ونثر ٠

كما أنه صـــــدرت فى هذه المرحلة بعض المحـــاولات القصصية التى حاولها الأستاذ/ يوسف نعمة فأخرج ثلاث مجموعات فى صورة قصص وتمثيليات ولكنها لم تبلغ مرتبة فنية تذكر ، وهى أقرب الى المقالات الخبرية والخواطر منها للقصص منها « الولد الهايت » (٣٣) وهى عبــــارة عن مجموعة قصص تمثيلية مكتوبة باللهجة العامية « وفتــــاة الخليج » ـ لم أعثر عليها ـ و « لقـــاء فى بيروت » (٣٤) ، وقد كانت هذه المجموعة أول محاولة لكتابة القصة القصيرة فى قطر ولكن صاحبها لم يحــــاول الاستمرار ٠٠٠ ! كما صدرت فى هذه الفترة مجموعتان قصصيتان هما : «الساعة والنخلة » لخليل ابراهيم الفـــزيع ٠ « وأنت وغابة الصمت والتردد » لكلثم جبر ٠

---

(٣٢) مجلة العهد ، عددى « ٦٢ ، ٦٤ » ومجلة الدوحة عدد (٧٥) ٠

(٣٣) صدرت عام ١٩٧١ م ٠

(٣٤) صدرت عام ١٩٧٠ م ٠

وما عدا هذه المؤلفات القليلة والانتاج اليسير لا نكاد نجد شيئا من المؤلفات ذا أهمية فى مجال الدراسات الأدبية والنقدية .

ـ ٤ ـ

هذه هى الحركة الأدبية في قطر وهى حركة نامية لم تبلغ بعد ما بلغته الحركات الأدبية فى الوطن العربى نموا وازدهارا ونضجا وتنوعا وعمقا .

فما سر هذا التخلف ؟ .

لقد طرح هذا السؤال من قبل على صفحات الجرائد والمجلات فى قطر ونحن نعرض الآن لبعض الآراء التى حاولت الاجابة على هذا السؤال ، ففى العدد الثالث والأربعين من مجلة العهد نشر هذا المقال :

الركود الأدبى لماذا ؟ .

« الركود الأدبى الذى تعيشه قطر ... ظاهرة تستحق الوقوف ... فرغم التطور الذى شمل جميع مظاهر الحياة فى قطر ظل الأدب شعرا ونثرا بمنأى عن مسايرة هذا التطور والتعبير عنه . ومع أن للصحافة دورها الذى لا ينكر فى شيوع الأدب وذيوعه الا أن الصحافة القطرية لم تقم بهذا الدور لسبب واضح هو عدم وجود هذا الأدب ، الذى نريد له الشيوع والذيوع ، وقد يتصور البعض أن الكتابات الصحفية هى لون من ألوان الأدب الذى نشير اليه ، لكن أبسط المفاهيم للأدب تنفى عنه هذه التهمة ... لا يمكن أن نحدد فى هذه العجالة أبعاد المشكلة وحلولها لكن هذا لا يمنع من التساؤل عما قدمه الجامعيون للحركة الأدبية ، وخاصة أولئك الذين تخصصوا فى الأدب أو قدموا أطروحاتهم فى فرع من فروعه، ما الذى قدمه الشباب ليساهموا فى خلق نهضة أدبية جديرة بالاهتمام ... كم مطبوعة أدبية تظهر فى قطر فى

شهر أو فى سنة أو فى عدة سنوات ؟ » (٣٥) ٠

وعلى صفحات مجلة العـــروبة يدور نقـــاش حول هذا الموضوع ويدلى فيه مجموعة كبيرة من الشباب بآرائهم حول أسباب تأخر الحركة الأدبية وجمودها ، يقول أحدهم :

« اننى لا أستطيع أن ألقى باللوم كله على أجهزة الاعلام بالبلاد بقدرما ألوم أديبنا نفسه ٠ أجل ان الأديب نفسه هو المسؤول ، فهو الاداة الجبارة التى تستطيع فرض نفسها ٠٠ ان بعض كتابنا الناشئين ينصدمون من الرد السلبى حينما يقدمون انتاجهم االى أحد أجهزة الأعلام ، وكان الأجدر بهم أن يجاهدوا لفرض انتاجهم الجيد » (٣٦) ٠ ثم يلقى الكاتب بعدها باللائمة على الأندية الرياضية وعدم اهتمامها بالأدب، بالاضـــافة الى التقصير من قبل الجمهـــور وعدم وجود التجاوب بينه وبين الأديب ٠ وهناك العديد من الآراء التى طرحت حول هذا الموضوع فى الصحف المحلية وعالجت فيه أسباب الركود والجمود الأدبى الذى تشهده البلاد ٠

ولكن كل هذه الآراء تكاد تتفق فى الغالب على أن التخلف يرجع الى تقصير الأدباء أنفسهم ، والى وسائل الاعلام وعدم تشجيعها للأدباء والانتاج الأدبى والفكرى فى البلاد ، ونحن وان كنا نتفق مع هذه الآراء فى بعض ما ذهبت اليه من أن هناك تقصيرا من كلا الطـرفين ٠ نرى فى نفس الوقت أن هناك أسبابا أخرى وأبعادا وخلفيات يرجع اليها هذا الجمود والركود لم تحاول هذه الآراء أن تشير اليها ، وانما كانت التعليلات سطحية والنظرات سريعـــة فكانت بعض الأحكام غير دقيقة ٠ فالركود الأدبى فى البلاد فى تصورنا يعود الى عدة أسباب أهمها :

١ ــ تأخر ظهور التعليم الحـــــديث فى قطر حتى منتصف

---

(٣٥) مجلة العهد العدد (٤٣) فى ١٩٧٥/٥/١٦ م ٠

(٣٦) مجلة العروبة العدد (١٣٢) فى ١٩٧٢/٨/١٠ م ٠

وانظر مجلة الروبة الأعداد : (١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٧) لعام ١٩٧٢ م ٠

الخمسينات من هذا القرن أما قبل ذلك فقد كانت فترة ركود ثقافى وأمية وجهل بالعلم ·

٢ - عدم ظهور وسائل اعلامية ودور نشر محلية الا فى أوائل السبعينات تقريبا ·

٣ - عدم وجود منتديات أدبية أو مكتبات أو جمعيات من هذا النوع تحاول أن تساهم فى احياء ونمو الحركة الأدبية والفكرية فى البلاد · وهذه عناصر رئيسية ومهمة فى تهيئة الجو الفكرى ودفع الحركة الأدبية الى الأمام ، وكلها أمور سبق أن تحدثنا عنها فى الفصل الخاص بالحياة الثقافية ، وكلها أمور تعود الى الظروف السياسية والاقتصادية التى كانت تعيشها البلاد فى الماضى ·

٤ - ان حكمنا على هذا الركود والتأخر يأتى فى الغالب عن طريق القياس على أمرين :

أولهما : قياس هذا التأخر والركود الأدبى والفكرى بالنسبة للتطور المادى والتغير الاجتماعى الذى تشهده البلاد ، وهذا القياس لابد أن يراعى فيه أن التطور المادى أسبق وأسرع فى التغير من النواحى الفكرية والأدبية ، وهو ما أشرنا اليه آنفا · واذا كانت وسائل الثقافة والتعليم والاعلام قد تهيأت الآن فلابد من مرور بعض الوقت حتى تظهر آثارها الأدبية بوضوح ·

ثانيهما : ان حكم البعض على الحركة الأدبية فى قطر بالتأخر والركود يأتى عن طريق قياسها بالنسبة للحركة الأدبية فى بعض الدول العربية وعلى الأخص قياسها على الحركة الأدبية فى كل من البحرين والكويت وذلك بحكم التقارب والتشابه بين هذه الدول فى مختلف أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية الى جانب التقارب الجغرافى والبشرى ، اذا فلماذا نشهد فى هذين القطرين حركة فكرية وأدبية لانكاد نشهدها فى قطر ؟ وهذا القياس أيضا قبل

تطبيقه لابد أن نراعى فيه عدة أمور منها : أن هذين البلدين قد سبقتا قطر فى مجالات التعليم والنشر والصحافة وغيرها من الوسائل الثقافية التى تساعد على نمو الحركة الفكرية والأدبية .ونظرة سريعة الى تلك الوسائل التى تساعد على انتشار الثقافة ، وتعمل على تكوين الجو الفكرى والأدبى ثم معرفة الزمن الذى توافرت فيه هذه الأمور يجعلنا نعرف مدى الفارق الكبير فى الزمن بين هذين البلدين وبين قطر من حيث توافر هذه الأسباب أو عدمها :

فمثلا بالنسبة للكويت :

أنشئت أول مدرسة نظامية عام ١٩١١ م هى (المدرسة المباركية) (٣٧) ، كذلك عرفت أول مكتبة عامة هناك فى عام ١٩٢٣ م ، وفى نفس العام أفتتح فيها النادى الأدبى الذى كان ملتقى للأدباء والمثقفين ... (٣٨) كذلك أول مجلة ظهرت فى المنطقة كانت فى الكويت وذلك عام ١٩٢٨م (٣٩)

أما بالنسبة للبحرين :

فهى الأخرى قد ظهرت فيها بواكير الثقافة فى وقت متقدم بالنسبة لظهورها فى قطر ،فقد ظهرت أولى المدارس النظامية فى البحرين عام ١٩١٩ م وهى « مدرسة الهداية » (٤٠) وظهرت أول جريدة فى البحرين عام ١٩٣٩ م حين أصدر عبد الله الزايد « جريدة البحرين » (٤١) .

كذلك عرفت البحرين المنتديات الأدبية منذ بداية

(٣٧) الشعر الكويتى الحديث . عواطف الصباح ص ٢٥ .

(٣٨) المصدر السابق ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٣٩) أدب النثر المعاصر فى شرقى الجزيرة العربية د . عبد الله المبارك ص٧٩.

(٤٠) الأدب المعاصر فى الخليج العربى . عبد الله الطائى ص ١٣ .

(٤١) ادب النثر المعاصر فى شرقى الجزيرة العربية د . عبد الله المبارك ص٧٩ وانظر مجلة الدوحة عددى (اكتوبر ، وديسمبر لعام ١٩٧٦ م.) مقالين للأستاذ محمد جابر الأنصارى تحت عنوان : « الصحافة فى الخليج » .

العشرينات وكان بدأيتها نادى « اقبـال أوال » الذى أسس حوالى عام ١٩٢٠ م ، واغلق بعد عام فقط (٤٢) ثم « النادى الأدبى » الذى اشترك فى حفل مبايعة شوقى امارة الشـعر فى عام ١٩٢٧ م (٤٣) ٠

وعودة الى الفصل الخامس بالحياة الثقـافية فى الباب السابق من بحثنا هذا ، وبشىء من المقارنة يتضح لنا مدى الفارق الزمنى بين قطر وبين هذين القطرين المذكورين من حيث الأخذ بالوسائل التى تساعد على نمو الحركة الفكرية والأدبية وتطورها ٠ فهذان القطران قد سـبقا قطر بفترة طويلة ، فلا غرابة فى أن نجد أن النهضة الأدبية عندهم أكثر نشاطا واندفاعا ٠

٥ ـ كما أن من الأسباب التى عملت على تأخر النهضـة الأدبية فى قطر منهـا ما يعود الى أن الحيـاة الاقتصادية والطفرة المادية التى تشهدها البـلاد قد شغلت الناس عن النواحى الفكرية والأدبية ، وجعلتهم يتجهون نحو الأعمال التى يرونها أكثر ادرارا للربح وأسرع طريقا للثراء ٠ كذلك فان الشباب المتعلم الذى يفترض فيه العطاء والانتاج غالبا ما تتوقف طموحاته عند حدودالوظيفة أو المنصب الذى يشغله ولا يتجاوزه الى أبعد من ذلك ٠

٦ ـ كما أن قلة عدد السـكان فى قطـر له دور كبير فى التأثير على الحركة الأدبيـة لأنه مما لا شك فيه أن للكثافة السكانية دورا فعالا فى كل مجالات الانتـاج ومن ضمنها الانتاج الفكرى والأدبى ، ومن المعروف أن قطر من أقل الدول الخليجية سكانا ، اذن فلابد أن يكون هناك فارق كبير فى الانتـاج الفكرى والأدبى

---

(٤٢) لمحات من الخليج العربى ٠ محمد جابر الأنصارى ص ١٠ ٠

(٤٣) الأدب المعاصر فى الخليج العربى ٠ عبد الله الطائى ص ٢٩ ٠

بين قطر وبين هذه الدول التى تقارن بهـــا من حيث تطور الحركة الأدبية والفكرية أو تأخرها .

واذا كانت هناك ظروف اقتصادية واجتماعية قد شكلت هذه السلبيات فى الماضى وأثرت على الحــركة الأدبيــــة والفكرية فان هذه الظروف أو معظمها قد زال من الطــريق تقريبا . وأصبح الجو الثقافى ملائما لكى نشهد حركة فكرية وأدبية تتمشى مع ما تشهده البلاد من تطور وتقدم فى جميع مجالات الحياة ، ولنجعل فى مقدمتها نهضة فكرية وأدبيــة لأنها مناط خلق الانسان الصالح للبناء .

الباب الثانى

« النثر الفنى »

الفصل الأول :
النثر فى المرحلة الأولى

الفصل الثانى :
النثر فى المرحلة الثانية

الفصـــل الأول

النثر فى المرحلة الأولى

تمهيــــد :

لا يزال النثر الفنى فى قطــــر فى مرحلة النمو وبداية الطريق ، وقد سبق أن عرفنـا حالة الجمود والركود الأدبى والفكرى فى المرحلة الأولى عندما تحدثنا عن الحياة الأدبية • ولهذا فقد ظل النثر الفنى طوال الفترة الأولى بعيـــدا عن النمو بل لا يكاد يخطر على بال أحد أن هناك شيئا من هذا النوع ، أو ما يعرف بالنثر الفنى كالمقـــالة ، والقصـــة ، والمسرحية ، ومن المؤسف أن تظل هذه الظاهرة حتى أواخر الستينات • ولكن الظروف هى التى حكمت على هذه البيئة بذلك • وقد اتضحت لنا الأسباب التى أدت الى هذا الركود والجمود فى فصل سابق ـ والمرحلة الأولى ليس فيها شىء من النثر الفنى بمعناه الحقيقى وانما كانت هنـــاك رسائل سنتعرض لها بشىء من الدراسة والتقويم • واذا كان هدفنا هنا هو أن نسجل حالة الأدب القطـــرى بما له وما عليه وبايجابياته وسلبياته فاننا سنعرض فى هذا الباب لكل ذلك موضحين حال النثر فى كل مرحلة من مراحله فى تجـــرد وانصـــاف •

والخلاصة أن النثر الفنى بدأ يظهر شيئا فشيئا فى المرحلة الثانية حيث أخذت الحركة الأدبية كما قلنا تأخذ طريقها الى الظهور والنشـــاط التدريجى ولهذا أخذت الفنــون النثرية تأخذ حظها من النمو وتسلك طريقها نحو الظهور ، وان كانت لم تبلغ بعد ما بلغته فى الأقطار العربية الأخرى • وسأحاول بقدر المســـتطاع أن أرصـدها على قلتها وعدم نضجها ، تسجيلا للواقع ، واستهدافا للحقيقة •

لم تعرف المرحلة الأولى التى حددناها من قبل شيئا من النثر الفنى ، الا تلك الرسائل التى يمكن أن نطلق عليها اسم الرسائل (الديوانية) ، الى جانب المقدمات التأليفية التى كانوا يقدمون بها للمختارات الأدبية كما هو الحال بالنسبة لكتابى « بستان الأكياس والأفراد من الناس » لعبد الرحمن الخليفى و « نزهة الأبصار بطرائف الاخبار والأشعار » لابن درهم ، الآنفى الذكر ٠

أولا ـ الرسائل :

أما الرسائل النثرية فهى تلك الرسائل التى كانت متبادلة بين حكام قطر والمقيمين السياسيين الانجليز فى هذه المنطقة، أو بين حكام قطر وبين الدولة العثمانية ٠ ولذلك فقد كانت هذه الرسائل تمثل حالة النثر خير تمثيل فى تلك الفترة وذلك لسببين :

أولهما : أنها رسائل من الأمراء والحكام ولابد أن تمثل الصورة المثلى لنثر هذه المرحلة ٠

وثانيهما : أن هذه الرسائل فى طورها الأول كانت صادرة عن رجل يمثل أعلى مستوى من حيث علمه وثقافته بالنسبة لقومه وهو الشيخ قاسم بن محمد وقد اتضح لنا ذلك سابقا (١) ٠ فهو اذا بما يصدر عنه من رسائل يعتبر تقريبا مرآة للنثر القطرى فى زمنه ٠

١ ـ وهذه احدى رسائله التى كان قد بعث بها الى (القنصل) الانجليزى فى المنطقة عام ١٨٨٨ م وهى تتضمن شكوى ضد الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبو ظبى آنذاك ، بسبب اعتدائه على قطر ٠

---

(١) انظر صفحة ٥٨ من هذا الكتاب ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

« الى جنـــــاب المكرم الاحشم الأشيم الأفخم كرند راص صاحب بالجوز وقنسل جنرال الدولة البهيـــة القيصرية فى خليج فارس المحترم ٠

سلمه الله تعالى وأبقاه وبعد مزيد الســـلام ورحمة الله وبركاته على الدوام قد تقدم منا لجنابكم قبل هذا كتاب وبه من الشرح ما يغنى عن الاعادة خصوصا عرفنا جنابكم من طرف تعديات الشيخ زايد علينا والحدث الذى وقع من ولده خليفة والذى جعله يتجرأ علينا بهكذا أمور مساعدتكم اياه علينــا فى جميع الأمور لأن كل ما تحرك بحركة واحدث فينا حادثة منه ومن طوارفه ورفعناه خبرها لجنابكم غضيتم عنه النظر فلما رأى اعراضكم عنه وشفكم له ازداد فى التجاسر ومن ابتدا أمره جراءته علينا فى مساعدته الشيخ على بن خليفة وجهز علينا دول من طريق البحر فى ماية سفينة وهجم على بلدنا ونهبها ولا حصل عليه انتقام بقدر فعله ثم بعد ذلك لم يزل يحرك علينا العشاير الذى تحت يده من المنـــاصير وغيرهم ٠٠٠ الخ » (٢) ٠

والرسالة طويلة وكلها تقريبـــا تجرى على هذا النحو البسيط والساذج وتختم الرسالة بتوقيع المرسلة منه ٠ ومن خلال هذه الرسالة يتضح لنا جانبا مما كان عليه الأسلوب النثرى فى هذه المرحلة ، انه أقرب الى اللغة العامية منه الى الفصحى وليس فيه صنعة فنيـة ، ولا تحر لقواعد الاعراب ولا اختيار للفظ أدبى ٠ فهى اذا أقرب ما تكون الى الأحاديث اليومية التى يتحدث بها الناس فى شؤونهم ، ويسردون فيها الوقائع كما هى دون صنعة أو تنميق ٠

٢ ــ وهذه رسالة أخرى للشيخ قاسم بن محمد بن ثانى

---

(٢) من الوثائق التاريخية فى الديوان الأميرى ٠

كان قد بعث بها الى السلطان عبد الحميد العثمـــانى عام ١٨٩٣ م ، وهى رسالة حاول كاتبها التنمق فى الأســـلوب وخلع الألقاب وتعظيم شأن المرسلة اليه مما هو معتـاد فى الرسائل الديوانية ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضور عالى حضرة أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين السلطان ابن السلطان الغازى عبد الحميد خان ثانى ثبت الله أركان مجده ، وجدد أوقات سعده ، وكب الله ضده ، وثم المهدى لحضرة سعادتكم الوسيم شريف لطائف التحية والتســـليم مصـــحوبا بالتبجيل والتفخيم الجنابك الكريم والمرفوع لسامى المجد والاجترام بأن وصـــلا الينـا محمد مظفر بيك ، واسماعيل حافظ بيك بن باشيه من أركان الحرب وكنا ممنونين ومشـــكرين ولأمير المؤمنين بالخير والنصر داعين ، اللهم أيد أمير المؤمنين على جميع المعـــادين ، من خصوص أنا يا خادمكم وخادم من يخدمكم قد خدمت الدولة العلية أربعا وعشرين سنة وأنا فى سن الأربعين واليوم أنا ابن خمس وستين سنة ، وكنت صاحب ثروة ومدخالها على من التجارة وجميع ما فى يدى خدمت به الدولة العلية الى أن ذهب الشباب والمال فى خدمة الدولة العلية ولا يدخل على من الدولة معـــاش ولا بارة واحدة ، ولا آخذ من الولاية ولا ربية والآن قصرت الهمـــة والمال تلف ولا لى قدرة على القـــائمقامية ، فأنا طالب من الله ثم من أمير المـــؤمنين الاستعفاء من القائمقامية وأكون بذلك فى نهـــاية الممنونية والمسرورية ٠ وأنا كذلك فى الخدمة وتحت العبودية ٠ وقد بينت لجناب والى ولاية البصرة حمدى باشـــاء نبذة من النصيحة فى هذه المادة والأمر أمركم ولا زلت مؤيدا بعناية الرحمن والسلام ٠

حرر فى شـــهر محرم فى ١٦ ســـنة ١٣١١ هـ خادمكم قاسم بن محمد بن ثانى قائمقام قطر » (٣) ٠

---

(٣) من الوثائق التاريخية فى الديوان الأميرى ٠

وفى نهاية الرسالة تذييل يتضمن شكوى الشيخ قاسم من الانجليز وأنهم قد أخذوا منه مبلغ أربعة عشر ألفا واربعمائة روبيـــــة بالقوة وأنه يترجى الدولة العليـــة أن تعمل على استرجاعها ، وأنه قد أخطر حافظ باشا بذلك ٠

وهذه الرسالة كما لاحظنا أنها أرقى من الأولى الى حد ما ففيها بعض الملامح الفنية من السجع وبعض التـــأنق فى اختيار الألفاظ والجمل المناسبة لمقام الخليفة ، وان كانت قد جمعت الى ذلك حشدا من العبارات العـامية والشعبية التى اتسمت بها الرسالة السابقة ٠

٣ ـ وعندما نصل الى نهاية المرحلة الأولى نجد أن هذه الرسائل قد بدأت تتجه نحو الوضوح والاستقامة فىأسلوبها وفكرها اذا قسناها بالنسبة للرسائل السابقة ، وان لم تخل من الأخطاء اللغوية والنحوية ، والسوقية ٠

فهذه رسالة من الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثانى كان قد بعث بها الى المقيم الانجليزى بالبحرين عام ١٩٣٧ م ردا على رسالة احتجاج بعث بها المقيم الانجليزى الى الشيخ عبد الله على أثر حدوث بعض المشاكل الداخلية فى البلاد ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

« من عبد الله بن قاسم الثانى حاكم قطر

الى حضرة عالى الجاه المفخم سـعادة قبطان هكمبو تام باليوز دولة بريطانيا العظمى فى البحـــرين المحترم دامت معاليه ٠ بعد مزيد التحية والاحترام آمل أن تكون فى صحة جيدة ٠ اشارة الى ما كتبته الى سعادتكم فى كتابى المرقوم ٢٦ ربيع ١٣٥٦ هـ فقد بادرت للقيام للقضاء علىالاضطرابات والقلاقل التى أحدثها المشاغبون من رعاياى (الخارجون) على أوامرى وحين اقتربت منهم وشعروا منى بصـــــدق العزيمة باتخاذ (الاجراآت) ضـدهم ندموا على ما أسلفوه

من العصيان وانقادوا الى سـامعين مطيعين صـاغرين خاضعين لطاعتى وأوامرى طالبين العفو والرحمة عما صدر منهم من الاجرام والخطـأ فى حقى وحق الوطن معترفين بذنوبهم فلم يسعنى والحالة هذه الا ألعفو عنهم والسـماح عما صدر منهم من الأمور المخلة التى تسـتوجب تأديبهم ٠ ولكنى فضلت العفو على العقوبة حين انقادوا لى خاضعين مقرين بما سلف منهم من الخطأ والزلل » (٤) ٠

والرسالة كما نرى بدأت تتسم بوضوح الفكرة واستقامة الأسلوب الى حد ما وان لم يظهر فيها شىء من الملامح الفنية التى يمكن أن تلحقها بالنثر الأدبى ٠

هذه هى الرسائل فى المرحلة الأولى وهى تمثل لنا جانبا من النثر فى تلك الفترة ، انهـا صـورة سـاذجة بسـيطة لا نستطيع أن نسميها صورة أدبية ، وانمـا هى أشـبه بالأحاديث اليومية التى تمثل لغة التخاطب بين عامة الناس وان احتفظت بطابع الرسائل الأدبية فى العصور الاسلامية الأولى من حيث البدء والختام فى بعض الأحيان ٠

ولعلنا نلاحظ أن ما كان يوجه من هذه الرسـائل الى الخليفة كان يتسم بالفخامة والضخامة ومحاولة اختيـار بعض الجمل والعبارات الأدبية المناسبة للمقام ٠ كما يلاحظ عليها شيوع بعض الألفاظ والمصطلحات التركية فيها ٠

ثانيا ـ النثر التأليفى :

أما النثر التأليفى فى هذه الفترة فهو يتمثل فى مقدمات بعض المختارات الأدبية والذى سبق الحديث عنهـا وهذه المقدمات يمكننا القول بأنها تمثل النثر الفنى الحقيقى حيث تطالعنا فيه السمات الفنية المتمثلة فى انتقاء العبارة وسلامة

---

(٤) من الوثائق التاريخية فى الديوان الأميرى ٠

الاسلوب والحرص على السجع والمحسنات الأخرى الى جانب سلامة اللغة ، وسجاحة الاسلوب وهذا على قلة ما انتهى الينا من هذه النصوص ٠

١ _ والنص الأول : هى تلك المقدمة الموجزة التى صدر بها عبد الرحمن بن صالح الخليفى كتابه (بستان الأكياس والأفراد من الناس) ٠

« أما بعد فان أشرف ما منح الله به العباد وأقام به البلاد : العقول الراجحة ، والبصائر الثاقبة الصالحة ، فتفتقت عن ثمارها الألسن ، فأوضحت بنورها ما لم تدركه الأعين ٠٠٠ فأردت أن أجمع نبذة من الأدب ودرجات أهل الحسب ، من مثل سائر ، وبيت نادر ، وقصيدة مشتهرة ، ولطيفة مفتخرة ، لى ولأولادى وأصدقائى وأحبائى ، فأتى بعون الله وتوفيقه كل الصيد فى جوف الفرا وان كنت من المتأخرين الى وراء ٠٠٠ الخ » (٥) ٠

ومن خلال النص يتضح لنا مدى غرام الكاتب بالسجع وتتبعه له حتى انه أضاف بعض الألفاظ ليستقيم له السجع ٠

٢ _ والنص الثانى : هى تلك المقدمة التى صدر بها عبد الرحمن بن درهم كتابه (نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار) :

« الحمد لله الذى انطق بالحكمة ألسن الشعراء ، وجعلهم لفصيح الكلام أمراء وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له تفرد بالعظمة والكبرياء ، وتنزه عن الأشباه والنظراء ، شهادة تبلغ قائلها منتهى القصد والمنى ، وتكون له ذخيرة فى يوم العرض والجزاء ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا أنصح النصحاء ، وأبلغ الفصحاء ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صفوة الخلق ومصابيح الدجى ٠٠٠ فانى ما زلت

---

(٥) المصدر المذكور ص ١٠ ٠

من حين الصغر ميالا للشعر والشعراء ، راغبـــا فى الأدب والأدباء ولعـــا بكتبهم ، مشغوفا بمـــا دونوه من نثرهم ونظمهم ... » (٦) .

هذه هى أهم النصوص النثرية التى استطعت الحصـــول عليها من المرحلة الأولى والتى تمثل على وجه التقريب حالة النثر فى تلك الفترة . وكما رأينا فان هذه النصـــوص كان أغلبها بالعامية ، واذا اتجه الى الفصحى فانه غالبا ما تكون لغته ركيكة الى جانب ما يكتنفها من ألفـــاظ دخيلة كما هو الحال فى الرسائل النثرية ، الى جانب سذاجة المعـــانى ، والتواء الأساليب .

أما النصوص النثرية فى المؤلفين السابقين فانه قد غلب على صاحبيها الميل الى المحسنات اللفظية من سجع ونحوه كما هو واضح فى هذين النصين اللذين تمثلنا بهما .

---

(٦) « نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار » جـ ١ ص ٥ ط . دمشق .

الفصـــل الثـانى

النثر فى المرحلة الثانية

والمرحلة الثانية هى المرحلة التى بدأت مع اشراقة عهد جديد وبداية نهضة شملت جميع نواحى الحيـاة المادية والمعنوية منذ منتصف هذا القرن ·

وكان من الطبيعى أن تصحب هذه النهضة نهضة مماثلة فى الفنون الأدبية للتعبير عن هذه الحياة الجديدة المتطورة وما صحبها من مضامين وأفكار جديدة ، وصراع بين قديم وجديد ، وكلها أمور بحاجة الى ثوب جديد للتعبير عنها · خاصة بعد أن ساعدت الظروف الثقـافية على نمو الوعى الفكرى والاجتماعى فى البلاد ، وكان للصحافة وغيرها من وسائل الاعلام دور فعال فى فتح المجـال للتعبير عن هذه المضامين والأفكار وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت فنون جديدة فى النثر لم يكن لها وجود فى المرحلة السابقة ، وأهم هذه الفنون المقالة الصحفية بأنواعها ، والقصـة القصيرة ، والمسرحية ، وأصبحت هذه الفنـون النثرية تعبر عن بعض جوانب مظاهر هذه الحياة الجديدة وما يدور فيها · وتصور آمال الشباب وتطلعاته ، وتعـالج الصراع بين جيل الماضى ومحافظته وتمسكه ، وبين جيل الحاضر وانطلاقاته ، وكل منهما له ايجابياته وسلبياته · ولكن الذى يجب ذكره هنـا وهو ما أشرنا اليه سابقا وهو أن هذه الفنون التى سنتناولها بالدراسة والتقويم لم تزل حتى الآن فى طور نشأتها الأولى ، ومحاولاتها لشق طريقها نحو النضج الفنى · وفى الحقيقة أن هذه الفنون لم تستطع حتى الآن أن تستوعب الحيـاة الحاضرة للمجتمع وبكل أبعادها لا كما ولا كيفا ·

أولا ـ المقـالة :

وقد أصبحت المقالة فى الوقت الحاضر من أكثر الفنـون

النثرية انتشارا ومما ساعد على انتشارها ظهور الصحافة وغيرها من وســـائل الاعلام ، كما أن ســهولتها وعدم استغراقها للوقت الطويل سواء من حيث كتابتها أو قراءتها جعل منها مادة مناسبة للحياة العصرية المتطورة بأحداثهـا السريعة ، وبهذا تكون أكثر ملاءمة للحياة الصحفية وغيرها من وسائل الاعلام ٠ وهناك العديد من التعريفات للمقالة ، ولكنها أصبحت فى الوقت الحاضر لا تتقيد بهذه التعريفات تقريبا ٠ وقد عرفها ادموند جوس بقوله : « المقالة باعتبارها فنا من فنون الأدب ، هى قطعة انشائية ذات طول معتـدل تكتب نثرا ، وتلم بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقـــة سهلة سريعة ، ولا تعنى الا بالناحية التى تمس الكاتب عن قرب » (١) ٠ وهذا التعريف أقرب الى المقالة الذاتية منــه الى المقالة الموضوعية ٠

وتتنوع المقالة فهناك المقالة الذاتية وهى التى تعبر عن خاطرة لكاتبها وهى تهتم بابراز شخصية كاتبها والكشف عن مشاعره ونظرته للحياة كما أنها أقرب التصاقا بالفن الأدبى من المقالة الموضوعية ، حيث أن المقالة الذاتية غالبا ما تهتم بالصور البيانية والأســاليب البلاغية السلسة للتعبير عن الفكرة أو الخاطرة خلافا لما عليه المقالة الموضـــوعية التى غالبا ما تميل الى الأسلوب العلمى الذى يهتم بتجلية المعنى المراد وتوضيحه أو تقرير حقيقة واثباتها ٠

وهناك المقالة الموضوعية وهذه تتعدد ألوانها فمن مقالة سياسية ، أو اجتماعية أو أدبية ، أو ثقافية ٠٠٠ الخ ٠

واذا تتبعنا صـــور المقالات التى نشرت فى هذه الفترة ـ مع بساطتها وقلتها ـ فانهـــا تقريبـــا تكاد تدور حول الموضوعات الاجتماعية ، والأدبية ،الى جانب بعض الخواطر التى تدخل فى مجـــال المقـــالة الذاتية ٠ وكلها مقالات فى مرحلة النمـو ودور التكوين ولم تبرز حتى الآن شخصية

---

(١) فن المقالة ـ د ٠ محمد يوسف نجم ص ٩٤ ٠

لها اتجاه معين ، وأسلوب مميز فى هذا المجال ، فضلا عن استمرارية هذا الانتاج أو غزارته عنـــدها • ولهذا فأغلب ما سوف نعرض له من مقالات وما نأتى به من نماذج انما هو فى الغالب انتـــاج لأشخاص غير معروفين ولا نستطيع أن نطلق على البعض منهم لقب أديب أو ندخله فى زمرة الكتاب الا بعد أن يفرض نفسه بانتاجه مع مراعاة كمية هذا الانتاج ونوعيتـــه •

(أ) المقــالة الذاتية :

تقـــول : زهرة يوسف المالــكى ، تحت عنوان : « لماذا الذبول ؟ » ••

نظرت الى السماء في ســـــاعة غروب ••• ساعة موت أشعة شمس بذلت كل نورها فى يوم كاد ينتهى ويزول •• رأيتها تسحب أذيال ثوبها الأصفر وراءها وقد نكست رأسها بحزن فى الماء فتحاول أن تخفى ألمها عن عيوننا • حتى لانرى الحزن الكبير فى حدقتيها ••• وأخذ لون الحيـــاة ينطفىء ويذوى فى ثوبها حتى أوشك أن يتلون بالظلام الأسود ••• وغابت الشمس غابت وتركتنا نأسى لفراقها فنلتاع لذهابها ••• فهى تنشر مع أشعتها الدفء والخصب فى النفـــوس وتكسو المشـــاعر بريقـــا ووهجا ••• وحين ذهبت أطرقت الشجيرات برؤوسها حزنا كأنمـــا تحس هى الأخرى بوطأة الموت ••• كأنما تشعر بأن يوما قد انتهى وغطى بكفن أسود حالك ••• وخفت غناء النسيم وتغريد العصـــــافير وكاد يتلاشى ويذوب • شـــــاهدت هذا المنظر فأسرعت الخواطر والأفكار الى من كل جانب •• تلح وتطرق باب فكرى باصرار ولم أعهده فيها من قبل • فكرت وقلت : « لماذا نموت ••• ؟ ولماذا نذبل؟بل لم العيش ان كانت نهايته الموت؟ ••» الخ(٢)

والمقالة تسيطر عليها روح التشاؤم والتذمر الذى تعيشه

---

(٢) مجلة الدوحة العدد (٦٢) أكتوبر ١٩٧٤ م •

الكاتبة والذى تحاول أن تفصح عنـــه من خلال تشخيصها لبعض الكائنات من حولها وقد اتخذت من هذه الصور أداة للتعبير عن مشاعرها ووجدانها الحزين وهى صور حزينـة وقاتمة ذات طابع رومانسى • فالليل كفن أسود يغطى الكون، والحزن يعيش بين أهدابنا ••• والقمر يهزل ويمرض •• الى آخر هذه الصور الحزينـــة القـاتمة • وتبدو الحيرة التأملية أقصاها بتوالى هذه الاستفهامات الـكثيرة المعبرة عن قلق الكاتبة وعن روحها الحائرة المتشائمة المتطلعة الى معرفة المجهول • وفى هذه المقالة يتمثل لنـــا النثر الفنى الحديث فى انطلاقه من قيود الصنعة القديمة ، وفى حشـد الصور الخيالية التى هى ثمرة التأثر بالآداب الحديثـة فى صورتها ومضمونها ، واتجاهها •

(ب) المقالة الموضوعية :

وقد تعددت الأغراض التى تتناولها فشملت تقريبـــا كل المجالات العلمية والفنية ، وأصبحت المقـــالة فى مثل هذه الموضوعات تتجه فى الغالب الى الأسلوب العلمى من حيث التحليل ووضع المقدمات والجدل فى محاولة للاقنـاع بفكرة الكاتب •

وأهم أنواع المقــــالات التى ظهرت فى هذه الفترة فى الصحافة القطرية المقالة الأدبيـــة ، والمقـــالة السياسية ، والمقالة الاجتماعية ، والأخيرة أكثر شـــيوعا فى الوقت الحاضر وذلك لتعدد أغراضها وموضـــوعاتها ، ثم بحكم اتصالها المباشر بحياة المجتمع وما يدور فيه من قضـــايا ومشاكل وصراع بين الجديد والقديم كل هذه الأمور جعلت المقـــالة الاجتماعية أكثر انتشـــارا • ولعل أهم القضـــايا الاجتماعية التى دار حولها نقاش وكتب حولهـــا العديد من المقالات التى تعالج هذه الموضوعات ومن أهمها : (مشكلة غلاء المهور والزواج من الأجنبيـــات) وظاهرة التقليـــد والتشبه بالغرب من حيث المظاهر ، الى جانب موضـــوعات الغلاء وارتفاع الأسعار ونحوها • ولكنها مقالات ساذجة من

حيث المعالجة بالاضافة الى ركاكة الأسلوب وضعفه ، ولذلك فاننا عرضنا عن الكثير منها وأوردنا نماذج منها للاستشهاد بها . فمثلا : حول ظاهرة التقليد ومحاولة بعض الشباب التشبه ببعض الشباب الغربى من حيث المظاهر التى قد لا تتمشى مع التقاليد العربية والاسلامية تخرج بعض المقالات التى تهاجم مثل هذه الظاهرة وتدعو الشباب الى التمسك بالتقاليد العربية واذا كانت هناك ثمة موضوعات للتقليد فلتكن فى الأمور المفيدة التى تعود بالنفع على المجتمع من تطور وتقدم فى جميع مجالات الحياة .

يقول الشيخ عبد الله الأنصارى : فى مقالة تحت عنوان : (التقليد مرض تعانى منه مجتمعاتنا) (٣) .

(وقضية التقليد هى أسوأ القضايا التى تعانى منها مجتمعاتنا لشديد الأسف ، فقد أغرم شبابنا بكل ما يراه من أبناء الغرب ، حلقوا لحاهم فحلق لحيته ، وأطالوا سوالفهم وشعورهم فأطال كذلك ، ولبسوا البنطلونات الواسعة فقلدوهم ، ولبسوا الضيقة فعمل مثلهم .. وكأنما كتب الله علينا (بل على شبابنا) أن يكونوا أمعة كما وصفهم النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وكأنما كتب عليهم أن يكونوا أذنابا ، بل صورة باهتة بلهاء لمن يقلدونهم ، فواحزناه لما وقع . لقد عجبت من شاب من عائلة كريمة يدافع عن الخنفسة بروح وثابة وكأنه يدافع عن عقيدة ، وما هى الخنفسة أيها القارىء الكريم ؟ اتدرى ما هى ؟

لن أتعرض للتعريف اللغوى الذى أبانه الأخ الكريم (مصطفى ابراهيم) ، ولكنى سأنهج نهج آخر ، وهو أن الخنفسة شعار اليهود ، بالاضافة الى قبحه ورذالته وسقاطته ، فلعمرى ماذا يعشق المخنفس ليس الا أنه قد فتن فى حياته وقضى عليه على حد قول الشاعر :

---

(٣) مجلة العروبة العدد (١٤٢) ١٩/١٠/١٩٧٢م .

يقضى على المرء فى أيام فتنتــه
حتى يرى حســنا ما ليس بالحسن

ويسترسل الكاتب بعدها فى اسداء النصائح الى الشباب مبينا مساوىء التقليد فى مثل هذه الأمور ، داعيا اياهم الى التمسك بالأخلاق العربية والمبــادىء الاسلامية · وهكذا نرى أن هذه المقالة جاءت فى صورة خطبة وعظية وباسلوب تعليمى مباشر ناتج عن عاطفة دينية منفعله ·

٣ ـ وارتفاع الأسعار والغلاء الفاحش واستغلال بعض التجار والمحتكرين مشكلة من المشاكل التى تعانى منهــــا المجتمعــات وعلى وجه الأخص فى الوقت الراهن · وتأتى المقالة لتصور لنا جانب من هذه المشاكل ولكى تلفت انتبــاه المسئولين لهذا الاستغلال والتــــلاعب ، وذلك حين تدخل بأحدهم الى أحد هذه الأسواق لتطلعه على ما يدور فيهــا من جشع وغبن ، يقول الأستاذ/ خليفة عيد الكبيسى : « لنبــدأ سويا بالدخول فى ســـــوق السمك أولا ، ومن أى الأبواب الأربعة تفضل أيها المسؤول أن تدخل السوق ؟!

أتريد أن ندخل من البـــاب الغربى ونخرج من البـــاب

الشرقى ·· ؟

ـ وجملة الباب الشرقى ـ لها معناها فى لغة المجتمع ، أى أنه حين يقول قائل : ظهرت من الباب الشرقى ، انما معنى ذلك أنه خرج صفر اليدين من الموضوع ··

مهلا أيها العزيز لا تسرع فى مشيك ووثق الخطى ، وسدد النظرات فان الله تعالى يقول : « ولا تمش فى الأرض مرحا » الآن نحن فى منتصف سوق السمك ، أنظر الى هذه الرفوف، فكيف نراها ؟ أليست خاليــــة من السمك وكل ما يمت الى السمك بصلة ؟

وانظر الى تلك فماذا ترى عليها غير السمك العفن ٠٠٠ ثم أنظر الى هؤلاء القوم الذين تجمعوا وقل لى ما بال أولئك الذين تراصوا وتلاحموا ؟

ثم أنظر الى تلك النســـوة اللائى تجمعن فى منعزل عن الرجال ٠ انهن نسوة تركن بيوتهن وأطفالهن بدافع الحاجة الى السمك ٠٠ ثم قل لى ما بال هذا العجوز ٠٠ الذى جاء واتخذ مكانه بين الجموع التى تجمعت حول « الهامور » (٤) اليتيم ، انه الهامور الذى وجد نفســـــه فى حرج شـــديد ، لا يعــرف من يرضى ولا يعــــرف من يبكى ٠٠٠ أيرضى ذات اليتـــــامى ، أم يرضى الذى يكاد يهلك من أكل العـــدس والبطاطس » (٥) ٠ ونكتفى بهذا القدر من الأمثلة فى المقالة الموضوعية ، لأن أكثر هذه المقــــالات على الرغم من تعدد موضوعاتها لا تخرج عما ذكرناه من حيث بساطتها ، وعدم النضج الفنى الكامل فى أسلوب صياغتها ٠

المقـــالة الأدبيـــة :

وقد ظهرت فى هذه الفترة بعض المقالات التى تدور حول موضوعات أدبية ، ولكنها مقالات محدودة سـواء من حيث كمية هذه المقالات أو من حيث قيمتهـــا وعمق الأفكار التى تعالجها ٠ وأغلبها مقالات تدور حول قضية الأدب فى قطر ، وهل هو موجود أم غير موجود ؟ وأسباب ركوده وتأخره ٠٠ ونحو ذلك مما سبق أن تحدثنا عنه فى الفصـــــل الخـــاص بالحياة الأدبية وقد ذكرنا بعض المقــــالات التى دارت حول هذا الموضوع ٠

ومن المقالات الأدبية التى نشرت فى هذه الفترة وأخذت صورة الترجمة المختصرة لشخصية أدبية ما كتبه الشـــاعر

---

(٤) الهامور : نوع من أنواع السمك ، متوسط الحجم ٠

(٥) مجلة العهد العدد ٤٩ سنة ١٩٧٥ م ٠

(مبارك بن سيف) ، تحت عنوان : « رحلة الشعر مع بدر شاكر السياب » (٦) ٠

فبعد أن يطوف بنا كاتب المقالة بالبيئة التى نبت فيها « بدر شاكر السياب » وبين لنا مدى تأثيرها فيه ، ويعطينا لمحة عن مراحل تعليمه وأهم المكونات الثقافية التى شكلت ميوله واتجاهاته ، ثم عن أهم الشعراء الذين تأثر بهم الشاعر ٠ ينتقل بعدها ليتحدث عن اتجاهه فى الشعر وكيف شق طريقه فى هذا الاتجاه ٠

« لقد كان لقراءته لهؤلاء الشعراء تأثير كبير فى تطوير أسلوبه الشعرى واختيار المواضيع ٠ وكان معجبا بصفة خاصة بالشاعر « بودلير » ٠ ولكن رغم ذلك فان بدرا لم يقطع صلته بالشعراء العرب المبدعين ، وأن كان فكره يتجه الى شعراء الغرب ٠ فانكب على قراءة الشعر الانجليزى بوجه خاص والشعر العالمى المترجم الى اللغتين الانجليزية والعربية بوجه عامّ ٠

« وفى هذه المرحلة بدأ شعر (بدر شاكر السياب) يتحرر من قيود الشعر الكلاسيكى القديم ، فراح يكتب الشعر الحر الذى يعتمد على وحدة الموضوع دون اعتبار لميزات العروض أو تواتر القافية ٠ وهنا أيضا ابتدأ السياب يعرف الالتزام وأهميته بالنسبة للشعر الحديث ٠ والمتتبع لشعر بدر شاكر السياب يرى أنه لم يتخذ من الالتزام بديلا للعقيدة ، بل جعل الشعر يدور حول الموقف الفكرى والمعتقد دون أن يتقيد بهما كل التقيد أو يسير فى ركابهما ، أو يكون الالتزام بديلا عنهما ٠ ولقد فهم بدر الالتزام فهما دقيقا فما دام الشاعر يعيش فى مجتمعه ويتفاعل معه فهو بالضرورة عندما يكتب شعرا انما يعبر عن المجتمع بكل ما يختلج فى نفسه من أمانى ٠

---

(٦) مجلة الدوحة عدد (مايو) ١٩٧٦ م ٠

والشعر فى هذا المقام يكون صورة صادقة تعكس كل ما يريد المجتمع أن يقوله من خلال الشاعر ··· »

ويستمر الكاتب مع الشاعر (السياب) فى رحلته وريادته للشعر الحر ، موضحا اتجاهه المذهبى وينهى الرحلة بمأساة الشاعر ونهايته الأليمة ·

وفى رأيى أن التزام السـيـاب كان مرتبطـا بالمواقف والاتجـاهات التى تتبلور عنده وهى متغيرة حسب المراحل التى مر بها فى حياته (٧) ·فمن رومانسية هائمة فى الطبيعة تتغنى فى الحب وتنشد الجمال الطبيعى · الى واقعيـة ملتزمة بقضايا المجتمع ومشاكله ، ثم الى ذاتية منزوية أخذ فيها الشاعر يبكى آلامه ، وآماله التى تحطمت وكان سببها ذلك المرض الذى لازمه ولم يزل يلح عليه حتى قضى نحبه ·

وحول مكانة الأدب وأهميته وموقف بعض النـاس منه وتجاهلهم له ولدوره فى خدمة المجتمع والنهوض به نرى هذا الموقف الدفاعى عنه فى مقالة للأستاذ/ خليفة عيد الكبيسى تحت عنوان : الطاعنون فى الأدب : « الطاعنون فى الأدب هم جماعة من النـاس الذين عرفوا الأدب بالكلمات ولكنهم للمعنى لا يدركون ، يعرفون الأدب غاية ، ولا يعرفونه وسيلة لغاية ، الطاعنون فى الأدب هم تلك الجماعة التى تثنى بجزل على العلم والانسان العلمى دون أن تتذكر هذه الجمـاعة فضل الأدب لتذكره بالشكر والثناء أسـوة بشقيقه ·· فالأديب والمادة الأدبية لا يقلان نفعا لبنى الانسان عن نفع الانسان العلمى ومادته العلمية ··· فالأدب فن كبقية الفنون ان أحسنا قراءته بعقل مرن وادراك واسع ، ثم أحسنا كتابته أيضا بالأسلوب المرن والغاية المشتركة ، والأدب يكون حلو الطعم مستساغا لدى الخاصة والعامة اذا قصد الخاصـة

---

(٧) شاعر الرافدين بدر شاكر السياب ـ احمد صالح محمود ص ٢٢٨ رسالة دكتوراه تقدم بها لكلية اللغة العربية جامعة الازهر ·

والعامة ... ويكون وبالا على أهله اذا جاء منافيا لما هو فى الــواقع أو نزولا الى العــــاطفة للتغــــزل والمزاح والزجل ... » (٨) .

والكاتب فى مقالته يحاول أن يدافع عن الأدب ومكانته فى خدمة الحياة ، ويلقى باللائمة على بعض الأدباء الذين كانوا السبب فى تشويه الأدب وتغيير نظرة الناس اليه ، وعزوفهم عنـــه ، وهو أن هؤلاء الصنف من الأدباء قد أغرقوا الأدب بالموضوعات الجنسية أو ما يعرف بالأدب المكشوف فما كان من النـــاس الا أن تولوا عنه ، لأنه أصبح أداة هدم أكثر من كونه أداة بناء . والكاتب يميل الى الأدب الهـــادف والمحافظ من حيث القيم الأخلاقية حين يقول : (فأسرفوا فى الكتابة عن الحب وفى الغزل ... ونسوا أن رسالة الأديب هى خدمة الأمة وعرض قضاياها وبالتالى حل مشـــاكلها وتوجيه أفرادها نحو العقيدة .. نحو الوطنيـــــة .. نحو المعاملة الحسنة .. » (٩) . وتحديد مهمة الأدب ، أو الغاية منه موضوع دار حوله خلاف طويل (١٠) .

خصائص المقالة :

أصبحت لغة المقالة سهلة بعيدة عن اللغة القاموسية ، كما بعدت عن الأسلوب القديم الذى يقوم على السجع والزخارف اللفظية . وأصبح الاهتمام منصبا على المعانى مع مراعاة سلامة الاسلوب . وبعده عن العامية التى كانت شائعة فى الرسائل النثرية فى الفترة الأولى . أما من حيث الأفكار فان المقالة أخذت تتناول أفكارا جديدة وقضايا حيوية يعيشـــها المجتمع ، وان كانت هذه المقالات يغلب عليها الطابع البسيط من حيث عدم التعمق فى الفـــكرة أو عدم التحليل والالمام بالموقف الذى تعالجه . كما أن الاتجاه التعليمى هو الطابع

---

(٨) مجلة العهد العدد (٤٧) ١٩٧٥/٧/١٠ م .

(٩) نفس المصدر .

(١٠) انظر النقد الأدبى الحديث د . محمد غنيمى هلال ص ٣٠٠ وما بعدها .

الغالب على هذه المقالات وذلك باتباع الاسلوب المباشر ، واسداء النصائح فى صورة الوعظ والارشاد ، وهو أسلوب يفقد المقالة بعض خصائصها الفنية ويبعدها عن التأثير مما يؤدى الى عدم استمراريتها وفقدانها لقيمتها الأدبية بل أصبحت معظم هذه المقالات فى عداد الأخبار الصحفية تفقد أهميتها بمجرد أول قراءة لها ٠

هذه هى تقريبا سمات المقالات الموضوعية بصفة عامة ، اذا استثنينا بعض المقالات الأدبية التى تتسم بدقة الفكرة وجمال الأداء وحسن العرض ٠

أما المقالة الذاتية التى ذكرنا نموذجا لها والتى تمثل التجارب الذاتية والشعورية للكاتب فانها تمتاز بصدق التجربة وروعة التصوير وجمال الاسلوب وسلامة التعبير ونحو ذلك من السمات الفنية للنثر الأدبى الحديث ٠

ثانيا ـ القصة القصيرة :

ـ ١ ـ

هى تقريبا من أحدث الفنون الأدبيـــة فى مختلف الآداب حيث ظهرت القصة القصيرة بمعنـــــاها الفنى الحديث فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر على يد (موباسان) أما قبل ذلك فقـــد كانت مجرد حكايات وخواطر (١١) فهى أقرب الى السرد الخبرى والحكاية منها للقصـــة الفنيـــة بمعناها « التكنيكى » الحديث ٠

وأصبحت القصة القصيرة على الرغم من الحداثة الزمنية لها من أكثر الفنون الأدبية انتشـــارا ورواجا فى مختلف الآداب ٠ وتحديد القصة القصيرة والتقعيد لها من الأمور التى يصعب الاتفاق عليهـــا فهى كغيرها من الفنون التى أغلبها لا تحـــدها قاعدة وتختلف وجهـــات النظر حول (التقنين) لها أو وضع منهاج معين تسير عليـــه ، وكذلك هناك خلاف حول تحديد حجمها هل هى تحدد بالزمن الذى تســـتغرقه فى القـــراءة ، أم بعدد الصفحات ، أم بعدد الكلمات ٠٠٠ الخ ٠

وقد عرفها الكاتب « ادجار الن بو » بقوله :

« يبنى الكاتب القدير قصة ، لن يشكل فكرة ليوائم أحداثه اذا كان فطنا الا بعد أن يدرك جيدا أثرا ما ، وحيدا ومتميزا ، عندئذ يخترع الأحداث ويركبها بطريقة تساعده فى أحداث الأثر الذى أدركه ، واذا عجزت جملته الافتتاحية عن ابراز ذلك الأثر ، فمعنى ذلك أنه فشل فى أولى خطـــواته ٠ وفى عملية الانشـــــاء كما يجب ألا تكتب كلمة واحدة لا تخـــدم

---

(١١) فن القصة القصيرة ٠ د ٠ رشاد رشدى ص ٨ وما بعدها ٠

بطريقة مباشرة أم غير مباشرة التصميم الذى خطط له من قبل (١٢) ٠

والقصـــة القصيرة تهتم أكثر بالتركيز والوحدة فهى تتناول ناحية معينة أو جانب من جوانب الحيـــاة ، أو لمحة معينة من المشاعر الانسانية وتركز عليها وكما تقول الكاتبة « اديث هوارتون » : « ان الموقف هو الموضوع الغـالب على القصة الصغيرة ، وأن رسم الشخصية هو الموضوع الغالب على الرواية » (١٣) ٠

ولقد كان لطبيعة الحياة العصرية دور كبير فى انتشـــار القصة القصيرة فهى أولا لا تحتاج الى وقت طويل سواء من حيث كتابتهـــا بالنسبة للقاص ، أو من حيث قراءتهـا أو سماعها بالنســـبة للجمهور ٠ وهى كذلك أقرب للحيـــاة العصرية من حيث كونها أكثر التصاقا بواقع الحياة وقربها من حيث تصوير المشاعر الانسانية والمشاكل الاجتماعية ، وبعدها عن الخيال والأساطير التى تكثر فى الفنون الأدبية الأخرى كالشعر والرواية ٠ والقصـــة القصيرة كذلك أكثر ملاءمة للروح العلمية التحليلية وهى الروح الســـائدة فى العصر الحاضر ، فجاءت القصة متمشية مع الحياة فى هذه الفترة ، ولذلك لاقت رواجا كبيرا واقبالا عظيما ٠

- ٢ -

أما القصة فى قطر فهى حديثة المولد ولا تتعـــدى بداية السبعينيات حيث بدأت طريقها مع مولد الصحافة فى قطـــر هذا بالنسبة للقصة القصيرة أما بالنسبة للرواية أو القصة الطويلة فهى حتى الآن لا تكاد ترى النور على الرغم من أن الرواية هى أسبق من القصة فى الظهور فى مختلف الآداب

---

(١٢) القصة القصيرة دراسة ومختارات ٠ د ٠ الطاهر مكى ص ٦٤ ٠

(١٣) خواطر فى الفن والقصة ٠ عباس العقاد ص ٦٥ ٠

بوجه عام · الا أنها قد تأخر ظهورها فى قطر ، وربما ذلك يعود الى كون الرواية بحاجة الى جهد أكبر وثقافة أوسع فى كتابتها ، بالاضافة الى أن القصة القصيرة أصبحت فى الوقت الحاضر هى الفن المسيطر على الحياة ، فاتجه اليها الكتاب بعد ظهور بوادر النهضة الأدبية فى قطر ، فقد تفتحت المواهب الأدبية فى البلاد وهى ترى أمامها أن القصة القصيرة أصبحت سيدة الموقف فاتجهوا اليها ·

والقصة القصيرة فى قطر لا زالت فى طور النشأة وبداية الطريق وهى ماضية فى استكمال تطورها ونضجها بصورة مشجعة كما سوف يتضح لنا من الأمثلة والنماذج التى سوف نذكرها فى هذا الفصل ·

ونظرا لقصر الفترة التى ظهرت فيها القصة القصيرة فى قطر فانه من الصعب تقسيمها الى مراحل متباينة لأن ذلك لم يتضح بصورة واضحة ومحددة كما أن التقسيم على أساس المذاهب الفنية أمر صعب بالنسبة للقصة فى قطر بسبب قلة هذه النماذج وعدم تبلورها بصورة واضحة حيث أن معظم هذه القصص يتداخل بين الواقعية والرومانسية · ولهذا فقد ابتعدت عن هذه التقسيمات المذهبية واتجهت فى دراستى الى أخذ نماذج من هذه القصص وتحليلها والقاء بعض الضوء عليها من الناحية الفنية والموضوعية مع الاشارة الى مدى ارتباط هذه القصص بالبيئة القطرية · كما أننا من خلال تتبعنا لهذا الانتاج سوف نلاحظ أنه فى تطور تاريخى مستمر فقصص أواخر الستينات وبداية السبعينات تختلف عن القصص التى ظهرت فى أواخر السبعينيات سواء من حيث الكم أو الكيف على الرغم من قصر هذه الفترة ، فهى فى الفترة الأخيرة أكثر نضجا وأقوى اندفاعا وانتشارا ·

- ٣ -

ولعل أولى المحاولات لكتابة القصة فى قطر كانت تلك

المحاولات التى بدأها الأستاذ/ يوسف نعمة رئيس تحرير مجلة العروبة وذلك فى أواخر الستينات حيث ظهرت قصة « بنت الخيلج » ولم أستطع العثور عليها حتى أن الكاتب نفسه لا يمتلك نسخة منها ، ولكن يمكننا القول بأن هذه القصة لا تخرج من حيث عدم النضج والاكتمال عن القصص التى كتبها فيما بعد فى مجموعتين (لقاء فى بيروت) عام ١٩٧٠ م ، والمجموعة الثانية « الولد الهايت » عام ١٩٧١ م وهاتان المجموعتان عبارة عن مقالات خبرية أو حكايات عادية يتسامر بها الناس ، أو مجموعة من الشباب يحكى كل منهم عن مغامراته فى رحلة من رحلاته التى يقضيها خارج البلاد • فمعظم ما تحتويه المجموعة الأولى وهى (لقاء فى بيروت) عبارة عن وصف لرحلات الشباب ومغامراته فى القاهرة وبيروت ، واستعراض لمعرفة الكاتب بأسماء الشوارع والأماكن فى هذه المدن ، بالاضافة الى ما يتخللها من الآراء والمناقشات السياسية التى لا تكاد تمت الى الموضوع بصلة (١٤) •

أما المجموعة الثانية « الولد الهايت » فهى عبارة عن تمثيليات يستعرض الكاتب من خلالها مختلف اللهجات من لبنانية ومصرية وخليجية حتى يصل الى اللغة الهندية (١٥) ونحن فى حقيقة الأمر لسنا مقتنعين بنسبة هذه المجموعة الى القصص بالمعنى الفنى المعروف ولكن بحكم تأريخنا للأدب القطرى وبحكم الأمانة العلمية كان يتحتم علينا أن نرصد الجيد وغيره لنعطى صورة كاملة تقريبا لمسيرة الأدب القطرى على اختلاف فنونه ومختلف المراحل التى مر بها ، فأشرنا الى تلك المحاولات •

ولعل أول قصة ظهرت وكانت بقلم كاتب قطرى وتقترب الى حد ما من القصة القصيرة بمعناها الفنى الحديث هى

(١٤) لقاء فى بيروت • يوسف نعمة ص ١١ •

(١٥) الولد الهايت • يوسف نعمة ص ١٢ •

قصة (الحنين) التى كتبها الأستاذ/ ابراهيم صقر المريخى ونشرتها مجلة (العروبة) فى العدد الخامس والخمسين ، وهى تصور بعض التناقضات التى تدور فى المجتمع فى فترة الانتقال فهى تصور الصراع بين جيل محافظ يريد التمسك بكل ماضيه ، وجيل الشباب المثقف الواعى الذى يسعى للتغيير والانطلاق ، حيث تصور القصة المذكورة لحظة صراع بين شيخ طاعن فى السن وبين أبنائه الذين انهوا تعليمهم وحصلوا على مناصب عالية فى الدولة فقرروا تغيير مسكنهم القديم والانتقال الى « فيلا » حديثة ولكن الوالد يرفض هذا التغيير ويصر على البقاء فى مسكنه القديم والأبناء يتمسكون برأيهم ويضطر الوالد الى الرضوخ لرأى أبنائه بعد أن عجز عن المقاومة وينتقل معهم الى المسكن الجديد ولكنه يظل حنينه الى البيت القديم ٠

والكاتب هنا يتخذ من السرد المباشر وسيلة للتعبير عن الأفكار التى ينقلها للقارئ وباسلوب تعليمى ، يبعد عن التحليل أو التعمق فى نفسية الشخصيات ٠ ولو تعمق الكاتب فى نفسية هؤلاء الشخصيات وتنبه لواقع المجتمع القطرى فى هذه الفترة لما رأى أن هذا الصراع نتيجة حقد وكراهية من قبل الأبناء (ولا يدرى كيف امتلأت نفوسهم بالكراهية لهذا المكان القديم الذى لا يحمل لهم غير المودة والحب الصادق ، ان حقدهم على هذا المكان الغالى بكل هذه البساطة وكأنها لعنات ضاق بها صدر زنديق ٠٠) (١٦) فلو أن الكاتب تعمق فى الأحداث ونظر الى واقع المجتمع القطرى فى هذه الفترة لوجد أن هذا الصراع أو التذمر عند شخصياته نتيجة طبيعية يعيشها الانسان فى فترة الانتقال وليست نتيجة حقد وكراهية كما تصورها الكاتب ٠

والقصة لا تخلو الى جانب ذلك من الوعظ والارشاد

---

(١٦) مجلة العروبة العدد (٥٥) ١٩٧١/٢/١٨ م ٠

(١٧) المصدر السابق ٠

والتقريرية (ماذا حدث عندما انتقلوا الى هناك ٠٠ ؟ هل صفق لهم الناس طربا ؟ هل أقبلوا عليهم بأكثر مما كانوا من قبل ٠٠ وهل ارتفعت أقدارهم بأكثر مما يمكن ٠٠٠ ؟ انهـــا مفاهيم غريبة تلك التى ازدحمت بها عقولهم ، فهل فى مثـــل هؤلاء خير وهم لا يســـــتجيبون لصرخات قلب الأب الذى يتقلص ألما ، وينكمش تعاسة ويعيش فى شـــــوق دائم الى قديمه ٠٠٠) (١٧) ٠

- ٤ -

وأغلب القصص التى ظهــرت فى أوائل السبعينات تكاد معظم موضوعاتها تنحصر فى علاقة الانســــان بالبحر فى الماضى ، أو تصوير لفترة الانتقال بين عهدين وما يدور فيها من صراع بين القـــديم والجديد ، كما أن هذه القصص فى معظمها أقرب الى المقالة أو الحكاية منها للقصة بمفهومهـــا الفنى الحديث ، فعلى الرغم من عمق الموضـــــوعات التى تعالجها وقربها من الواقع الاجتماعى الذى يعيشه المجتمع فى عهد انتقاله بين مرحلتين ، الا أن طريقة المعـــالجة لهذه الموضوعات تقترب من اسلوب الحكاية العادية التى يتسامر بها الناس فالحبكة الفنية ، وعنصر التشـــــويق تكاد تفقده معظم هذه القصص بسبب البوح المباشر للأفكار ، ثم البعد عن التحليل ، واتباع الطريقـــة التعليميـــة بهدف الوعظ والارشاد ٠ كما أن بعض هذه القصص تركز على تصـــوير شخصية بطل القصة تصويرا شبه متكامل ، على الرغم من أن التركيز على الحادثة ، أو الموقف هو أهم شىء يركز عليه فى القصة القصيرة وهو ما يختلف فيه مع الرواية ، فوحدة الأثر الكلى تكاد تكون مفقودة فى معظم هذه القصص بسبب تعدد الأفكار وتتبع سيرة بطل القصة ٠

فقصة (عجوز فى عاصفة) لعبــد الله الحسينى (١٨) ،

---

(١٨) مجلة الدوحة العدد (٤٦) تموز ١٩٧٣ م ٠

يتتبع فيها سيرة طفل يشب ويرى والده يعمل فى البحر ثم يتوفى والده وتصر أمه بعد أن يكبر على زواجه بحجة أنهـا تحب أن ترى أبناءه فتختار الأم شريكة حياته ، ويعمل الابن بعدها فى البحر حتى يكبر ويبلغ من العمر عتيا وهو على ضنك من العيش وذات يوم يقرر أن يذهب بزورقه بعيدا طمعا فى اصطياد أكبر كمية من الأسماك حتى يوسع على نفسه ، ولكن طمعه هذا يشرف به على الهلاك فبعد ان اصطاد الكثير من الأسماك ، هبت عليه عاصفة شديدة وأمطـــار غزيرة وتحطم قاربه ولم تبقى الا ألواح قليلة تطفــوا فوق البحر وتهاجمه أسماك القرش ، ويظل على تلك الحال حتى يسعفه القدر ويمر بالقرب منه قارب صيد آخر فيقـــوم صـــيادوه بانقـــاذه ويأخذونه معهم الى الشاطىء حيث كانت زوجته فى انتظاره هناك ٠

فالقصة من حيث أسلوب المعالجة عبارة عن وصف مباشر للأحداث أو بمعنى أصح تتبع وصفى لحياة بطل القصـــة ، وجاءت الأفكار ملقاة بصورة مباشرة حتى فقدت القصـــة عنصر التشويق ٠

وذكرى الماضى وحياة الغوص ومعاناة الانسان القطرى وتجاربه مع البحر تكاد تستقطب الكثير من موضــــوعات القصص القصيرة فى هذه الفترة فقصـــة (الدنيا بخير) لسامى قاسم المناعى (١٩) ، تصور جانبا من علاقة عامل البحر بالنوخذا صـاحب السلطة المطلقة (فى السفينة) ، وكيف أن بعض هؤلاء العمال كالغاصة وغيرهم يلاقون الغبن والظلم ليس من البحر فحسب وانما من الانسان أيضـــا فالأقوى هنا وهو النوخذا غالبـــا ما يســتغل الغواصين والعمـــال الذين تحت سلطته ويبتز نصيبهم من الأرباح ٠ فها هوذا الرجل العجوز (هلال) يجتر آلام الماضى بعد أن

(١٩) مجلة العهد ٠ العدد (١٣٧) ٠

لفضه المجتمع الحديث وأصبح غير مرغوب فيه بعد أن فقد كل قواه وبات لا يقوى على أى عمل ، عاد (هلال) يتذكر الماضى وطافت برأسه الخواطر وصمم فى نفسه على أن يقتص بمن كان السبب فى تعاسته ، انه النوخذه (مسعود) ذلك الرجل الجشع الذى استغله طيلة حياته وكان السبب فى بؤسه فليذهب ليقتص منه ، وعندما كان هلال ذاهبا فى طريقه لمطالبة النوخذا (مسعود) بحقه عازما على الانتقام ان لم يؤدى اليه هذا الحق ، وبينما هو فى طريقه تستبد به هذه الخواطر يسمع صوت المؤذن يرتفع للصلاة ، وهو يردد كلمة الله أكبر فيتأثر بها ويرددها خلف المؤذن ، ويغير اتجاهه ويدخل المسجد ويصلى بقلب خاشع ويستعيذ بالله مما سولت له نفسه ، وبعد خروجه من المسجد يلتقى بشاب يسلم عليه ويعرفه على نفسه ويفصح له بأنه ابن النوخذه (مسعود) وأن والده قد توفى منذ فترة ، وأنه قبل وفاته أوصاه بأن يعطى مبلغا من المال (لهلال) تكفيرا عما ارتكبه فى حقه فى الماضى ودفع الشاب (لهلال) بعض المال وعينه فى وظيفة عنده فى الشركة التى افتتحها بعد وفاة والده ٠

فالقصة تصور لحظة شعورية انتابت الرجل العجوز (هلال) فدفعته الى التفكير فى الانتقام والفترة الزمنية محددة وجاء الماضى على سبيل الذكرى فالتركيز والوحدة تقريبا أوفر حظا فى هذه القصة منها الى القصص السابقة، كما أن اللغة وطريقة التعبير أفضل فيها من سابقتها ٠ وان كانت القصة لا تخلو من بعض الجمل التقريرية والاسلوب الخطابى والتعليمى ٠ « كان واضحا أن العجوز هلال واقع تحت تأثير حالة نفسية لا توصف » ٠

« حقا ما أشد تنكر الناس وغدرهم ، ان هلالا وأمثاله هم أحق الناس بالاكرام والحفاوة بهذه الثروة الجديدة ٠٠ ولكن من يعرف ومن يقدر ٠٠٠ » ٠

وطابع الرومانسية هو السمة الغالبة على انتاج الشباب فى هذه الفترة وربما يكون عند البعض نتيجة لمعاناة حقيقية نظرا لما يعيشه المجتمع القطرى فى هذه المرحلة من تغيرات وتفاعلات بين القديم والجديد فهناك العـــادات والتقـاليد العربية والاسلامية الضاربة بجذورها فى المجتمع ، وهناك الأفكار الجديدة والعادات الدخيلة التى تحملها الحضـارة الغربية بايجابياتها وسلبياتها وكلها أمور يلتقى بها الشباب فتترك فى نفوسهم أثرها وربمـــا يعيش فى صراع داخلى وتمتلكه الحيرة والتردد فى اتخاذ المواقف المعينة ازاء هذه الأمور ، ولذلك فلا غرابة فى أن نشاهد أن نتاج هذه المرحلة يغلب عليه الطـابع الرومانسى من ألم وحيرة وتردد وآهات عند بعض الشباب ٠

وقصـــة « دمعة سقطت » لزهرة يوسف المالكى (٢٠) ٠ تصور جانبا من هذه الحيرة والبحث عن الذات وفى صورة تساؤلات تتكرر من أنا ؟ حلم أم حقيقـــة ٠٠ ؟ شـــبح أم انسان ؟ ٠

أنا ٠٠٠ أنا هذه الكلمة المتناثرة الحروف تجرحنى دوما ٠٠٠ أسير فى درب الحياة مسافات طويلة ثم تصدمنى ٠٠٠ تقف أمامى كجبل شاهق يصعب تسلقه ٠٠ أحاول أن أعرف من أنا ؟ ما هويتى ؟ ما أحلامى ؟ ٠٠ ويبقى الجواب بعيـدا بعيدا ٠٠٠ » ٠

والقصة تطغى فيها المشاعر الذاتية على أحداث القصـة التى تصور علاقة حب فاشلة « هل أذهب اليه » ـ هل أذهب اليه ؟ ٠٠ أنا أعلم أنه هناك أعلم أنه يذهب الى شـــاطىء البحر كل يوم ٠٠ ولكن لم أريد أن أذهب ؟ ٠٠ أحقا أود أن أعيد له الصورة الأخيرة ؟ أحقا أود أن أنهى كل شىء بيننا ؟

---

(٢٠) الحصاد الثقافى ٠ اشراف نادى طلبة قطر بالقاهرة ٠

أم أننى اشتقت لرؤيتـــه ؟ لا أدرى ٠٠٠ لا أدرى ، ان قلبى وعواطفى ترفض البعد ولا تتصور الفراق مهما كان شـكله وحجمه ٠٠ لكن عقلى ٠٠ عقلى يحاول أن يبحث عن طريق ٠٠ يحـــاول أن يعرف الأرض التى أسير عليها الآن حتى لا تجرفنى الأيام بعد أن يفوتنا التدبير ٠ خالد معالم الطريق الآتى غامضة لا أحد يعـرف كيف تكون ٠٠٠ وكم أخشى أن تصـــدمنى تلك المعـــالم ٠٠٠ لكننى ســأذهب ٠٠٠ سأذهب ٠٠٠ (٢١) ٠

وهكذا نرى أن القصة غارقة فى رومانسيتها ســواء من حيث المعالجة أو من حيث المضمون وهى تقترب فى أفكارها من المقالة الذاتية التى سبق أن ذكرناها لنفس الـكاتبة فى الفصل الخاص بالمقالة ٠ أما القصـــة من حيث اللغة فان التعبير لديها يكاد يفضل التعبير عند معظم الـكتاب الذين أوردنا بعض النماذج لهم ، فالى جانب ســـلامة الأسلوب وجماله نرى صحة اللغة عندها ، الا أن الحبكة الفنيـة فى القصة غير متوافرة عندها ٠

وقد وصفها الأستاذ/ محمد جابر الأنصـــارى بقوله : « ولا تتقيد الكاتبة بالأصول الدقيقـــة فى كتابة القصـــة القصيرة ، اذ تغرق ملامح القصة ومعالمهـــا فى بحر من الخواطر الذاتية ، ولكن القيمة الأدبية تكمن فى هذا التعبير الذاتى انه تعبير خصب وحيوى فى أسلوبه ومضمونه (٢٢)

وضمن الكتيب الذى أصدره نادى طلبة قطر بالقـــاهرة « الحصاد الثقافى » نجد أيضا قصة قصيرة ولكنها خرجت بثوب وأسلوب جديد عن سابقتها والقصة بعنوان « حفنة من تراب » لبهية عبد الرحمن الباكر ٠ وهى تصـــور شخصية

---

(٢١) المرجع السابق ص ٢٤ ٠

شاب يترك بلده ويسافر للدراسة وهناك يصطدم بحيـــاة جديدة ومغايرة لما كان يعيشه فى مجتمعــه ، « غريب هذا العالم الذى قدم اليه ٠٠ كل شىء فيه لذيذ ومثير ٠٠ أين كان طوال هذه السنين ٠٠ كان مدفوعا بالمشاكل والأحداث فى تلك المدينة الميتة ٠٠ كان بعيدا عن الانفتاح والتقدم ٠٠ كان رجعيا بالفطرة ٠٠ انه عندما يتذكر مناظر البؤس التى خلقت فى وجوه فلاحى وطنه ٠٠ ثم أيدى الشابات الغليظة الخشنة وأرجلهن الملونة بالأوحال والطين ٠٠ أما هنا رائحة غريبة تنبعث من طيات شلالات الشعر المنسدل على الأكتاف الرقيقة العارية ٠٠ بل قطع البلور والتى تحاول أن تجد لها مخبأ بين أخاديد هذه الصدور الفتية ٠٠ الرقص والمتعة ٠٠ شىء مثير وجديد ٠٠ (٢٣) ٠

وفى وسط هذا الجو الغريب كاد أن يسقط البطل ويضيع فى وسط ذلك الزحام ، « كل شىء هنا فيها يحاصره ويخنقه ٠٠ أرقام المواد ٠٠ جرائم الحوادث ٠٠ فليجرب هذا السائل الملون فى الزجاج ٠٠ انه يريد أن ينسى أن يتقدم ، أن يعيش ٠٠ لقد سقط الزعيم وفاز الشيطان ٠٠ ولكن سقطة الزعيم ليست مميتة كما ظن الشيطان لقـــد عادت اليه الأصـــابع الحديدية غاضبة من ابنها الذى باع حيـــاته وآمال شعبه وأرضه بجسد امرأة عدوه ٠٠ » (٢٤) ٠

لقد استيقظ ضمير الشاب عندما لامست يده تلك الصرة الزرقاء التى ربطتها أمه فى عنقه وهى عبـــارة عن مصحف صغير وحفنة من تراب وطنه ٠

والقصة تمتزج فيها الواقعية بالرمزية حتى بيئة القصة نراها مستعارة لدى الكاتبة والقصة على الرغم من بعض

---

(٢٢) مجلة الدوحة عدد ابريل ١٩٧٧ م ٠

(٢٣) الحصاد الثقافى ـ اشراف نادى طلبة قطر بالقاهرة ص ٣٠ ٠

(٢٤) المرجع السابق ص ٣١ ٠

الملامح الرمزية التى تكتنفها وأدت الى بعض التشويش فى رسم ملامح شخصياتها الا أنهـا لا تسلم من الأسـلوب الخطـابى الذى يلقى بالأفكار مبـاشرة والمغـزى واضحا (٢٥) .

كان شريط الدخان المتصاعد من الباخرة يحجب عنـه شيئا فشيئا معالم أرضه الحبيبة لتنقله الىدنيا ستكون أرض معركته .. سيتقاتل هو والشيطان .. والزمن سـيكون الحكم .. (٢٦) .

والملاحظة: التى يجب أن نشير اليها هنا أن جميع النماذج التى ذكرناها سابقا يكاد أصحابها يقتصرون على عمل أو عملين ولا يتجاوزونه الى أكثر من ذلك ولذا فان الحكم على أعمالهم وأسلوب المعالجة لديهم أو نسبتهم الى مذهب بعينه أمر غير دقيق من الناحية العلمية ، ولعل هناك كاتبين هما اللذان تجاوزا هذه الملاحظة من حيث كمية النتاج وما يزالان يواصلان الكتابة فى هذا المجـال وهما الكاتبة كلثم جبر ، والأستاذ خليل ابراهيم الفزيع .

أما بالنسبة للكاتبة كلثم جبر فقد نشرت مجمـوعة من القصص فى الصحف المحلية . كمجلة الدوحة ، ومجلة العهد ومجلة العـروبة على فترات مختلفة وأخيرا جمعت هذه القصص فى مجمـوعة واحدة باسم « أنت وغابة الصمت والتردد » وتحتوى هذه المجموعة على ست عشرة قصـة تصور بعضا من جوانب الحيـاة فى المجتمع القطرى من خلال علاقة الرجل بالمرأة ومن خلال هذه العلاقة تتضح لنا بعض المفارقات التى يعانى منها المجتمع أو بالأخص ما تعانى منها الفتاة القطرية التى تعيش فى مرحلة انتقالية بين عهدين عهد قديم يربطها بعاداته وتقاليده وموروثاته ، وعهد جديد

---

(٢٥) مجلة الدوحة عدد ابريل ١٩٧٧ م .

(٢٦) الحصاد الثقافى - اشراف نادى طلبة قطر بالقاهرة .

ربما فى الغالب ما يوحى لهـــا بتنافيه مع تلك الاعراف والتقاليد التى تعيشها ولذلك فقد جاءت هذه القصص تعبيرا حيا للتجارب الذاتية التى لا نغالى اذا قلنا أنها تصور بحق موقف الفتاة القطرية فى هذه الفترة وما تنشده من تغيير فى بعض المفاهيم التى تكبلها • لذا فقد جاءت هذه الأفكار التى تناقشها متدفقة تقترب أحيانا من الالقاء المباشر والوعظ فى بعض الأحيان ، نتيجة لتحمس الكاتبة لهذه الموضوعات مما يبعدها نوعا ما عن انضواء مجموعتها تحت فن القصـــة القصيرة بمفهومها الفنى الدقيق فالموضوعية والابتعاد عن الذاتية والبوح المبـاشر من السمات التى يجب توافرها فى القصة القصيرة الى جانب الشروط أو السمات الأخرى •

ونظرا لغلبة التجارب الذاتية على الكاتبة فقد جاءت هذه القصص تقترب من بعضها فى الغالب سواء من حيث البناء، أو من حيث الأفكار التى تدور حولهـــا كذلك فان الجـــو الرومانسى هو الطابع المميز لهذه القصص شكلا ومضمونا وقبل الدخول فى بعض التفاصيل نذكر اسماء القصص التى احتوتها المجموعة وهى :

حائرة ، قصة حب ، شرخ فى المرآة ، بقية الحكاية ، نهاية رحلة،سوف أقول وداعا،امرأة حاقدة،الدوامة ،زهرة الزنبق عنـــدما تموت الكلمات ، الوهم ، الزيارة ، ليل وأسى ، أريدك معى ، الباحثة عن الســعادة ، أنت وغابة الصمت والتردد •

وكما ذكرنا سابقا أن هذه المجموعة كلها تدور حول علاقة الرجل بالمرأة وغالبا ما تنتهى هذه العـــلاقة بالفشل حينما تصطدم بأسوار الواقع الاجتماعى • وقد تكون أحيـــانا أسباب الفشل غير واضحة ، وانما روح التبرم والقلق هى التى تدفع الكاتبة الى أن تفرضه على بعض شخصياتها •

ففى قصة (حائرة) نرى (نورا) قد تركها حبيبهـــا

وهجـرها وعاشت فى قلق وتذبذب وهى التى كانت تفضله على أبن عمها سالم ولا نعرف شيئا عن أسباب هذا الفشل ٠

« وعادت لحبيبها من جديد ٠٠ ثم انتهيا وودعها ، ورحل عنها ومن حياتهـــا الى الأبد ٠٠ وترك لها الألم والفراغ بعده (٢٧) ٠ »

وفى (قصة حب) نرى أن الفشل وعدم الالتقاء يعود الى رفض أهل الفتاة وتمسكهم ببعض العادات والتقــاليد التى يجعلون منها أسوارا وحواجز فى سبيل التغير فالفتاة ليس لها أى رأى فى اختيار شريك حياتهـــا وانمـــا هى السلعة يبيعها صاحبها لمن أراد « واعتذر بلبـــاقة ٠٠ ولطف ٠٠ أحسست من خلاله كأنه يشفق على هذا المجنون الذى يطرق أبواب الجنة ٠٠ وهو من ساكنى الجحيم » ٠

« حين عدت كنت تعلمين رد والدك مســـبقا ٠٠ ولكنك لا تعلمين أنى سوف أقضى عليك بأعماقى ٠٠ »

« لقد آلمك موقفى هذا ٠٠ ولكن الم يؤلمك الخبر الذى سبقه وهو رد والدك أن الملك لا يوازى المى ٠٠ » (٢٨) ٠

وفى قصة امرأة حاقدة نرى المشكلة تتكرر برفض زواج الفتــــاة لمن تحبـــه بحجة وجود القريب « ورفض والدى تزويجى به ٠٠ لماذا ؟ لأن أقربائى من جهة أبى هم الأقرب ومنهم زوجى ، ولم أجد وسيلة أعترض بها على حكم والدى سوى البكاء ، فبكيت طويلاً ٠٠ وتزوجت ٠٠ وكرهت حياتى ٠٠ منذ اليوم الأول لزواجى واحلتها جحيما ٠٠ » (٢٩) ٠

وفى قصة الزيارة نرى نفس المشكلة تتكرر « لا أستطيع

---

(٢٧) المصدر المذكور ص ١١ ٠

(٢٨) المصدر السابق ص ٢٠

(٢٩) المصدر السابق ص ٥٤

. ٠٠ انى أعرف رأى والدى ولا استطيع تغييره ٠٠ أعلم نظرته فى مثل هذه الأمور ٠٠ سنحاول سنخترق المســـــتحيل ٠٠ سأجابه والدك سأقنعه ٠٠ سأجابه الجميع سأتحدى والدها واتزوجها ٠٠ الصالون الكبير ٠٠ يرهبنى بفخامته وهيبـة أبيها تزلزلنى ٠٠ وأبى يتقدم خاطبا وصمت أبيها يقتلنى ٠٠ يرفع رأسه : آسف أيها السيد كان بودى ولكن لديها أبنـاء عم لن يوافقوا على ذلك ٠٠ وفقكم الله ٠٠٠ » (٣٠) ٠

وفى قصة « سوف أقول وداعا » نرى أن هذه القصــــة تعالج نفس المشكلة السابقة وهى فشل الحب بسبب معارضة الأهل ولكن تتحول القصة الى مقالة ذاتية تتدفق فيهـــا العواطف والمشاعر باسلوب رومانسى كله قلق وتبرم وتهويل لهذا القلق وتندثر من خلال هذا البوح المباشر عن العواطف والمشاعر الاحداث التى يجب أن تتوفر فى القصــة » فأنت لا تفهم واقع أنا أعيشه ، حقيقة أنا أعانيها ٠ حيـاة أنا قد تغلغلت بثناياها وتشربت مرارتها بأعماقى ٠٠ فصار طعمها العلقم ٠٠ شىء لابد أن العقه بشفتى وأصمت ٠٠ وأنا عندما أتركك يا حبيبى خوفا عليك لا غدرا بك ٠ أنا لا أريد منك أن تعيش بدمينتى القاتمة ٠٠ ان مدينتى تسد أبوابها كل ليلة بوجوه الغرباء تنبذهم من حياتها ٠٠ ان اليـــأس يجثو بين ثغرات الجدران بها ٠٠ انها مكسوة بالغضب ٠٠ والتعاسة الحقيقيـة ٠٠ وأنا عايش على الصراع بهـــا ٠٠ الصراع الحقيقى الذى لم تحسه أنت فى يوم ما ٠٠ لم تعشه ٠٠ لم تحس بمرارته وقوته على النفس » (٣١) ٠

والقضية الثانية التى نراها تتكرر فى قصص المجموعة قضية فارق السن بين الزوج والزوجة ومدى تأثيرها على سعادة الأسرة فهذه المشكلة تتكرر عندها فى (بقية الحكاية) « أنا أعلم أنك تحبنى » قصة رائعة ٠٠ فتـــاة فى العشرين

---

(٣٠) المصدر السابق ص ٨٩

(٣١) المصدر السابق ص ٤٦

تحب أستاذها وهو يناهز الأربعين ·· وتكملين بقية القصة الرائعة (٣٢) ·

وفى « زهرة الزنبق » نجـــد أن فارق السن بين الزوجة والزوج يؤدى الى تفكك وانفصام فى الأسرة فالزوجة الشابة تهمل زوجها العجوز وتقضى معظم أوقاتها فى الخارج والابن شاب مستهتر بالحياة ولا يولى أباه أى اهتمام والفتـــاة تضيع وسط هذا الاهمال والتفكك الذى تعيشـــه فالزوج العجوز يعيش وكأنه قطعة من اثاثالبيت لا يوليه احد اهتمام ولا تلبى طلباته · « انه لا يكلف نفسه حتى مشقة السلام على ·· فأنا والمقعد الذى أجثو بوسطه ككل ·· ربما مر من هذا الصالون ·· يرد على الهاتف ·· فيرى الهيكل المتثـــاقل فوقه فيصبح كأنه يرى شلة من أصدقائه المتخنفسين ·

هاى أبى ···

هاى ·· كنا نرددها لطرد الكلاب بأيامنا ·· أما اليوم فيقولها لى ابنى ووالدته · أن كل الذنب يقع على حينمـــا فكرت بفتاة تصغرنى بعشرين عاما ، واليوم أجنى ثمرة فعلى فها هى الثانية لا أراها الا آمرة ·· (٣٣) « ويصبح فارق السن شبحا يلازم الكاتبة فى معظم قصصها ففى قصـــة (الوهم) تكرر هذه النغمة « وجوه من مختلف المجتمعات ، الشاب الجامعى ، المثقف الوسيم والشـــاب (الجنتيلمان) الأنيق ·· و ·· وهو كالمستحيل وسمرة خفيفة تزحف عليها شعيرات بيضاء من فوديه ·· رجل قارب الأربعين ··· أو تعداها بقليل (٣٤) » · وفى (امرأة حاقدة) تطالعنا نفس القضية (٣٥) نرى أن التكرار فى الأفكار والمضـــامين ،

---

(٣٢) المصدر السابق ص ٣٢

(٣٣) المصدر السابق ص ٦٦

(٣٤) المصدر السابق ص ٧٨

(٣٥) المصدر السابق ص ٥٣

والتشابه فى الجو العام وطريقة المعالجة فى هذه القصص يعود الى عدم التزام الكاتبة بالروح الموضوعية التى يتطلبها موضوع القصة فسيطرت المشاعر والعواطف الذاتية على الكاتبة هو الذى فرض عليها تكرار بعض القضايا والأفكار فى معظم هذه القصص كما أن الأسلوب الرومانسى العاطفى المتدفق هو الذى غطى على الأحداث فى معظم قصص المجموعة وحولها الى مجرد مقطوعات نثرية فى لغة شاعرية (انى أريدك ملء قلبى ويدى ·· ملء عينى وفؤادى ·· أريدك ماثلة أمامى ·· ويقفل الباب الكبير وراءها ·· ويطفى السعير فى أجوائى ·· انى أراك من وراء الزجاج · من وراء الستار المقصف ·· من وراء أوانى الخزف والذهب ·· انى أراك فى انعكاسات كأسى ·· (٣٦) ·

ويمتزج أسلوبها الرومانسى الذى تشيع فيه بعض الألفاظ والعبارات التى توائم الجو العام لقصصها كاليأس ، والحزن ، والقلق والألم « أتجرع اليأس والألم وأحرق أصابعى بين كأسى ومئات السجاير · والتى ما تلبث أن تتحول الى دخان كثيف يملأ نفسى ، يسد منافذ الحياة بوجهى ·· » (٣٧) ·

تمتزج مثل هذه العبارات والألفاظ ببعض المصطلحات الرمزية وغيرها مما هو شائع فى الشعر الحديث « وألتفت لأرى حصة تبتسم واقفة أدعوها للجلوس ·· وأتحدث ·· وتتحدث ·· أحسست بالسفر عبر كل مجهول · حطمت القواميس ·· آمنت بالوثنية ·· صليت بالمعابد ·· قرعت أبوب الفن والأدب ·· صفقت للشاعرية » (٣٨) ·

« فأصدمها بجدار الحقيقة ، وأتوقف تحت خيمة الارادة،

---

(٣٦) المصدر السابق ص ١٦

(٣٧) المصدر السابق ص ١٨

(٣٨) المصدر السابق ص ٨٦

وأشد العزيمة لأعود القهقرى الى الوراء ‥ لقد شـــهدت محاولة انتحار الســـعادة فى منزلنـــا ‥ وأنا طفلة ‥ وترعرعت وأنا أرى احتضار الاستقرار ‥ حتى شـــهدت انتحاره فى منزلنا ‥ » (٣٩) وهذه القصص على الرغم من أنها صيغت فى ثوب رومانسى وتتغلب عليها المشاعر الذاتية الا أنها مع ذلك ذات صلة كبيرة بالواقع الاجتماعى للبيئــة التى نشأت فيها ٠ فالروح الازدواجية التى يعيشها الشباب الخليجى هى التىتحتم عليه هذه المعاناة فيعبر عنها باسلوب رومانسى تمتزج فيه الآمال والأحلام باليأس والآلام « فأنت لا تفهم واقع أنا أعيشه ‥ حقيقة أنا أعانيها ‥ » (٤٠) ٠ فهؤلاء الشباب المتعلم يعيش وهو متفتحا على العـــالم ومتغيراته فيريد أن يجـــاريه فى مختلف نواحى الحيـــاة فتصطدم هذه الارادة بالواقع الاجتماعى ومفاهيمه وتقاليده فيصاب بخيبة الأمل ويعيش هذه الازدواجية التى تتصارع بداخله بين عالم يحلم به وبين واقع يعيشه ويسعى لتغييره٠

أو كما يقول : الأســـتاذ محمد جابر الأنصـــارى أن (الاشكالية) التى يطرحها كتاب كلثم جبر هى التـــالية : « نحن نسمح لفتياتنـــا اليوم أن يعشن فى العصر الحديث اجتماعيا وثقافيا على أرفع المستويات وأكثرها تقدما فيمـــا عدا مسألة واحدة جوهرية ، هى مسألة الحياة العاطفيـــة ومسألة علاقتهن بشريك الحيـــاة والمســـتقبل ٠ هنا نحن متمسكون بالتقاليد بشكل غير مساوم هذا الموقف يقوم على تناقض ، ان الفتاة عندنا تشـــاهد الأفلام الغراميـــة فى التليفزيون ، وتقرأ مختلف أنواع القصص ، وتذهب معنـــا فى سياحاتنا الى عواصم العالم فتشاهد على الطبيعة كيف تعيش المرأة فى العالم وكيف تتصرف ‥ (٤١) » ونستطيع

---

(٣٩) المصدر السابق ص ١٠٨

(٤٠) المصدر السابق ص ٤٦

(٤١) مجلة الدوحة عدد ابريل ص ١٩٧٨ م ٠

القـــول أن هذا ينطبق على كلا الجنسين وان اختلفت هذه المعـاناة من حيث نوعيتهـــا أو نصيب كلا منهم فى هذه المعاناة ••• !

أما الكاتب الثانى الذى جاد قلمه بمجموعة لا بأس بهـا من القصص القصيرة فهو الأســتاذ خليل ابراهيم الفزيع ، وهو كما ذكرنا فى الفصل الخاص بالمقالة مهتم بالأدب وله عدة مقالات تدور حول بعض الموضـــوعات الأدبية • وقد ظهرت له مجموعة قصصـــية تحت عنوان : « الســـاعة والنخلة » وتحتوى هذه المجموعة على خمس عشرة قصة ، ولكننا فى الحقيقة لا نستطيع أن ننسب هذه المجموعة للأدب القطرى لأن صاحبها كان قد كتبها قبل مجيئـه الى قطر ، ولذلك فهى أكثر ارتباطا بالمنطقة الشرقية من السعودية منها بالبيئة القطرية ، فمع تسليمنا بأن أوجه الحياة فى المجتمعات الخليجية متشابهة ومتقاربة ، الا أننا لا نجانب الحقيقة أيضا اذا قلنا أن هناك بعض السمات التى تميز بين منطقة ومنطقة بل انه فى الاقليم الواحد نستطيع أن نميز بين مجتمع القرية ومجتمع المدينة وبما أن القصة أكثر الفنون الأدبية التصاقا بالواقع الاجتماعى فانه مما لاشك فيه أننا سوف نجد بعض الفوارق فى هذه القصص حسب المجتمعـــات التى استقت منها عناصرها فيظهر أثر البيئة على شخصياتها واحداثها وأماكنها • ومن هنا فان مجموعة « الساعة والنخلة » كانت أكثر ارتباطا بتلك البيئة التى نشـــأت فيها • وانما كانت اشارتنا اليها باعتبار صدورها فى قطر وكون كاتبها مقيما هنا ويشارك فى الحياة الأدبية فى البلاد فأشرنا اليهـــا من باب الاحاطة •

ثالثا ـ الأدب المسرحى :

ونحن هنا سوف نتكلم عن المسرحيـة كنص أدبى ، ولن نعرض للمسرح بمعناه العام • والنص المسرحى الذى نحن

بصدد دراسته نستطيع القول بأنه لم يتبلور بصفة واضحة بل انه لا زال فى بداية الطريق ، وطور النمو والنشوء ٠

وكل ما وجد حتى الآن من مسرحيات لا يتعـــدى كونه محاولات وخطوات أولى لبداية الطريق الذى نأمل أن تتحدد معالمه بمسرح قطرى يأخذ مكانته بين المســـارح العربية ٠ وهذه المسرحيات بالاضافة الى قلة نضـــجها الفنى كتبت باللهجة العامية ، وهذه الظاهرة وهى العامية سمة شائعة غالبة فى الأدب المسرحى فى الوطن العربى بصـــفة عامة ، فأغلب المسرحيـــــات التى تظهر فى الوطن العربى مرتبطة باللهجة المحلية بالنسبة للبلد الذى ظهـــرت فيه ، وكل ذلك بحجة الواقعية وكون اللهجة الشعبية أقرب تعبيرا عن واقع الحياة لمختلف فئات الشعب ، وحول موضـــوع العـــامية والفصحى قد طرحت الكثير من الآراء ووجهات النظر بين مؤيد للعامية ودورها فى التعبيرية عن الواقع الحيـــاتى ، وبين معارض لها وداع الى الفصحى بحجة عالميـــة الأدب وخلوده (٤٢) ٠

ونحن فى دراستنا أكثر اهتمـــاما بالأدب الفصيح على مختلف فنونه الا أنه نظرا لعدم توافر النصوص المسرحيـــة باللغـــة الفصحى فقد اضطررنا الى أن نعـــرض لبعض النصوص التى باللهجة العامية لكى نعطى صـــورة عامة وشبه متكاملة عن الأدب القطرى ومن ضمنه المسرحيـــة ٠ لذلك فان عرضنا لهذه المسرحيات ســـوف يكون بصـــورة اجمالية ومركزة ٠ بهدف اعطاء فكرة عن هذا الفن ٠ ومن الجدير بالاشارة أن الدولة فى الســنوات الأخيرة قد أولت المسرح اهتماما كبيرا من الناحية المادية فرصدت لكل مسرح مساعدة مالية معينة ، ولا شك أن اتاحة الفرصـــة وتشجيع

(٤٢) انظر فى النقد المسرحى ٠ د ٠ محمد غنيمى هلال ٠ ص ٧٨ ، ودراسات فى القصة والمسرح محمود تيمور ص ٢٦٩ ٠

المواهب وتهيئة الجو العام للكاتب سوف يساعد على نمو الفن المسرحى وتطوره ٠ بالسرعة المرجاة منه ٠ ولعل أفضل من كتب هنا فى المسرح سواء من حيث كمية هذه المسرحيات أو من حيث كيفيتها ومستواها ، هو الأستاذ عبد الرحمن المناعى فقد ظهرت له مجموعة من المسرحيات هى :

١ ـ أم الزين ثلاثة فصول فى ١٩٧٥/٩/٣ م ٠
٢ ـ باقى الوصية ١٩٧٦/١/١٨ م ٠
٣ ـ هوبيل يا المال ١٩٧٦/١١//١١ م ٠
٤ ـ الجريمة ١٩٧٨ م (مقتبسة عن مسرحية انجليزية اسمها (زيارة مفتش) لبريسلى ٠
٥ ـ المغنى والأميرة ١٩٧٨ م مقتبسة من قصة قصيرة تحمل نفس الاسم لعلى عبد الله خليفه وهى الوحيدة التى كتبها باللغة الفصحى ٠٠٠

مسرحية أم الزين :

وهى مسرحية استعراضية تصور أحداثها الفترة الانتقالية بين عهدين عهد البحر وعهد النفط والمؤلف يتخذ من الماضى وقيمه وأخلاقياته نقطة ينطلق منها لنقد الواقع من خلال المفارقات التى تظهر من تصرفات شخصياته وقبل أن ندخل فى التفاصيل نذكر ملخصا لهذه المسرحية ٠

فأحداث المسرحية تدور على شاطىء البحر (السيف) بين تلك البيوت القديمة ٠ أما زمانها فهى نهاية عهد الغوص والبحر وبداية تفجر آبار النفط ٠ وأهم شخصياتها حمد ، وأم الزين ، وراشد وشريفة ، وأبو راشد ٠ وهناك بعض الشخصيات الثانوية ٠ فحمد وأخته شريفة هما أبناء أحد رجال أبو راشد النوخذا ومن الذين كانوا يعملون معه فى الغوص وقد توفى والدهما فى البحر فقام أبو راشد بتربية أولاده حمد وشريفة اللذين عاشا مع راشد وأم الزين أبناء (النوخذا) أبو راشد ، وتوطدت العلاقة بين هؤلاء الأربعة وأصبحوا كالأخوة ، وتنشأ علاقة حب بين حمد وأم الزين ،

كما تنشأ علاقة مماثلة بين راشد وشريفة ويعيش الأربعة حياة سعيدة هادئة ولكن (أبو راشد) يقرر فى احدى رحـــلات الغوص - والتى كانت الأخيرة - أن يأخذ معه راشد وحمد للغوص ويفرح الشابان بهذا القرار فى حين تنزعج أم الزين وشريفة لهذا القرار ويبديان تخوفهما من هذا المجهول الذى سوف يقدم عليه كل من راشد وحمد ويدور حوار بين الفتاتين والشابين أغلبه (مواويل شعرية) تبدى كل من الفتـــاتين تخوفها من البحر ويشــــكى كل منهم لوعة الألم والفـــراق لصاحبه وينتهى الفصل الأول برحلة الغوص ٠

وفى الفصل الثـــانى نرى (سلطان) وهو الخادم الذى يقوم بالأعمال المنزلية ٠ فى حوار بينه وبين نفسه نعلم من خلال هذا الحوار أن عواصف عاتية قد هبت وأن الحالة فى البحر أصبحت خطرة ثم نعـــرف من خلال هذا الحوار بين (سالم) ومبارك) أن معظم السفن قد عادت بمجرد سماعها من نبـــأ اكتشاف النفط وتوفر العمل فى البر ٠ ولــكن (مبارك) يبدى قلقه على (أبى راشد) الذى لم يعـد حتى الآن ، كما يرفض (مبارك أن يذهب للبحث عن عمل قبل أن يطمئن على عودة (أبى راشد) ومن معه ٠ وفى الوقت نفسه نرى (سالم الدكل) يخرج من العشة التى أمضى فيها سنوات طويلة وهو ملازم لها منقطع عن النـــاس بعد أن أصيب فى

البحر وقطعت ذراعه ، وتكفل أبو راشد باعالته ، واذا به بعد فترة اضراب طويلة يخرج باحثا له عن عمل وعلى أثر خروجه نرى العشة تتهاوى الى الأرض ، فى حين نرى أن (شريفة) وأم الزين تعيشـــان فى قلق وتوتر على مصير (أبو راشد) وحمد ، وراشد) ٠ وفى نهاية الفصل الثــانى يعود (أبو راشد) ومن معه من البحر ، ويدخل (ســـالم ، ومبارك) وهم يحملون جثة هامدة نعرف من خـــلال الحوار أنها جثة (راشد) فقد مات بعد أن تحطمت سفينتهم وظلوا لعدة أيام يعيشون فى البحر فوق قطع من الأخشـــاب حيث

تتلاعب بمصيرهم الأمواج ، وعندما قاربوا على النجـــاة والوصول الى الشاطىء يفارق راشد الحياة ٠

(أبو راشد ـ ولدى يا سالم ٠٠ ولدى راشد يومين واحنا من لوح لى لوح ويوم الله كتب لنا النجاة يروح منى ٠٠٠) ٠

وينتهى الفصل الثانى بحوار طويل بين (حمد) وشــيخ البحر تتضح فيه ثورة (حمد) وغضبه على البحر لأنه قدر لا يرحم كله آلام ومآس وفواجع ويعلن أن عهده (أى البحر) قد انتهى وأن الله قد أراحهم منه ومن شقاوته وأن عهــــــد جديد باسم قد أهل على الناس ٠ ويرد عليه شيخ البحر أنه قد كان مصدر رزقهم وأنه سيظل كذلك وأنه مهما طال الزمن فسوف يعودون اليه مرة أخرى ٠ كما أن لكل شىء محاسنه ومساوئه ويطول الحوار بين حمد وشيخ البحر فى جمل شبه مكررة حتى نهاية الفصل الثانى ٠

وفى الفصل الثالث نرى أن الحياة قد تغيرت بصـــورة كبيرة وأصبحت الحياة (النفطية) هى الشغل الشــــاغل للناس ، وأصبح الناس يتدفقون على الدوحة حيث الكهرباء والأسواق التى تعج بمختلف البضائع ٠

وبتغيير الحياة الاقتصادية تتغير نفسيات النــاس حيث نجد أن (أبا راشد) يطلب من (حمد) أن يفتش له عن عمل ويجمع المال اذا رغب فى الزواج من (أم الزين) ٠ ولكن بعد مغادرة (حمد) للبحث عن عمل يقرر (أبو راشــد) أن يزوج ابنته (أم الزين) الى رجل عجوز ولكنه ثرى ، ويزعج هذا الخبر (شريفة) شقيقة (حمد) وتستفسر من (أم الزين) عن ذلك وعن موقفها من هذا القرار ولكن (أم الزين) تظهر أسفها وعدم رضائها عن ذلك فى حين أنها لا تملك من الأمر شيئا فهى لا تستطيع معارضة والدها فى رأيه ، ولكنها مع ذلك سوف يظل قلبها مع (حمد) الذى أحبته ولن تتغير مهما تغيرت الأيام ٠

وفى المشهد الثانىمن الفصل الثالثيعود (حمد) ويشاهد مبـــاهج فرح ومراسم زواج فى الحى ، ويستفسر من أحد الأطفال عن صاحب هذا الزواج ولكن الطفل لم يكن يعرف صاحبه وانما كل ما يعرفه هو أن هذا الزوج رجل عجـــوز وغريب عن البلد وقد عمل وليمة كبيرة ، وفى أثناء الحوار بين (حمد ، والطفل) يدخل (سلطان) الخادم وبعد تردد منه يخبر (حمد) بالحقيقة وهى أن (أم الزين) قد تزوجت وأن هذا الفرح قد أقيم بمناسبة زواجها ، وهنا نرى (حمد) يطلق الآهات من خلال (موال حزين) كله شـــكوى وألم وحسرة على الأيام الجميلة التى انقضت ولن تعود · ويدور بعدها حوار طويل بين (حمد) وشيخ البحر الذى يذكر حمد بأيامه الجميلة وكيف أن حمد كان فرحا بتغير الحياة وتركه للبحر ، ولكن ها هى الأيام تثبت له أنه قد دفع الثمن أيضـا غاليا كما ذكره شيخ البحر من قبل · ويعيش حمد فى صراع بين نفسه وبين شيخ البحر الذى يوحى له باليأس من هذه الحياة وأخلاقياتها ، وتدخل أخته شريفة التى تشد من عزمه وتقول له بأن الحياة أمل وعمل ولا يجب أن تقعـــدنا هذه المشاكل أو الصدمات عن مواصلة العمل ومحـاولة التغيير وتكييف الحياة بما يتمشى مع ما نريده وننشده ·

هذا هو تقريبا ملخص المسرحية :

أما أهم الأفكار التى تناولتهـــا المسرحية فهى كما ذكرنا أفكار تدور حول التغيير الذى تشهده البلاد فى فترة الانتقال بين عهدين عهد الصيد والغوص ، وعهد النفط والصـناعة وتبعا لهذا التغير فقد تغيرت الأخلاقيات وهذه هى أهم قضية تعالجها المسرحية ، فالتغيير المادى والتطور الاقتصادى قد صحبه تغيرا فى أخلاقيات النـــاس وعلاقاتهم ببعض فأبو راشد هى الشخصية التى من خلال تصرفها وما تشتمل عليه من مفارقات تمثل مرحلة التغير والتحول لهذه الفترة ، ففى عهد البحر والغوص رأينا أن أبا راشد (النوخذا) كان يحمل قلبا طيبا ورحيما حين يعطف على (حمد) وأخته (شريفة)

بعد أن توفى والدهما فى البحـر ، كما أنه كان يعطف على (سالم الدكل) ذلك الرجل البائس الذى فقد (ذراعه) فى البحر وأصبح لا يقوى على العمل وقام أبو راشد بالانفاق عليه • ولكن عندما تتغير الحياة ويذهب عهد البحر ويدخل عهد النفط نرى أن هذه الأخلاقيات تتغير فى أبى راشد الذى هو رمز للمجتمع ككل ـ وذلك حين يبعد (حمد) الذى تربى فى كنفه فى أيام البؤس ويطلب منه البحث عن العمل بحجة جلب المهر لتزويجه بابنته (أم الزين) ثم بعدها يقوم بتزويج ابنته لرجل عجوز كان قد دفع المهر الذى يطلبه •

ومن هنا تتضح الروح المـــادية التى سيطرت على هذا الرجل فضحى بابنته فى سبيل المادة ، كما ضحى بحمد الذى تربى فى بيته • وبيع أم الزين هنا رمز لبيع القيم فى سبيل المادة ولقد كانت حياة البحر تتطلب التكاتف والتعاون وهى الروح السائدة فى المجتمع آنذاك وما رأيناه من موقف أبى راشد من (حمد وشريفة) عندما قام برعايتهم وموقفه من (سالم) ، ثم موقف (مبـــارك) الذى يرفض أن يذهب الى البحث عن عمل قبل أن يتأكد من عودة أبى راشد وجماعتــه من البحر • مبارك « لا يا سالم يبون ناس وايد ولا تصــــدق واخوانا كلهم غايبين واحنا نروح •••• لا يا سالم صبرنا خمس أيام نصبر بعد نصبر » •

ولكن هذا التـكافل والترابط الذى وجده مجتمع البحر أخذ يتزحزح ويزول بزوال عهد البحر وقد أحس (ســالم الدكل) ذو اليد المقطوعة بهذا الشىء ولذلك قرر ترك عشته التى لازمها منذ أن فقد ذراعه فى البحر وأخذ يعتمد فى قوته على بيت أبى راشد • أما اليوم فقد بدأ عهد جديد فى حيــاة الناس فبتغير الحياة الاقتصـــادية قد تغيرت الحيـــاة الاجتماعية تبعا لذلك لهذا فانه يتحتم على (سالم) أن يعتمد على نفسه وكان خروجه اعلانا لهذا التغير بل نتيجة له •

(مبارك ـ حتى أنت يا سالم تميت نص عمرك ابها لعشه

لا تكلم حد ولا تسمع حد حتى انته رحت ، عيل من بقى صج أن الدنيا ادور بسرعة ...) وبخروج (ســـالم الدكل) تتهاوى العشة القديمة وتهاوى العشة يرمز الى تهاوى القيم التى كانت سائدة فى المجتمع القديم التى تمثلت فى أم الزين ثم فى هذه العشة وعندما بدأت رياح التطـــور والتغير تعصف ، بهما انهارت هذه العشة (مبارك - حتى هالعشة اللى شهدت حياة طويلة تمت ميوده روحها لين راح راعيها ويوم ماقفا تلايمت) . (أحمد علشان اتصدق كلامى علشان اتعرف ان كل شيء فى ذلك الزمان بينتهى) ثم لحقت بهـــا (أم الزين) بعد بيعها وأم الزين التى هى رمز القيم لم يفرط بها المؤلف فقد أبقى الجوهر وهو القلب محتفظا بهذه القيم وان كانت هى بيعت فى الظاهر وهى اشارة الى أن الزخرف المادى لن يستطيع أن يقضى على هذه القيم مهمـــا تغيرت الحياة . وهذه الأفكار التى عرضتها علينا المسرحيـة من خلال الأحداث والحوار والتى تتلخص فى الدعوة الى العودة للقيم والروابط التى كانت تسود المجتمع فى عهـد ما قبل النفط قد استطاع المؤلف أن يبلورها ويعرضها فى صـورة حية عن طريق المقارنة بين عهدين وما يتخلله من مفـارقات وتناقضات فى تصرف شخصيات المسرحية الا أن المؤلف فى نهاية الفصل الثالث وعلى الأخص المشهد الأخير قد تحولت المسرحية عنده الى خطبة وعظيـــة حيث أعاد تلخيص كل ما تقدم فى حواره الذى ســاقه بين شيخ البحر وبين بطل المسرحية حمد حيث جعل شيخ البحر يلقى خطبة وعظيـــة على حمد .

« شيخ البحر - لا اسمع وبطل اذونك عدل اللى بيتغير بس المراكب .. بس الغوص بس صرخة النهـــام أهى اللى يسكتها الزمن » . « شيخ البحر - هاها خلاص يا حمد كنت تقول لى خلاص زمانك ولا الله رضى علينـــا ونسيت ان الله خلق الدنيا وخلق فيها الخير والشر الى يوم القيامة خلق فيها الزين والشين والا دموع والابتسامة » .

« شيخ البحر عيل شكنت اتفكر انا بس اللى بنتهى شوف شلون الدنيا ٠٠ الفلوس اللحين صـــــارت أهم شىء فى الدنيا ٠٠٠ » ٠

وهكذا نرى أن المـؤلف أبى الا أن يلخص لنـــــا أفكار مسرحيته فى صورة خطبة وعظية يلقيهـا شيخ البحر على (حمد) ، على الرغم من أن معظم هذه المعانى قد سبق أن ألقاها شيخ البحر على البطل فى نهاية الفصل الثانى ٠

ولكن مع هذه الملاحظات البسيطة التى أبدينـــاها تظل مسرحية (أم الزين) تمثل عملا متطورا وناجحا اذا قسناه بالنسبة للمسرح القطرى فى هذه الفترة وهى خير تعبير عن واقع المجتمع فى الفترة التى تناولتها المسرحيـة وهى فترة الانتقال ٠ كذلك فان الوحدة والترابط بين الفكرة الرئيسية والأفكار الجانبية قد توفرت فى هذه المسرحية بدرجة أفضل مما هى عليه فى مسرحيات عبد الرحمن المناعى الأخرى بل ان هذا الترابط تفتقـده معظم المسرحيـات التى كتبت حتى الآن ٠٠٠

وان كانت صورة الخطابية والوعظ فى هذه المسرحيــة أظهر منــه فى المسرحيات الأخرى والأسلوب الخطـــابى والوعظ والالقاء المباشر للمعـــانى من الأمور التى تضعف العمل الفنى ٠ ومسرحية « هوبيل يا المال » التى كتبها (بعد أم الزين) أفضل بكثير من الناحية الفنية حيث أن الأسلوب الخطابى والوعظى أقل فيهـــا من الأولى ، كما أن الأفكار والمعانى فيها ليست مباشرة كما هو الحال فى (أم الزين) ٠

وربما كان السر فى نجاح (أم الزين) بالنسبة للجمهور يعود الى أن أم الزين أقرب فى مضمونها الى نفسية الجمهور وملاصقة هذه الأفكار الى حياتهم ثم مدى تعلقهم بالبحر فى روح رومانسية اصطدمت بالواقع فذهبت تبحث عن السعادة فى التغنى والتلهى بالماضى وقيمه وعاداته ٠ والمنـــاداة بالعودة اليه وهذا هو الموقف العام للمسرحية ٠ أما مسرحية

هوبيـــل يا المـــال فهى صراع فكرى أكثر من كونه صراعا اجتماعيا محدودا ببيئة ومكان معين ٠

٢ ـ مسرحية المغنى والأميرة ـ لعبد الرحمن المناعى :

وهى المسرحية الوحيدة التىكتبها المناعى باللغة الفصحى من بين مسرحياته الست والتى سبق ذكرها ٠ وهذه المسرحية مقتبسة عن قصة قصيرة للكاتب البحـرينى « على عبد الله خليفة » التى نشرها فى الجزء الثانى من « كتابات » (٤٣) ، وتحمل نفس الاسم « المغنى والأميرة » ٠ والقصة تقترب فى أجوائها من قصص (الف ليلة وليلة) وشبيهة بقصة الملك يونان وحكيمه حيث حاول الملك قتل الحكيم بعد شفائه ولكن الحكيم عاجله بالقتـــل بواســـطة السم (٤٤) ٠ ولكن كلا الكاتبين «على عبد الله خليفة» فى قصته القصيرة ، والمناعى فى مسرحيته استطاعا أن يجعلا من هذه القصـــــة الشبه خيالية والتاريخية قصة واقعية فأصبحت أحداثها وما تحمله من معان رمزية وكأنهـــا مقتطعة من الواقع ٠٠ وتسبق المسرحية بمقطوعة شعرية غنائية من الشعر العربى القديم مطلعها : (٤٥)

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد
فقد زادنى مسراك وجدا على وجد
سقا الله نجدا والمقيم بأرضـــــها
سحابا سوادا خاليات من الرعد ٠

وتدور أحداث المسرحية بساحة حى شعبى يعرف (بباب الحمارين) لأن أغلب السكان فيه يعملون ناقلى أمتعـــــة بواسطة الحمير ، كما أن بعض أحداثهـــا يجرى فى قصر السلطان ٠

---

(٤٣) كتابات « كتاب دورى يصدر كل ثلاثة شهور يهتم بنشر انتـــاج الأدباء والكتاب فى البحرين ٠

(٤٤) الف ليلة وليلة جـ ١ ص ١٩ ٠

(٤٥) تنسب القصيدة لابن الدمينة ٠ وقيل ليزيد بن الطثرية ٠

وترفع الستارة فى الفصل الأول عن « نصار » وهو رجل مصاب بالفالج « الشلل » حيث يجلس فى مكانه لا يستطيع الحراك ، ويردد كلمات متقطعة تدور كلها حول المرض الذى يعانى منه « لقد حاول أن يمسكنى لكنه تراجع لا يستطيع انه يخاف الفالج داء الخشب والبرد · كلها تعنى التجمد ··· »

وبعدها يدخل رجلان وهما فى شجار حيث يتهم أحدهما الآخر بسرقة علف حماره ويحاولا أن يحتكما الى رجل عجوز دخل أثناء شجارهما ولكن العجوز يلتزم الصمت ولا يوليهما أى اهتمام لأن هناك ما يشغله ، ونعرف من خلال حوارهما أنه كان له ابن شاب قاده طموحه الى الصعود الى الجبل ، ثم مات هناك · ولذلك فقد التزم العجوز الصمت · وبالقرب من هذه الساحة التى يدور فيها الحوار كان هنـــــاك حانة صغيرة « خمارة » يجتمع فيها هؤلاء المهمومون ينفســـوا عن أنفسهم باحتساء الخمر والاستماع الى الأغانى · وفى أثناء ذلك يدخل رجل غريب يدور حوار طويل بينــه وبين (عطية) حيث يستفسر هذا الغريب عن الحى واسمه وعن ساكنيه ··· الخ ·· وينتبه هذا الغريب الى « نصــــار » المنزوى فى مكانه فيخبره (عطيـــة) عن أسباب مرضـــه وحالته ، وذلك ان « نصار » كان تاجر أصواف ، وكان يحب فتاة أصيبت بالفالج « الشلل » فعمل لها كرسى متحرك ، وذات يوم صودرت جميع ممتلكاته ومن ضمنها الكرسى الذى عمله للفتاة فتقرح جسمها وماتت · وفى أثناء حديث عطية مع الغريب ترتفع بعض الأصوات من (الخمـــارة) · يخرج بعدها رجل مطرود من الحانة نعرف أنه المغنى (عطر) حيث أراد الغناء فتضايق منه الحاضرون فطردوه من الخمارة ، ويدور بعدها حوار طويل بين المغنى (عطر) وبين الغريب يكتشف (عطر) بعـدها أن هـــذا الغـريب كان (وزير السلطان) ، ويحاول الوزير بأن يصطحب (عطر) معه الى القصر بعد أن سمع صوته وأعجب به فلعل صـــوته يشفى الأميرة من مرضها الذى أعيـا الأطباء واستعصى علاجه على السحرة ، فالأميرة تعانى من الاكتئاب الدائم والانطواء ·

وبعد حوار طويل بين المغنى والوزير يوافق (عطر) على الذهاب مع الوزير بعد أن أقنعـــه بأن عمله هذا يعد خدمة وطنية يقدمها للوطن حين تشفى الأميرة · ثم أطلعه الوزير على شخصيته ·

وفى المشهد الثانى من الفصل الأول يدور الحـــوار فيه حول اختفاء المغنى « عطر » وسبب اختفائه ويعيش الجميع فى قلق ويستغرق هذا الحوار المشهد الثانى كله وهو حوار أغلبه لا طائل تحته سوى استغراق الوقت ، وكذلك بالنسبة للحوار الذى دار بين (عطر) المغنى والوزير أو بين الأخير وبين (عطية) قبل ذلك · ولكن النقاش والحوار حول اختفاء عطية يستغرق كذلك معظم المشهد الأول من الفصل الثـانى حيث يخرج عطية للبحث عن عطر ، يعود بعدها ليخبرهم بأن عطية قد ذهب مع ذلك الرجل الغـــريب ولم يكن الغريب الا وزير السلطان وقد أخذه لكى يغنى للأميرة لعلها تشفى من مرضها · وتجرى أحداث المسرحيـــة بعدها بين القصر (وحى الحمارين) فهناك عطية يغنى للأميرة التى تبـــدأ حالتها فى التحسن ويشتد اعجابها بالمغنى ، ولم يكن صوته هو الذى تأثرت به وانما كان تأثرها بما يحمل غنـــاؤه من معان غريبة عليها ، وما يحمله من احساس صادق يعبر به عن قلب متخن بالجراح والآلام ·

« الأميرة : صوتك لا يزيل كدرى بل » ·
عطر : اذن ماذا ؟

الأميرة : لا أدرى ولكننى أشعر بأشياء غريبة تظهر من خلف ما تقول أشياء لم أعرفها ، لم تدور بأروقة القصر ··»

عطر : يريدنى السلطان أن أغنى أشياء مختلفة فيهـــا حب ولكننى لم أعرف الحب الذى يقصده ·

الأميرة : غنى أى شىء فلا فرق عندى ·

عطر : اذن أنت لا تسمعين الى ·

الأميرة : عندما تغنى تتغير ملامح وجهك وتنتصب كشىء أزلى يدوى صوتك فيتلون وجهك بصورة رائعة ٠

عطر : مولاتى ٠

الأميرة : عطر أتدرك أحببت الغناء لأنك تعرف كيف تحضر فى قلب من يسمعك جروح تسكنها أوجاعك فيصبح جزء منك غنى يا عطر ٠

وبعد أن تشفى الأميرة من كآبتها وعبوسها وتعود لها البسمة يقرر السلطان مع وزيره طرد المغنى من القصر بعد أن أدى مهمته بشفاء الأميرة ٠ ويقرر زواجها بابن الوزير ،وتظهر شائعة بأن المغنى قد أحب الأميرة وأنه يردد اسمها دائما فيتفق (السلطان) مع (وزيره) على قتل المغنى ٠

السلطان : اسمع أيها الوزير لقد شفيت ابنتى لكننى لن أقبل بهذا المعتوه يردد اسمها فى كل درب وشارع ٠

الوزير : يقول بأنه أحبها يا له ناكر الجميل هل يجرؤ ذلك الصعلوك ؟

السلطان : نقتله فقد تتزوج ابنتى وذلك المجنون يدنس اسمها فى كل حين ٠

وفى الوقت الذى كان السلطان وحاشيته يحتفلون بزفاف (الأميرة) على ابن الوزير ، كان الوزير قد أمر الحرس باجتزاز رأس (المغنى) ٠

أحد المجاميع : طرقوا الطبول عاليا ٠

أحد المجاميع : غنوا بصوت مرتفع ٠

الشيخ : والأميرة ٠

أحد المجاميع : لبست الثوب الأبيض ٠

الشيخ : والوزير ماذا دبر ؟

أحد المجاميع : لقد أنجز الحراس مهمتهم ٠

عطية : بعيد يا أبتاه بعيدا اجتزوا رأسه كشىء انتهت مهمته ولم يعد له عمل ٠

يدخل بعدها الحراس وكل منهم يحمل سيفا يقطر من دم (عطر) وتأخذ أصوات الطبول والمغنين تتــــلاشى فى حين يرتفع صوت خيالى كأنه صوت (عطر) فيمتلك الســـلطان وحاشيته الخوف والرعب ، ويجرى أحد الجنـــــود هاربا فيصيب بطرف سيفه ثوب « الأميرة » فيلطخه بالدم .

والمسرحية تمتزج فيها الواقعية بالرمزية على الرغم مما ذكرناه سابقا من أن الجو العام للمسرحية وأسماء الأماكن والشخصيات فيها يوحى بأنها مسرحية تاريخيــــة . وفى الحقيقة أن المسرحية ذات موقف اجتماعى تصور بشىء من الرمزية صراعا اجتماعيا أو طبقيا عن طريق المقارنة تارة وبالمفارقات والتناقضات من خلال تصرفات بعض الشخصيات تارة أخرى . فالمؤلف يقارن تارة بين (حى الحمارين) وبين قصر السلطان وما فى الأول من بؤس وفقر وضياع وما فى الثانى من بذخ وترف .. « الأميرة : ان باب الحمـــــارين يختلف كثيرا عن هذا القصر ..

عطر : هنا رائحة الياسمين ، وهناك رائحة الروث » .

ثم ... تسخير تلك الفئة المغلوبة على أمرها فى خدمة الســـلطان وأعوانه ، تارة باسم خدمة الوطن وتارة تحت القهر وسلطان القوة .

الوزير : انك لا تدرك نبل ما أطلبه فهذا الشىء الذى تتصوره بسيطا هو ما يتمناه أى مواطن ليخدم به وطنه .

عطر : الوطن وكيف ذلك ؟

الوزير : ألست من هذا الوطن ؟

عطر : ومن قلبه ولكن ...

الوزير : صـــاحب حمار ولكننى أكلفك بواجب نحو الوطن فظنى بأن صوتك ربما يشفى الأميرة ...

السلطان : ان غناءك حتى الآن لم يفد ابنتى .

عطر : ولكننى لم أعد أقوى على الغناء .

السلطان : اذن يجب أن تغني .. « **نفذ الأوامر فقط** »

وتنفذ أوامر السلطان دون أن يجرأ أحد أن يعارضه

« الشيخ : نهاجر الى عالم من الكذب والنفاق ·· ربما نحن نعلم بالحقيقة ولكن لا نجرؤ على اقتحام أبوابها ربما لم نصل حد القدرة على كشفها ··· »

وشخصية « نصار » رمز لهذه الفئة المغلوبة التى شلت حركتها فهى لا تستطيع أو لا تقوى على الحركة أو النطق وانما تمضغ آلامها وأحزانها كما يلوك « نصار » اسم « الشلل » الذى اعتلاه ··

وعلى هذا الأساس من تفسيرنا للموقف فى المسرحية يمكننا أن نعرف أو نفسر الرمز فى موقف الشاب وصعوده الى القمة ومن ثم موته ·

« الشاب » : أبى وسيدى اننى أريد تسلق الجبل ·

العجوز : لماذا ؟

الشاب : من هناك يحلو لى مشاهدة المدينة ·

العجوز : وهل أنت متأكد من قدرتك على التسلق ؟

الشاب : نعم يا أبى كل الثقة ·

ولكن هذا الشاب لم يستطع البقاء هناك ·

« الرجل : الحقيقة غير هذا فابن الشيخ وصل قمة الجبل ومات فيها » · لقد عرفت الخبر الآن لقد جاهد للوصول الى هناك وعندما وصل فضل البقاء ولكنه لم يترك خلفه شيئا ·

رجل : لماذا لم يأخذ فتاته معه ؟

تفسيرنا هنا لهذا الرمز هو أن الشاب ذا طموح ومغامرة وهدفه التغيير والاصلاح ولكنه فشل لأنه لم يجد من يتعاون معه ويقف الى جانبه · وهذا التفسير يتمشى مع الموقف العام للمسرحية والذى أشرنا اليه ·

وقد يرمز المؤلف هنا الى عدم قدرته على البقاء الى أن هذا التغيير والتطور لابد له من قيم وأخلاقيات يعتمد عليها

والا فهو معرض للاخفاق · وربما عبـــارة « لماذا لم يأخذ فتاته معه توحى بشىء من هذا المعنى ، واذا كان هذا هو المعنى المراد فان هذه الفكرة ربما تكون مقحمة على الفكرة الرئيسنية للمسرحية نوعا ما · وفكرة الأخلاقيات والقيم من الموضوعات التى تشـــغل فكر (المنـــاعى) فى معظم مسرحياته ·

كما أنه من الجدير بالملاحظة أن هذه المسرحية تقترب فى بعض أفكارها وشخصياتها من مسرحية « جبهـــة الغيب » لبشر فارس (٤٦) ·

فمثلا فكرة صعود الشاب الى قمة الجبل وعدم قدرته على البقاء شبيهة بصعود « فدا » فى المسرحية المذكورة واخفاقه أيضا ·

كذلك دور الموسيقى فى « شفاء » النفوس أو أنها تعبير ـ عن الآلام والأحزان من الأمور التى اشتركت فيها المسرحيتان بالاضافة الى ذلك تشـابه فى بعض الشخصيات كشخصية الكسيح تقابل شخصية (نصـــار) هنا ، وشخصية الأعمى شخصــــية مشتركة · كذلك الموقف فى المسرحيتين موقف الصراع الطبقى الا أن مسرحية « جبهـة الغيب » كما يقول الدكتور (محمد غنيمى هلال) صراع فكرى · أما هنا فى هذه المسرحية فالصراع ذو أبعاد اجتمـــاعية · وبعد فنحن لا نســـتطيع القول بأن هذه الأفكار التى تشــــابهت فى المسرحيتين أفكار مقتبسة ، فكما ذكرنا ســـابقا أن الفكرة الرئيسية فى المسرحية مقتبسة من قصة قصيرة أشار اليهـا المؤلف فى بداية المسرحية · كذلك فاننا لم نطلع على النص الأصلى لمسرحية « جبهة الغيب » وانما كل ما عرفناه عنها هو من خلال عرض وتلخيص الدكتور (محمد غنيمى هلال) للمسرحية المذكورة ·

وأخيرا نلاحظ أن روح التشاؤم واليـــأس مسيطرة على معظم مسرحيات المناعى فمثلا فى هذه المسرحية نراه يصور

---

(٤٦) فى النقد المسرحى · د · محمد غنيمى هلال ص ١٠٦ ·

موقف « الأميرة » فى النهاية موقف بعيد كل البعـــــد عن الرحمة والشفقة حين نراها وهى تقهقه وتعلو وجهها البسمة عند سماعها لنبأ قتل « عطر » المغنى ، وهذا الموقف مغاير لسير الأحداث (فالأميرة) كانت متجـــاوبة مع عطر ومع أفكاره التى تتعاطف معها ولذلك كنا نتوقع من خلال ذلك أن تقف (الأميرة) الى جانب المغنى (عطر) وتدافع عنه ،ولكن الموقف يتغير فجأة ودون مبرر اللهم الا أن يكون المبرر هو التبرم واليأس عند المؤلف فى صلاح هذه الفئة وتعميم هذه النظرة عليها ٠ وهذه الفكرة وهى روح اليأس كذلك تبدو فى مسرحية « هوبيل يا المال » وذلك حين يقرر فشــــل المصلح « مبارك » وعودته خائبا بعد أن عجز أن يقنع أحدا بما يدعو اليه من عودة للقيم والأخلاقيات ٠

٣ ـ « السر المكتوم » (باللهجة العامية) تأليف خليفة عيد الكبيسى :

وفكرة المسرحية تدور حول مشكلة فردية يعانى منها بطل المسرحية (محمد) ولكن هذه المشكلة ذات بعد انسانى ، فى النتائج والآثار المترتبة عليها ، فبطل المسرحية مصاب بعجز جنسى يمنعه من الزواج من ابنة عمه التى يحبها وتحبه حيث يعيش طيلة حياته ممزقا وقلقا وفى صراع مع نفسه بسبب هذه المشكلة ، وتلعب فكرة القضاء والقدر ، ثم قوة الارادة التى تسيطر على روح بطل المسرحية دورا رئيسيا فى اذكاء الصراع الدرامى الذى يدور بين هذه العناصر وبين عنصر الشر واليأس الذى يطارد البطل طوال فترة المسرحية حيث فى النهـــاية ينتصر عنصر الخير ٠ وتتخلل هذه الفـكرة الرئيسية بعض النظرات النقدية التى يسلطها المؤلف على بعض الأوضــاع الاجتماعية والعادات السيئة التى تقوض بناء الفرد والمجتمع فى آن واحد ٠ كذلك فان المسرحية ذات طابع تاريخى من حيث كونها رصد لحيـاة المجتمع القطرى فى بداية عهد النفط وما كان يدور فيه وكيفية مواجهـــــة الانسان القطرى لهذه الحياة الجديدة وتفاعله معها ودوره فى المشاركة الفعالة فى استغلال هذه الثروة والعمل على

استيعابها • وتتكون المسرحية من ثلاثة فصول يبدأ الفصل الأول منها بحوار يدور بين « بطى» رب الأسرة وبين زوجته « سارة » حيث يخبرها بأنه قد خطب ابنة أخيــه « فاطمة » لابنهما « محمد » وتبدى (سارة) تخوفها من رفض (محمد) لهذه الخطبة لأنه دائما يرفض فكرة الزواج • وفى أثنـــاء حديثهما يدخل (خالد) الابن الأصغر وهو متحمس للزواج ويطالبهما فى الاسراع للبحث له عن زوجة ويتذمر من موقف أخيه الرافض للزواج والذى يقف حجر عثرة فى طريقه حيث أن التقاليد توجب زواج أكبر الأبناء أولا ، ولذلك فما عليه الا أن ينتظر زواج أخيه (محمد) • ولذلك نجد أن (خالد) دائم الحوار مع (محمد) حول موضـــــوع زواجه حاثا له على الاسراع فى هذه العملية •

« خالد : يا الله يا محمد عرس وخلصنا •• خلنـا نلحق ها لناس اللى عرسوا » • فى حين نرى أن (محمد) يتبرم ويتضـــايق بمجرد سماعه لفكرة الزواج ويهدد دائما بترك البيت ، والجميع يجهل سر رفضــه لهذا الزواج ، وهو يبرر هذا الرفض على أســـاس أنه لم يستقر حتى الآن على عمل معين أو وظيفة يعتمد عليها ويدور حوار طويل وممل بين كل من (بطى) و (محمد) ثم بين الأخير و (خالد) حول محاولة اقناعه بالزواج ، أو الكشف عن سر رفضه لهذه الفكرة • ولكن دون جدوى •

وبعدها يدور حوار بين (محمد) و (فاطمة) ابنة عمــه التى كان والده قد خطبها له ، وهنـــا نرى الصراع النفسى يشتد على (محمد) وهو فى حواره مع محبوبته (فاطمة) الذى ظل منذ عهد الطفولة وهو يبادلهـــا حبا بحب ، كيف يستطيع الآن أن يصارحها بما يجول بخـــاطره ان ضميره يؤنبه أن يحطم حياتها حين يربطها معه ، وفى الوقت نفســه يخجل أن يطلعها على السر الذى يكتمه فى صدره ولا يطلع عليه أحدا ، وهنـــا تتغلب ارادته بدافع من ضميره الحى ليضحى بسره فى سبيل سعادة « فاطمة » التى أحبها ويفشى

لها بسره وهو أنه يعانى من عجز جنسى يمنعه من الارتباط بها ولكنه قبل ذلك يطلب منها أن لا تبوح بهذا السر لأحد ٠
وبعدها يتم زواج (فاطمة) لابن عمها (خالد) ٠

ويبدأ الفصل الثانى بانتقال (محمد) ، و (خالد) ، وابن عمهم (خليفة) الى منطقة (دخان) حيث يلتحقون بالعمل فى شركة تقوم باستخراج النفط ، ولكن (خليفة) وخالد لا يعجبهما العمل فى الشركة بحجة أن الوظيفة التى أعطيت لهما لا تتناسب ومكانتهم الاجتماعية ـ وهذه النظرة المتعالية لا زالت عالقة بأذهان الناس فى المجتمع القطرى وهو عدم الاقبال على الأعمال اليدوية أو المهنية أو أعمال البناء والنظافة وغيرها ٠٠ ولهذه النظرة غير الموضوعية نرى (خليفة يترك عمله ويقدم استقالته وعبثا يحاول (محمد) اقناع (خليفة) بالعدول عن قراره والبقاء فى العمل ٠ وفى الوقت نفسه نرى (خالدا) يهدد كذلك بترك العمل ٠٠ فى حين نجد أن (محمدا) مثالا للشاب الطموح الذى يقدر المسئولية فيستطيع باخلاصه أن يكتسب ثقة مسئوليه ، وآن يحصل على ترقيات فى مجال عمله ، ثم تبعثه الشركة للدراسة فى (لندن) وبعد عودته يتولى منصبا كبيرا فى الشركة التى يعمل بها ، فى حين نرى أن أخاه (خالد) ظل يعمل فى وظيفة عادية ، وكذلك ابن عمه خليفة الذى عاد للعمل فى الشركة مرة أخرى بعد أن غير اسمه حتى يضلل الشركة وكأنه عامل جديد وحتى يوافق المسؤولون على توظيفه ٠ وبعد عودة (محمد) من دراسته وتسلمه لمنصبه فى الشركة يعاود أهله الضغط عليه لكى يتزوج بل ان الأب يعود ذات يوم يخبر (محمدا) بأنه قام بخطبة بنت (بو على) له وهنا يتأزم الموقف أمام (محمد) مرة أخرى بعد الموقف السابق الذى واجهه أمام ابنة عمه (فاطمة) ولم يكن أمامه فى هذه الحالة الا أن يعلن عن السر الذى كتمه طوال هذه الفترة ولم يعلم به أحدا سوى ابنة عمه (فاطمة) من قبل ، وعند سماعهم للحالة التى يعانى منها والتى كانت السبب

فى امتناعه عن الزواج يصاب الأب بالشلل وينقل على أثرها للمستشفى مما يزيد فى قلق (محمد) واحساسه بأنه قد أذنب فى حق أبيه وأنه السبب فى مرضه وتشتد الأزمة النفسية عليه ويقع فى صراع بين صوت الشر الذى يوحى له بالانتحار لكى يرتاح من هذه الحياة صوت الضمير : « تبغينى افكك وتفتك أنت بعد من كل شىء ... طيعنى وانتحر ... أنتحر من ها لحياة ... انتحر ... » ولكن صوت العقل والارادة يتغلبان على صوت الشر فى النهاية فتنتهى المسرحية ببعض من الآيات القرآنية و (محمد) مستقبل القبلة للصلاة ومن خلال الفكرة الرئيسية للمسرحية رأينا المؤلف يبث بعض الأفكار والخواطر التى يعالج من خلالها بعض العيوب الاجتماعية ومن أهمها فكرة أو عادة الزواج من الأقارب التى يتمسك بها المجتمع فهذه العادة ذات أثر سىء من الناحية الصحية وهى التى آدت الى اصابة (محمد) بالعاهة التى يعانى منها . كما تطرقت المسرحية الى موضوع التهاون فى العمل والتهرب من المسئولية باللجؤ الى مختلف الأساليب للتنصل من العمل ، فتشاهد (عبد الله) و (هلال) يقدمان الرشاوى بواسطة أحد الموظفين الى الأطباء ليمنحوهم الأجازات المرضية .

« هلال : والله خوش ريال بوسميح ... والنعم .

عبد الله : أبدا الرخصة عنده ما تعوق .. مثل شربة الماى ، بس يهوس على يد الدختر ويكتب لك يومين ... ثلاثة ... »

أما شخصية « شريف » فهى تمثل صورة من صور النفاق والتملق فى سبيل تحقيق مصالحه الشخصية والتقرب الى مسؤوليه فهو يتابع المسؤول الانجليزى «جيمز» فى كل مكان ويغمزه (خالد) بهذا المعنى « قطو التنانير » كناية عن التملق واذلال النفس فهو كالقطة التى تلازم « التنور » ربما يلقى لها ببعض فتات الخبز .

ومما يلاحظ على المسرحيـــة أن اطالة الحوار وتكراره لبعض المعــــانى ، ثم التضمين أو اقحــام بعض الدروس والنصائح تسبب فى اضعاف الوحدة الفنيـــة فى المسرحية وأفقدها كذلك عنصر التشويق خاصة فى الفصل الثـــانى حيث حدة الانفعال حول القضية الرئيسية بدت باهتة وأصبح التركيز على العمال وصلتهم بالعمل محور الاهتمام فى هذا الفصل ٠ ثم ان الروح التعليمية ظاهرة مسيطرة على المؤلف وخاصة فى ارشاداته وتوجيهاته ألتى يسوقها لأصـــاحبه وزملائه الذين يعملون معه (٤٧) ٠

« محمد : يا جماعة البلاد بلادكم ولازم تتعبون على شانها ٠٠ مهب كل يوم والثانى ماخذين رخصة ٠٠٠ » ٠

وقد ظهرت فى المسرحية بعض المواقف الخطـــابية التى لا شك أيضا أنها تضعف السمة الفنيـــة فى العمل الأدبى « محمد : (يرفع رأسه عاليا ويتقـــدم نحو الجمهور) انتو واللى قبلكم يا خالد ٠٠ الواحد يعتز بكم ٠٠ تحية لأول يد قطرية شلت أول حصاة فى دخان ٠٠ تحيـــــة لأول يد بنت بالعرق ها المنطقة وسوتها منطقة صناعية ٠٠٠ »

وعلى أية حال فان الأفكار جاءت مسطحة وغير عميقة لأن اللغة الايحائية والتصويرية معدومة فى المسرحية فالتعبيرية المباشرة عن المعانى والأفكار يفقـــد العمل الأدبى بعض خصائصه حتى يصبح العمل الأدبى شبيه بالمقالة الصحفية٠

---

(٤٧) هناك مجموعة من المقالات النقدية والتحليلية حول هذه المسرحيات نشرت فى الصحف المحلية مثل : الخليج الجديد عدد (١٠ ، ١٢) والعهد عدد (١١٦ ، ١٧٥) ومجلة الدوحة عدد (٧٣) ٠

البــاب الثالث

« الشــعر القطرى الحديث »

الفصل الأول :

المرحلة الأولى
أغراض الشعر وخصائصه

الفصل الثانى :

المرحلة الثانية

أولا : المدرسة التقليدية أغراضها وخصائصها

ثانيا : الحركة التجديدية اتجاهاتها وأغراضها

الفصل الثالث :

الشعر النبطى

الفصـــل الأول

« المرحلة الأولى »

موضوعات الشعر وخصائصه

تمهيـــــد :

لقد قسمنا الحياة الأدبية بوجه عام الى مرحلتين مرحلة ما قبل النفط والمرحلة التالية لاكتشاف النفط ، وقد أوضحنا مدى التأثر والتغير الذى طرأ على الحياة بصفة عامة وعلى الحياة الفكرية والأدبية بصفة خاصـــة مما أدى الى ظهور مرحلتين مختلفتين عن بعضهما فى جميع أوجه الحياة وان لم تنفصل الثانية عن الأولى انفصالا تاما ، لأن الحيـــاة الأدبية كالكائن الحى فى تطور مســتمر وتغير دائب ، وهى ربما تتوقف أو تجمد فى مرحلة ما الا أنها لا تنفصل عن بقية مراحلها انفصالا كليا ٠ وقد شهدنا أثر هذا التغير والتطور بصورة واضحة عندما عرضنا للنثر الفنى فى كلا المرحلتين فوجدنا التنوع والغزارة فى المرحلة الثانية كبيرا اذا قسناه بالنسبة للمرحلة الأولى وجدبها وفقرها سواء من حيث كمية هذا النتاج أو كيفيته ٠ هذه ملاحظة أولى ٠

أما الملاحظة الثانية : فهى أن المرحلة الأولى كما أشرنا من قبل تمتد حتى منتصف القرن الحالى وهى فترة متـــأخرة وكما نعلم أن هذه الفترة قد شهدت نهضة حديثـــة شملت الحياة العربية بمختلف نواحيها وفى مقدمتهـــا الحيـــاة الفكرية والأدبية ، والتى كان قد حمل لواء الشعر والريادة فيها محمود سامى البارودى فى طور الاحياء والبعث ، ثم جاء طور التجديد على يد شوقى وحافظ ومطران ٠ ثم العقاد وشكرى ولكنه من المؤسف حقا أن الحياة الأدبية فى قطر فى هذه الفترة لم تحظي بشىء من ذلك وقد ذكرنا الأسباب التى

أدت الى تأخر ظهور نهضة أدبية مماثلة لما يجرى فى الأقطار العربية الأخرى (١) ·

ولعل أبرز شعراء هذه الفترة الذين كان لهم نصيب ومساهمة فى النهوض بالشعر القطرى هما الشاعران عبد الجليل الطباطبائى ، وابن عثيمين ، وهما شاعران لا نستطيع أن نقصرهما على قطر بالذات فالطباطبائى شاعر الخليج عامة ، وابن عثيمين ربما يعتبر شاعرا نجديا ولكن بحكم اقامتهما فى قطر وتناولهما للحوادث التى دارت فى قطر فى أشعارهما اعتبرناهما من ضمن شعراء قطر فى هذه الفترة ، وسوف نقتصر على أشعارهما التى تتصل بقطر ·

أما أول شاعر قطرى وصلتنا عنه نصوص شعرية باللغة الفصحى فهو الشاعر ماجد بن صالح الخليفى ، اذا استثنينا الشاعر الطباطبائى من الشعر القطرى · ولعل أغلب نتاج هذه المرحلة من الشعر هو الشعر النبطى وذلك راجع الى الأمية والجهل وعدم انتشار التعليم ، وأهم رواده الشيخ قاسم بن ثانى ، ومحمد بن عبد الوهاب الفيحانى ، وسوف نخص هذا النوع من الشعر بفصل خاص ·

كما أننا لا نشك فى أن هناك الكثير من الأشعار التى نظمت فى المرحلة الأولى ولكنها لم تصل الينا ، وذلك لعدم الاهتمام بها أو عدم وجود الامكانيات لتدوينها · وقد ذكرنا سابقا أن للشاعر عبد الرحمن بن صالح الخليفى ديوان شعر قد أحرقه قبل وفاته · كما أن بعض المصادر تشير الى أن للشاعر محمد حسن المرزوقى الكثير من الأشعار ، ولكن لم نستطع العثور الا على قصيدتين له ، احداهما فى المديح (٢) ، والأخرى فى الرثاء (٣) ، وسوف نشير الى كل منهما في

---

(١) أنظر الفصل الخاص بالحياة الأدبية ·

(٢) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار · لابن درهم ج ٣ ص ٩٤٨ ؛

(٣) درر المعانى فى مدح آل ثاني ج ١ ص ٣٣٢ ؛

موضعها · وهناك شاعر آخر يدخل نتاجه فى المرحلتين هو الشاعر أحمد بن يوسف الجابر فهو شاعر مخضرم عايش المرحلتين وغلبت عليه النزعةالتقليدية نظرا لثقافته التقليدية، ولمن تأثر بهم من الشعراء السابقين أو المعـــاصرين له وفى مقدمتهم ابن عثيمين كما يذكر ذلك بنفسه·وكان من المفروض أن أعتبره من الناحية الفنية من شعراء المرحلة الأولى ، الا أن ذلك لم يكن ليتمشى مع التقسيم التاريخى الذى اتبعناه فى بحثنا هذا حيث أن له أشعارا تدخل ضمن المرحلة الثانيـــة لذلك فقد عرضت لنتاجه فى كلتا المرحلتين ، لأنه كما ذكرنا سابقا أن أى تقسيم للحياة الأدبية فى أى عصر من العصور أو فترة من الفترات لا يعد تقسيما مانعا من التداخل والتأثر لكل منها فى الأخرى ·

وهذا الحكم ينطبق كذلك على شعر عبد الرحمن المعاودة، الا أن الفرق هنا يكمن فى أن شعر المعاودة فى المرحلة الأولى لا يعد من ضمن الشعر القطرى حيث أن الشاعر لم يكن قد استقر فى قطر بعد ، فشعره فى المرحلة الأولى أكثر ارتباطا بالبحرين حيث موطنه الأصلى ومنبع ثقافته والهامه كما أنه مما تجدر الاشارة اليه أن المعاودة يعتبر ذا طابع تجديدى فهو أكثر تأثرا بثقافة العصر وتفهمه لقضـــاياه ، ويعد أحد رواد الحركة الاصلاحية فى البحرين (٤) · لذلك فان نتاجه الشعرى الذى سوف يكون موضع دراستنا هو ما يقع ضمن المرحلة الثانية ·

---

(٤) الشعر المعاصر في البحرين ١٩٢٥ - ١٩٧٥ م - رسالة ماجستير - علوى الهاشمي ص ٣٧٤ ·

أغراض الشعر وخصائصه

والموضوعات التى طرقها شعراء هذه الفترة موضوعات محدودة وتقليدية فكما اتضح لنا فى أثناء حديثنا عن الحركة الأدبية أن هذه المرحلة ظلت بمعزل عن التأثر بالحياة الفكرية الحديثة التى شملت معظم العالم العربى ، وكان نتيجتها أن تغيرت القيم والمفاهيم الفكرية وفى مقدمتها الأدب شعره ونثره ·

فقد أخذ الشعراء فى العالم العربى منذ أواخر القرن التاسع عشر يطرقون العديد من الموضوعات ذات الصلة المباشرة بالمجتمع ويشاركون فى القضايا المحلية والقومية (٥) · وقد طرق الشعر العديد من القضايا كقضية حرية المرأة ، والدعوة الى التعليم ··· وغيرها من القضايا ولكن لا نجد شيئا من هذه الموضوعات قد دار بخلد شعراء هذه الفترة فى قطر · ولعل ما ذكرناه سابقا من أن تأخر النهضة الأدبية والمعوقات التى أدت اليها كان لها دور رئيسى فى هذه الناحية · نضيف الى ذلك أن قلة الشعر والشعراء فى هذه المرحلة أدت الى عدم التنوع والغزارة فى نتاج هذه المرحلة ·

ولذلك فان الشعر فى هذه المرحلة لا نكاد نجد له أى دور مؤثر فى المجتمع فكما ذكرنا سابقا أن شعر المناسبات ثم الروح التقليدية الى جانب عدم تأثر البلاد بالحياة الفكرية الحديثة فى تلك الفترة كل ذلك أدى الى هذا الجمود وتقوقع الشعر وانحساره عن المشاركة فى مشاكل المجتمع بصورة واضحة · فالنصوص الشعرية التى وصلتنا عن هذه المرحلة تكاد تنحصر تقريبا فى ثلاثة موضوعات وهى المديح ، والرثاء ، والغزل ، والأخير قليل ولا نجده مقصودا لذاته الا نادرا · وهناك بعض القصائد أو الأبيات التى تعالج

---

(٥) انظر حركة البعث في الشعر العربي الحديث · د · ماهر حسن فهمي ص ٥٦

موضوعات أخرى كالفخر ، وشـــعر الألغاز ونحوه ولكنها قليلة ٠

- ١ -

فن المديح :

وهو الفن الغالب فى الشعر القطرى فى كلا المرحلتين وقد ذكرنا أن السبب الداعى للاكثار من شعر المديح عند الشعراء فى المنطقة هو وجود النظام القبلى والعشائرى القديم الذى يتمثل فى الحاكم وما يتوسل فيه من كرم وعطف يشمل به رعاياه والطـــــارقين بابه ثم شغف هؤلاء الحكام بالمديح وارتياحهم للثناء ، أضف الى ذلك حاجة هؤلاء الشعراء الى المال فأتخذوه فى الغالب وسيلة للتكسب ٠

وان كنا فى حكمنا هذا لا نقصد التعميم حيث أن هنــاك من ترفع فى شعره عن الاستجداء وطلب العطاء على مدحه، وأغلب مديحهم فى صديق أو قريب ، واذا تجاوزه الى أمير ونحوه فانما تكون قصائده فيه عن اقتناع وصــدق عاطفة واعجاب به ، وليس تزلفا أو رغبــة فى عطــاء ٠ ولعل أولى قصائد المديح التى وصلتنا فى الشــــعر القطرى هى تلك القصيدة التى نظمها الطباطبائى عام ١٨٠٩ م عندما دخلت القوات الوهابية مدينة الزبارة ٠ فكما يروى كاتب مقــدمة قصائد الديوان وهو ابن الناظم أن هذه القصيدة قد نظمها الطباطبائى خوفا من القائد السعودى (٦) وهى قصــــيدة طويلة حوالى (٩٠) بيتا ٠ بدأها بحمد الله تعالى ثم أخذ فى مدح محمد بن عبد الوهاب وحركته الاصلاحية ، ولكنه كان شديد المبالغة فى وصفه للحركة الوهابية وخاصــــة لحالة المسلمين قبلها حتى أنه وصم النــاس بالكفر والشرك وأن الحالة شبيهة بما كانت عليه قبل مجيىء الاسلام والقارىء

---

(٦) ذكرنا الحادثة فى موضع سابق من هذا الكتاب ٠

لهذه الأبيات يخال اليه أنها قيلت فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ودوره فى اعلاء كلمة الحق والدين :

لَقَدْ قامَ يدعُو لِلمُهَيمِنِ وحَدَهُ
فَرِيدًا طَرِيدا مَا لَهُ مِن مُسَالمِ

وجاهد لِلرَّحمنِ حَقَّ جِهادِهِ
وفى اللهِ لَمْ تأخُذْهُ لَوْمةُ لائمِ

هُمام بدَا والناسُ إلاَّ أقلهُمُ
عَلَى مَحْضِ شِرْكٍ فى العبادةِ لاجمِ

يعُدّونَ لِلضَّراءِ قُبَّةَ ميِّتٍ
كَمَا طَلَبوا مِنْها نِتاجَ المغَانِمِ

فَهُمْ بينَ مُومٍ بالركوعِ لِسيِّدٍ
وآخرَ يعْنو وَجهُهُ لِلبهائمِ

وَمِنْ بَيْنِ دَاعٍ هاتِفٍ بِاسْمِ شيخِهِ
يَرُومُ بهِ نفعًا ودَفعَ المظَائمِ[٧] :

ثم يتطرق الى مدح عبد العزيز بن محمد بن سعود ـ وهو والد سعود أمير الدرعية آنذاك ـ ويصفه بأنه حامى حمى الاسلام ، وأنه كسا ظهر الأرض بالعدل والأمن ـ وهى من مبالغات الطباطبائى ـ فلو أنه قال كسا أرض بلاده بالأمن لكان ذلك مقبولا منه أما ظهر البسيطة فهى مبالغة منه .

---

(٧) روض الخل والخليل ض ٢٤ .

وَوَالِ الرِّضَى عبدَ العزيزِ الذى احتمت
به بيضةُ الإسلامِ عَن كلِّ ظالِم
أمام كَسَا ظَهرَ البَسيطَةِ عَدْلُهُ
مَطارِفَ أمْنٍ شامِلاتِ المَعَالِم
فَلَوْ ضَاعَ حِلْس فِى الفَلاَ مِن مُسالِم
أتاهُ بهِ منَ غابِ ضَارِى الضراغِمِ
فيرحَلُ مِنْ أقْصَى تِهامةَ راكِبٌ
إلى الخطِّ لا يَخْشَى مكائدَ غاشِمِ
حَليف التُّقَى والعِلْمِ والفَضْلِ والنَّدَى
ويأبَى المعَالِى بالقَنا والصَّوارمِ
تساوَى لدَيْهِ ذو الغِنَى وابن فاقَةٍ
لدَى الحقَ أو حالُ المليكِ وَخادِمِ

ثم يصف حرب عبد العزيز مع أعدائه بأنهـا حرب بين الاسلام والكفر !!

فَأسْرَجَ لِلأعداءِ كُلَّ طِمِرَّةٍ
منَ الضُّمر القبِّ العِرابِ العدَائِمِ
وَرُبَّ جيُوشٍ كالسُّيولِ يقودُها
لَها لَجَبٌ كالرّعدِ إثْرَ الغمَائمِ

فَالبسَ أهلَ الشِّركِ أثوابَ ذِلةٍ
بِأَسرٍ وقَتلٍ واكتِسَابِ الغنَائمِ

إلَى أن أبادَ اللهُ كُلَّ مُعانِدٍ
ومزّقَ شَملَ الباطِلِ المُتَراكِمِ

وقَدْ عاينَ الكُفّارُ نَصْرَ إلهِنَا
وفَتْحاً بهِ قَدْ جاءنَا خَيْرُ عالِمِ

وَرَدَّ جُموعَ المُشْركينَ بِغَيْظِهِمُ
ومَا قَطُّ نَالوا غَيرَ نَشْرِ الهزائِمِ

وينتقل بعد ذلك الى مدح الأمير سعود بن عبد العزيز الذى نظم من أجله القصيدة . والأوصاف والمعانى التى دبجها للأمير سعود لا تختلف عن الأوصاف التى مدح بها والده عبد العزيز فى نفس القصيدة فكلها معان قديمة وأوصاف تقليدية :

إمامُ الهُدَى بَحْرُ النَّدَى مَنْ سَقَى العِدَا
كؤوسَ الرَّدى حَتَّى اهتَدَى كُلُّ راغِمِ

أخو هِمَّةٍ يَسْتَصْغِرُ الخَطبَ عندها
وتَعلو عَلىَ هَامِ السُّهى وَالنَّعائِمِ

لَقَدْ عَلِمَ الأَعْداء شِدَّةَ بَأْسِهِ
وكَيفَ أُذِيقُوا مِنه طَعْمَ العَلاَقِمِ

فَكَمْ غَادَرَ الأقران فِي كُلِّ مَنْهَلٍ
مَعَاشَ وحوشٍ أوْ خِماص الحَوَائِمِ
وقَدْ قَذَفَ الرَّحمنُ مِنْهُ مَهابَةً
بكُلِّ فُؤادٍ مِنْ عَدُوٍّ مُخاصِمِ
يَبِيتُ المُعادِي منهُ يحرُسُ نَفْسَهُ
ولَو لَمْ يكُنْ فِي قُرْبِهِ مِنْ مُراوِمِ
لهُ عزَماتٌ تتَّقِي الأُسـدُ بأسَهَا
بِهَا اللهُ عنَّا زاحَ هَوْلَ العَظائِمِ

إذَا رُمْتَ عِلْماً فَهوَ كالغَيْثِ لِلْوَرَى
إذا أخْلَفَتْ أيْدِي السَّحابِ الرَّواكِمِ

والطباطبـــائى فى مدحته هذه لم يضف جديدا على تلك الأوصاف والمعانى التقليدية الشائعة كما أن أسلوبه عار من الصور الحية والخيال الخلاق الذى يثرى المعنى ويتجـاوز تلك المعانى الجامدة للألفاظ القاموسية . ثم اننـا لا نعرف ما الذى دفع الطباطبائى فى هذه القصيدة الى هجاء قومه وصحبه من آل خليفة هل هى الغفلة والجهل بما قاله أم انه كان يهـــدف الى ارضـاء الأمير الوهابى ورجاء التقرب والتزلف اليه ، فالأبيات الآتية ما أراها الا هجاء للشـــاعر وقومه :

ألَسْتَ تَرَى مَا كَانَ مِنْ سُوءِ فِعْلِنَا
مِنَ الصَّدِّ والإعْراضِ عَنْ خَيْرِ حَاكِمِ

وتَفصِيلِ أمْرٍ قَدْ جَنَيْنَاهُ واضِحٍ
شَهِيرٍ فأغْـنى عَن إعادَةِ ناظِمِ
فَمُذْ نَزَلوا حُـلوانَ والسَّعْدُ أمَّهُمْ
أقامُوا حُدودَ اللهِ مِنْ كُلِّ ثَالِمِ (٨)
وقَدْ حَكَّمُوا فِي النَّاسِ شَرْعَ نَبِيِّهِمْ
وَقَدْ طَهَّروا البُلدانَ مِنْ كُلِّ آثمِ
وألقَى إلَيْهِمْ أمْرَهُ ابنُ خَليفَةٍ
وَعَضَّ لِأمْرٍ غَرَّهُ كَفَّ نادِمِ

فهذه الأبيات فى الوقت الذى تكون فيه مدحا واعتـذارا للأمير السعودى تكون بالمقابل هجاء للشـاعر وقومه ٠ فالبلاد كما وصفها فى فوضى يعمها الفسق والفجور ، ولم تقم فيها حدود الله وتطهر من الرجس والضـلال الا عندما دخلها القائد الوهابى ٠٠ !

أما الصور الفنية عند الطباطبائى فانهـا صور تقليدية على كل حال وان أحسن رصفها ، وسبكها فى أسلوب جديد يدل على تمكنه من صناعة الشـعر وتمثله له ٠ وعلى هذا النحو نجد فى شعره هذا الأسلوب التقريرى والتقليدى ٠

واذا انتقلنا الى فن المديح عند شاعر آخر وهو ماجد بن صالح الخليفى فاننا نراه يسلك مسلك القـدماء من حيث النهج العام للمديح ، فيبدأ قصيدته بالغزل ويسترسـل فى وصف الحبيبة وما يعانيه من أجلها من حرقة ، وشوق ، ثم يتخلص الى الغرض الرئيسى فى القصـيدة وهو المديح ٠ والمعانى والأوصاف عند الخليفى تقليدية ، وصوره مستمدة من الشعر العربى القديم الا أنه أفسدها بكثرة الأخطـاء

(٨) حلوان : منطقة على بعد ثلاثة أميال الى الجنوب الشرقى من الزبارة ٠

اللغوية والنحوية التى تشيع فى أشعاره . ولنأخذ مثالا على ذلك قصيدته التى قالها فى مدح حمود آل خليفة من أمراء البحرين ، وقد بدأها بالغزل :

أُهَيلُ الحِمَى بانُوا فَبَانَ عَزائيا
وأَذْلَلْتُ دَمْعاً كانَ بالأمْس غَاليا[٩]

وبعد أن استغرق النسيب عنده عشرين بيتاً تخلص منه إلى المديح فقال :

خَلِيلِيَ طَارِحْنِي الحَدِيثَ وغَنِّنِي
بِذِكْرِ حُمودٍ لاَ بِذِكْرِ الغَوانِيا[١٠]

جَميلُ المُحَيّا لابِسٌ خِلْعَةَ التُّقَى
وَمُكْتَسِبُ الخَيْراتِ كَهْلاً وَنَاشِياَ

أَديبٌ لَبيبٌ ذُو ذَكَاء وَفِطْنَـةٍ
عَليمٌ بأَعْقَابِ الأُمُورِ الخَوافِيا[١١]

تراه إذا ما البحث فى محفل جـرى
أفادك أَنبـاء القرون الخواليا[١٢]

أخو هِمَّةٍ لَمْ تَرْضَ بالدُّونِ مَنصباً
ولاَ هُوَ عَن كَسْبِ العُلاَ مُتَوانِيا

يَحِنُّ إِلَى العَلْيا لِفَرْطِ اشتِيَاقِهِ
عَلَى أَنَّهُ فوقَ المَجَرَّةِ رَاقِيا[١٣]

---

(٩) ديوان الخليفى ص ٤٥ .

(١٠) الغوانيا : أصلها الغوانى قبل اطلاق القافية بالألف .

(١١) الخوافى : لحقتها ألف الاطلاق للقافية .

(١٢) الخواليا : لحقتها كذلك ألف الاطلاق للقافية .

(١٣) راقيا : الصواب الجر راق .

وكذلك عاديا ، المعاليا ، والمساويا ، كلها أسماء فى موضع الجر ولكن الشاعر ألحق بها ألف الاطلاق .

صَدوق الإخَا عِنْدَ الشَّدائِدِ والرَّخَا
وَمنْهُ الوَفَا يَحْكِي وَفَاءَ ابنِ عادِيَا

سَلِيلُ كِرامٍ قَــدْ تَأَثَّلَ مَجْدُهُمْ
وفَاقُوا الوَرَى طُرًّا بِكَسْبِ المَعَالِيا

لَهُمْ ســــاحَةٌ مَا زارَ يوْماً فِناءَهَا
أخُو سَغَبٍ إلاَّ استَقَلَّ الأمَانِيا

وإن مَلَكُوا الأعْدَاء يوْماً تَعفَّفُوا
فَيَحْتَقِرُ الجَانِي عظِيمَ المَسَاوِيَا

وبعد هذه الأوصاف ، والمعانى البسيطة ، والمجردة من الصور الحية والمعانى الجديدة ، يطلب الشاعر من ممدوحه تقبلها على علاتها ، فهى قد أتت بها السليقة غير آبهة بالنحو وقوانينه التى لا يتقيد بها الشاعر :

فدونَكَ مِنِّى يا أعَــــزُّ خَرِيدَةً
بُنَيَّةَ فِكْرٍ ترْتَميها الفَيافِيا[١٤]

فَكَمْ قَطعَتُ مِنْ أجْلِكُمْ لُجَّ مُزْبِدٍ
لأمواجه زَخْـــرٌ يشيبُ النَوَاصِيا

سَلِيقِيَّــةٌ لَيسَتْ إلَى النَّحْوِ تَنتَمِى
فقَابِلْ مَسَاوِيهَا بحُسن التغَاضِيَا[١٥]

---

(١٤) الفيافيا : الصواب الفيافى ، مرفوع بضمة مقدرة ·

(١٥) التغاضيا : الصواب التغاضى بالجر · ومثله واقيا ، وداعيا ·

وما مَهْرُهَا إلا القبولُ فإنْ أتى
جَوابٌ قَبِلْناهُ نَدَاكَ التصافيا

فلاَ زلْتَ فى عزٍّ مَنيعٍ وَرفعَةٍ
ولاَ زِلْتَ فِى حِرْزٍ مِن اللهِ واقياَ

وَعِشْتَ بِخَيْرٍ فى سُرورٍ ونِعمةٍ
سَعيداً حَميْداً مَا دَعَا اللهَ دَاعِياَ

والخليفى لم يكن له حظ يذكر فى شعر المديح اللهم الا ثلاث قصائد بادية التكلف ، والصور والمعانى فى هذه القصائد متشابهة وسطحية ،وكلها لا تكاد تخرج عما ذكرناه فى هذه القصيدة التى رأينا كثرة الأخطاء النحوية فى قوافيها ، بالاضافة الى أنها لا تخرج عن مجرد رصف ألفاظ وأوصاف لا حياة فيها ولا روح ٠

ولعل الشاعر ابن عثيمين هو أشهر الشعراء وأفضلهم فى هذا الفن بالنسبة لشعراء هذه المرحلة ٠ فعلى الرغم من الروح التقليدية التى سيطرت على أشعاره ، الا أن قوة المعانى ، وجزالة الأسلوب ، ثم اكثاره من شعر المديح ، ومعاشرته للكثير من حكام المنطقة وملازمته لهم جعله يحوز فى هذا الفن قصبة السبق لشعراء تلك المرحلة وفى هذه المنطقة بالذات ٠ وأول قصيدة مديح قالها فى حكام قطر هى تلك القصيدة التى نظمها فى مدح الشيخ عبد الله بن قاسم عام ١٣٢٥ هـ ، ١٩٠٧ م ، وقد بدأها بالغزل على النهج التقليدى ثم تطرق لوصف الأطلال وبكائها ، والشكوى من لواعج الحب وقسوة الحبيب ، ثم أخذ فى وصف الراحلة ، واستيقاف الصحب ، وبعدها تخلص للغرض الرئيسى فى القصيدة وهو المديح (١٦) :

---

(١٦) ديوانه ص ٣٩٥ ٠

نَعَمْ هذه أطْــــلالُ سَلْمَى فَسَلِّمِ
وأرْخِ بِهَا سَيْلَ الشُّؤونِ وَأَسْجِمِ (١٧)

وَقِفْ فِي مَغَانِيهَا وعَفِّرْ بِتُرْبِهَا
صَحِيفَةَ حرِّ الوَجْهِ قَبْلَ التَقَدُّمِ (١٨)

فقُلْتُ لَهَا مَهْلاً فإنَّ تَقَلْقُلِي
إلَى كَعْبَةٍ يَهْوِي لَهَا كُلُّ مُعْدِمِ (١٩)

وينْتَابُهَا قَوْمٌ كِرامٌ أعِــزَّةٌ
ففِيهَا ابنُ عُكَّاز وفِيهَا ابنُ ضَيْغَمِ

مَنَاسِكُ حَجٍّ قَدْ أُقِيمَتْ فُرُوضُهَا
خلاَ أنَّ مَنْ يسعَى بِهَا غيرُ مُحْرِمِ

بنَاهَا عِمادُ الدِّينِ والفَضْلِ قَاسِمٌ
وبَوَّأَهَا أَبْنَــاءهُ قُلْ وأَعْظِمِ

هُمُ القومُ لاَ الجَانِي عَلَيْهِمْ بِسَالِمٍ
ولاَ جارُهُمْ لِلحَادِثاتِ بِمُسْلَمِ

إذَا نزَلُوا الأرضَ الجَدِيبَ تَزَخْرَفَتْ
وإنْ نَازلُوا شَقِيَ القَنَا بالتَّحَطُّمِ

---

(١٧) ارخ بها سيل الشؤون : اسيل بها وابل الدموع . واسجم : أي أسل ، وأرق .

(١٨) حر الوجه : ظاهر الوجه .

(١٩) تقلقلي : حركتي ، وكثرة أسفاري .

وتَجْهلُ أيديهِمْ علىَ المالِ فى النَّدَى
وتَحْلمُ عمَّن ذنبـــه بالتــكَلَّم
علىَ رِسلكُمْ يا طالبِى المَجْدِ فاتَــكُمْ
إلى غُلُواتِ المَجْدِ جَرْى المُطَهَّمِ (٢٠) و(٢١)
أغـــــرُّ عليهِ لِلطَّلاَقةِ مَيْسَمٌ
يَلوحُ لها نورٌ بِدُونِ تَوَسُّمِ

ثم لا يتناسى تلك الأوصاف التى شغف بهـــا الممدوحون ورددها الشعراء على مر العصور من مثل بشـــاشة وجه الممدوح وتهلله عند استقباله لضيوفه ٠

إذَا مَا انتدَى زُوَّارَهُ وضُيوفَــهُ
تَبَدَّى كَبدْرِ التَّمِّ مِنْ بَيْنِ أنجُمِ
يُغادُونَ مَغْشِيَّ الرُّواقَيْنِ باسماً
قَبائلِ شَتَّى مِنْ فَصِيحٍ وأعْجَمِ (٢٢)
فَمِنْ مُعْلِنٍ شُكراً ومِنْ طالِبٍ جَداً
وَمِنْ مُسْتَقْبلٍ عَـــثْرةَ المُتَقَدِّمِ ٠
أبا الفَضْلِ لمْ يَفْضُلكَ زَيدٌ وحَاتِمٌ
وَمِمَّنْ إذَا قِسْنَا بِغَيْرِ التَّقَدُّمِ ٠

وبعدها يعتذر ابن عثيمين عن ترحله عن بلد الممدوح حيث كان قد ترك قطر واستقر فى نجد ،ويصف شعوره نحوها فهو

(٢٠) غلوات المجد : خطواته الواسعة ، والغلوة رمية السهم البعيدة ٠

(٢١) المطهم : الفرس الأصيل ٠

(٢٢) يغادون : يأتون فى الغداة أول النهار ٠ مغشى الرواقين : مقصـــود المكان ٠

لا زال على العهد القديم فى وده واخلاصـــه ، وأنه لم يجد عنهم طمعا فى غيرهم :

تَرَحَّلْتُ عنكُمْ لاَ اغتباطاً بِغَيْرِكُمُ
وَلاَ عَنْ مُقَامٍ فِى حِمَاكُمْ مُذَمَّمِ
فكُنْتُ وَسَيْرى واعْتِيَاضِى سِواكُمُ
كَبائِعِ دِينارٍ بِمَغْشُوشِ دِرْهَمِ .
فَجَاءكَ بِى وُدٌّ قَدِيمٌ غَرسْتَهُ
وتَابعْتَهُ سَقْياً بِسِجْلِ التَّكَرُّمِ

وبعدها ينتقل ابن عثيمين الى وصف الناقة التى حملته الى ديار الممدوح والقارىء لهذه القصيدة يشعر وكأنه يقرأ قصيدة جاهلية سواء من حيث النهج العام أو من حيث المعانى والصور والأوصاف ، واذا كنا نعذر الشـــاعر فى بعض الصور والمعانى حيث أن الممدوح وبيئته فى تلك الفترة كانت أشبه بحياة البادية ، وكذلك وسيلة الانتقال عند الشـــاعر كانت فعلا هى الناقة ٠ فانه مما يؤخذ على الشـــاعر تلك المقدمة الغزلية التى استغرقت ما يقارب نصف أبيـــات القصيدة ، ثم بكاء الأطلال واستيقاف الصحب التى تكلفها الشاعر جريا على عادة القدماء ٠

ومع ذلك فيجب أن نعترف بأن هذا الشـــاعر يعد رائد الشعر الكلاسيكى فى هذه المرحلة وفى تلك المنطقة ، برصانة أسلوبه وجزالة تراكيبه ، وابداعه فى كثير من الصـــور والأخيلة ، وتمكنه من القوافى المتينة السبك ٠

ومن شعر المديح تلك القصيدة التى نظمها الشاعر محمد

حسن المرزوقى والقصيدة عبارة عن معارضـــة أو اقتباس لقصيدة أبى العلاء المعرى التى قالهـــا فى مدح الفصيصى وتهنئته بعيد الأضحى ومطلعها :

يَا سَاهِرَ البَرْقِ أَيقِظْ رَاقِدَ السَّمُرِ
لَعَلَّ بِالجِزْعِ أَعْوَانًا عَلَى السَّهَرِ (٢٣)
وَإِنْ بَخِلْتْ عَلَى الأَحْيَاءِ كُلِّهِمُ
فَأَسْقِ المَوَاطِرَ حَيًّا مِنْ بَنِي مَطَــرِ

الا أن المرزوقى لم يبلغ فى قصيدته هذه ما بلغه المعــرى فى القصيدة المــذكورة من حيث طول النفس ، ولا من حيث المعانى وعمقها ، أو جمال الصياغة وقوتها ، الى جانب تلك النظرات والمقايسات المنطقية والفلسفية التى بثها أبو العلاء فى قصيدته ٠

أما المرزوقى فانه لم يتجاوز تلك المعانى المألوفة السهلة القريبة ، وذلك الأسلوب التقريرى المبـــاشر فى التعبير عن هذه المعانى ٠٠٠ وقد بدأ قصيدته بالمدح ثم انتقل الى الغزل ليعود بعدها للمديح مرة أخرى ، وهى القصيدة التى نظمها فى مدح الشيخ عبد الله بن قاسم يقول فيها :

تَدُومُ بِالعِزِّ وَالإِقْبَالِ وَالظَّفَـــرِ
فِي نِعْمَةِ اللهِ تَبْقَى مُدَّةَ العُمُرِ (٢٤)
لازِلْتَ تَرْقَى وَقَدْرِي عِنْدَكُمْ أَبَدًا
يَرْقَى إِلَى غَارِبِ السَّعْدَانِ وَالقَمَرِ

---

(٢٣) نزهة الابصار بطرائف الاخبار ٠ لابن درهم جـ ٣ ص ٦٠ ط بيروت ٠
(٢٤) المصدر السابق ص ٩٤٨ ٠

وبرج سَعْدٍ صَعدتُمْ فى العُلَى دَرَجاً
مِنْ صَولَةٍ قَدْ سَمَتْ بالأَنْجمِ الزُهرِ
بِهِمَّةٍ ضَاهَتْ العَيُّوقَ غَايَتهَا
عَنْهَا يُقَصِّرُ أَهْلُ المَجْدِ عَنْ قِصرِ
زَادَ اشْتِيَاقِيَ لَمَّا أَنْ سَمِعْتُ بِكُمْ
والسَّمْعُ أسبَقُ أحْياناً مِنَ النَّظَرِ
كَمْ بِتُّ فى سَهَرِى قَلْبِى أُعَلِّلُهُ
« لَعَلَّ بَالجزْع أَعْوَاناً عَلىَ السَّهَرِ
ولَمْ أَزَالْ فِى هُمومٍ قَدْ بَرَتْ جَسَدِى
والدَّمْعُ يَنْهَل مِنْ عَيْنَىَّ كَالمَطَرِ
لَمَّا أهاجَ لَظَى التَّذْكارِ قُلتُ لَهُ
« يا ساهِرَ البرقَ أيقَظ راقد السَّمُرِ »
وقلتُ يا قَلْبُ لا تَجْزَعْ فَذَا فَرَجٌ
أَتَى بهِ الله وافَانا علىَ قَدرِ
فافترَّ مُبتَسِماً وقالَ مُبتَهِجاً
أَهْلاً وَسَهلاً بِكُمْ يَا غَايَةَ الوَطَرِ

ثم يخرج متغزلا ومقلدا فى أسلوب تقريرى ، ومعان وأوصاف متداولة ، وشائعة ، وعارية فى الغالب من الصور الفنية .

فالوُرْقُ تَصدَحُ والأَغْصَانُ راقِصَةٌ
والغَانِياتُ ذَواتُ الغَنجِ والخفَرِ

مِنْ كُلِّ فاتنةِ الالْحَاظِ فاترةِ الا
جفانِ ساحرةِ الولهانِ بالحَورِ
بِطُرَّةٍ زانَها لَيلٌ على فَلَقٍ
كَطَلْعَةِ الشَّمْس تُغْنِينا عَنْ القمرِ
مَظْلُومَةُ الرِّيقِ في تَشْبيهِها ضَرَباً
مَهْضُومَةُ القَدِّ في التشبيه بالسُّمُرِ
نَحِيفَةُ الخَصْرِ هَيْفاء القَوامِ غَدَتْ
تَخْتالُ في حُلَلٍ حُمْرٍ وفي حِبَرِ

ثم يتخلص بعدها الى المديح ، والمعانى والأوصاف التى تناولها لهذا الغرض معان سطحية وأوصاف جامدة عارية من الصور الحية والمعانى الجديدة ، فالقصيدة بشقيها لا تخرج عن كونها رصف ألفاظ وجمع أوصاف ، الا أن مما يذكر له أنه أجاد نوعا ما فى هذا الرصف والسبك فى أسلوب وسط بين السهولة والجزالة .

وأفْصَحَتْ بلسانِ الحالِ قائلةً
وافى ابنُ قاسمَ عبدُ اللهِ بالظَفَرِ
أعني ابنَ ثانِي مَن سارتْ بسِيرَتِهِ
الرُّكْبانُ تمدَحُهُ فى البدْوِ والحضَرَ
مولى الجزيلَ مُرَبِّى لِلجَميلِ لهُ
جمالُ وَجْهٍ غَدا يعلو سَنا القمَرَ
هُو الهُمَامُ الأريبُ الأريحِيُّ ومَنْ
حازَ المكارمَ عن آبائِهِ الغُرَرِ

ذو فِطْنَةٍ ووَقارٍ لا يُوازِنُهُ
إلاَّ أبوهُ طويلُ الباعِ خَيْرُ سَرِى

نقَّادَةٌ فى تَصاريفِ الأمورِ لهُ
رأىٌ يُخَلِّصُ بينَ الدُّرِّ والمَدَرِ

بِحَزْمِ ذِى وثَبَاتٍ والثَّبَاتُ لهُ
خُلُقٌ بِعَزْمٍ غدا كالصَّارِمِ الذَّكَرِ

وبعدها يلتمس الشاعر من الممدوح قبول هذه القصيدة المتواضعة ويعلن أنه فى اهدائه هذه الأبيـــات الى مقـــام الممدوح كمهدى التمر الى هجر ، ولا نعلم أن الممدوح كان شاعرا أو قارضا للشعر حتى يصدق هذا المثل ... !

ويختتم قصيدته بالصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم وهى عادة شاعت بين الشعراء فى تلك الفترة .

هَـــذِى نتائجُ أفـكارى بعَثْتُ بِها
وإنتُ إلا كَمُهْدِى التَّمْرِ فِى هَجَرِ

لا مالَ عِنْدِى أُهدِ بهِ لحَضْرَتِـكُمْ
إلاَّ قلائدِ سِمْطِ النَّظْمِ كالدُّرَرِ

تَبْقَى علىَ صفحاتِ الدَّهْرِ خالِدَةً
لَـكُمْ تَبُثُّ الثَّنَا مِنْ نَشْرِها العَطِرِ

فأقبلْ فَرائِدَها وأقبلْ خَرائِدَهَا
أَتتْ إليكَ تَجوبُ الأرضَ فِى قَطَرِ

لاَ تَرْتَجِى صِلَةً إلاَّ القبولَ لها
والفوزَ فيها بِحُسْنِ الفِكْرِ والنَّظَرِ
فى لَيلةٍ قالها نَجْلُ الحُسَينِ لَكُمْ
أبو خليلٍ يَرومُ الفَوْزَ بالوَطَرِ
واسْلَمْ ودُمْ فِى نَعيمٍ لا نَفادَ لَهُ
يا تابِعاً ما أتَى عَنْ سَيِّدِ البَشَرِ
عليهِ مِنِّى صلاةٌ لاَ إنْتِهاء لها
والآلِ والصَّحْبِ فِى الآصالِ والبُكَرِ
ما سَحَّ مُزْنٌ وَمَا غَنَّتْ مُطَوَّقَةٌ
عَلَى الأراكِ مَدَى الأَعْوامِ والعُصُرِ

- ٢ -

فن الرثاء :

ويأتى فن الرثاء بعد المديح من حيث شيوعه وتداوله بين الشعراء فى هذه المرحلة ، وقد شمل شعر الرثاء الأمراء والحكام ، والأصدقاء ، والزوجات ... الخ . واذا استعرضنا المراثى التى وصلتنا عن المرحلة الأولى فى الشعر القطرى فاننا لا نجدها تخرج عن تلك الأوصاف والأفكار المتداولة في فن الرثاء لدى القدماء . كوصف المرثى بالتقي والزهد ، والكرم والعطف على الفقراء والمحتاجين ، ونصرة الحق ومغاداة الظالمين ، وان كان قائدا ، أو زعيما فانه يوصف بالاضافة الى هذه الأوصاف بالشجاعة وقوة البأس ، وما كان له من مواقف خالدة فى ميادين القتال . وكلما زاد قرب المرثى من قلب الشاعر وصلته به فانه يتجلى فى رثائه حينئذ صدق العاطفة وحرارتها ، ولوعة الأسى

وتوهج الشعور . فمن شعر المراثى هذه القصيدة التى رثى بهـا الشاعر عبد الرحمن بن درهم صديقه عبد الله بن خاطر عندما قتل على يد بعض الأعراب فى احدى رحلات القنص :

أعينَىَّ جُودا بالدُّموعِ السَّوَاكِبِ

فإنَّ بُكاءَ الإلْفِ أعظَمُ واجِبِ (٢٥)

ولاَ تَبْخَلا بالدَّمْعِ لَوْ كانَ مِنْ دَمٍ

علىَ طاهِرِ الأَخْلاَقِ عَفَّ المَذَاهِبِ

فَلَسْتُ بِباكٍ بَعْـــدَهُ فَقْدَ هالِكٍ

ولاَ جزَعٍ مِنْ حادثاتِ النَّوائبِ

إلَى اللهِ أشكو ما دَهَى مِنْ مُصيبةٍ

ونازلةٍ من مُوجِعاتِ المَصَـائبِ

مصيبةِ خلٍّ أورثَ القَلْبَ فقْدُهُ

لَهيبَ جوًى بيْنَ الحشَا والتَّرائبِ

ويصف الشاعر صديقه المرثى ببعض الأوصـاف والقيم والخلال التى تتمشى وتتناسب وفن الرثاء كوصـفه بالتقوى والورع وحب الخير ونصرة الحق :

مُصيبةُ ذِى الإحْسانِ وَالْفَضْلِ والتُّقَى

حَليفِ النَّدَى والْمَجْدِ سَامِى المَناقِبِ

تَقِىٌّ نَقِىٌّ عابدٌ مُتَبَتِّـــلٌ

تبـــاركَ مَنْ أولاَهُ خَيْرَ المَواهِبِ

---

(٢٥) المصدر السابق جـ ٣ ص ٩٤١ . ط بيروت .

مُحِبٌّ لِأَهْلِ الحقِّ حَرْبٌ لِضِدِّهِمْ
مُهِينٌ لِأَرْبابِ الخَنَا والمَعَائِبِ
فلِلَّه مَقْتُولٌ مَضَى لِسَبِيلِهِ
لنِعْمَ الفَتَى عِنْدَ الخُطوبِ الكَوارِبِ

ثم بين مكانة هذا الصديق عنده ، ومدى الفراغ الذى سوف يتركه فى حياته بعد فقده له :

بَلوْتُ بَنِي الأَيَّامِ طُرًّا فلَمْ أَجِدْ
صديقًا سِواهُ مُسْعِدًا فِي النَّوائِبِ[٢٦]
فأَصْفيتُهُ فِيَّ الوِدادَ فَلَمْ يَشُبْ
صَفَاءَ وِدادِي بالقَذَى والشَّوائبِ
فأَصبَحتُ مَوْتوراً أُعَزَّى لِفَقْدِهِ
أُعَلِّلُ نَفْسِي بالأَمانِي الكَواذِبِ
لَئِنْ ذهَبَتْ أيامُهُ الغُرُّ وانقَضَتْ
فَما الحُزْنُ مِنْ قَلْبِي عَلَيْهِ بِذَاهِبِ
بِنَفْسِي أخًا لَمْ يَصْفُ لِي العَيْشُ بعدَهُ
ولا سَاغَ لِي يوماً لَذِيذُ المَشارِبِ
خَلِيلَيَّ ما ذاكَ الهُمامُ بِعائدٍ
علينَا وَلاَ ذاكَ الغَمامُ بساكِبِ
فَما أَوْحَشَ الدُّنيا عَلَيَّ وأهْلَهَا
غَداةَ ثَوى فى التُّرْبِ بَدْرُ الغَيَاهِبِ

(٢٦) المصدر السابق ص ٩٤٢ .

ثم يعود بعدها ليسوق بعض الصفات التى كان يراها فى المرثى ، كما تتكرر عنده بعض الأوصاف والمعانى فى نفس القصيدة :

حَسِيبٌ كَرِيمُ الذّاتِ والأصْلِ ماجِدٌ
جَوادٌ إذَا انْسَدَّتْ وجُوهُ الْمَطالِبِ

لهُ فى أثيلِ الْمَجْدِ بيتٌ مُشَيَّدٌ
وَمِنْ رُتَبِ الإحسانِ أعلى المَراتبِ

لهُ خُلُقٌ سَهْـلٌ ونَفْسٌ أبيَّـــةٌ
وكَفٌّ تُضاهِى غادِيَاتِ السَّحائبِ

لهُ مَجلِسٌ يَنْتابُهُ كُلُّ طارِقٍ
مُناخٌ لأضْيافِ الشِّتاءِ السَّواغِبِ (٢٧)

وهى قصـــيدة جيدة متينة السبك جياشـــة بالعواطف الحزينة .

ومن شعر الرثاء تلك القصائد التى رثى بها إبن عثيمين الشيخ قاسم بن ثانى ، أفاض فيها الشاعر فى وصف المرثى مبينا فيها مكانته ومنزلته بين قومه ، ثم ما تركه من فراغ بعده ، فبفقده فقد المحتاجون والأيتام الأمل والاحسان . وان نعى الممدوح كان نعيا للبر والمعروف والجود ... (٢٨) .

برَغْم المَعَالِى فارَقَ الدَّسْتَ صاحِبُهْ
وَثُلَّتْ عروشُ المَجْد وأنهدَّ جانِبُهْ (٢٩)

---

(٢٧) المصدر السابق ص ٩٤٣ .

(٢٨) العقد الثمين من شعر ابن عثيمين ص ٤٤٧ .

(٢٩) الدست : المجلس . ثلث : هدمت .

وأضحت بنو الآمال سهماً وجوهها
تقلب طرفاً خاشعاً ذل حاجبه (٣٠)
تقول إلى من نطلب العرف بعدما
على قاسم المعروف بنيت نصائبه (٣١)
مضى كافل الأيتام في كل شتوة
ومؤئل من ضاقت عليه مذاهبه (٣٢)
أقول لناعيه إلى مجاوبا
بفيك الثرى لم تدر من أنت نادبه (٣٣)
نعيت امرأ للبر والدين سعيه
وللجود والمعروف ما هو كاسبه
فيا قاسم المعروف للبأس والندى
وللخصم مشتطاً على من يطالبه (٣٤)
ويا قاسم المعروف للطارق الذى
من الزاد قد أصبحن صفراً حقائبه
ويا قاسم المعروف للملتجى الذى
تحاماه من عظم الجناية صاحبه (٣٥)

---

(٣٠) بنو الآمال : المؤملون والمرتجون العطاء والاحسان .

(٣١) العرف : الندى والفضل . بنيت نصائبه ، وضعت فوقه الاحجار أى فوق قبره .

(٣٢) موئل : ملجأ . وملاذ .

(٣٣) بفيك الثرى : بفمك التراب .

(٣٤) مشتطا : مشتد فى خصومته .

(٣٥) الملتجى : المستجير . تحاماه : حمى نفسه منه ، وابتعد عنه . الجناية : الذنب .

وَلِلمُرهقِ المَكْرُوبِ يُفرِخُ رَوْعَهَ
إِذَا أسلمَتْه لِلخُطوبِ أقاربُهْ .

هذه صفات المرثى ومآثره من اقراء للضيف واغاثة للملهوف وموئل المحتاجين والأيتام · فماذا عن شجاعته وبأسه فى ميدان القتال ··· ؟

ولِلجَحْفَلِ الجَرَّارِ يَهْدِى رَعِيلَهُ
إِلى كُلِّ جَبَّارٍ أبِىٍّ يُشَاغِبُهْ(٣٦)

هُوَ المانِعُ الخَصْمِ الألَدِّ مَرامُهُ
وانْ رَامَ مِنْهُ مُعْضَلاً فَهْوَ سالِبُهْ(٣٧)

فَقُلْ لِلجيادِ المُشْمَعِلّاتِ لاَحَهَا
تَجَاوزُ غِيطانِ الفَلاَ وَسَبَاسِبُهْ(٣٨)

عَلى قاسِمٍ فأبكِى طويلاً فإنَّهُ
فتاكَ إذَا ما اسْتَخْشَنَ السرّجَ راكِبُهْ

إِذَا مَا رَمَى المَرْمَى البَعيدَ ذرَعْنَهُ
بِهِ نَاجِياتٌ زامَلتْهَا شَوازِبُهْ

جَحَافِلُ سهّلْنَ الرَّوابِى فأصْبحتْ
سَبَاسِبَ مِمَّا بَعْثَرَتْهَا كَتَائِبُهْ

---

(٣٦) الجحفل : الجيش العظيم · الجرار : الكثير · يهدى : يتقدم · رعيله : أوله · أبى : شديد يأبى الخضوع ·

(٣٧) الألد : الشديد فى الخصومة · معضلا : أمرا شديدا ·

(٣٨) المشمعلات: المسرعات · لاحها: اضمرها وغيرها · تجاوز: السير والقطع · السباسب : الأرض المستوية البعيدة ؛ جمع سبسب ·

إِذَا نُشِرَتْ أعـــلامهنَّ تَحدَّبَتْ
بِأَرْجائِهَا صِيـــدُ المُلوكِ تُراقِبُهْ

وبعد استرساله فى هذا الوصف القوى المجلجل الملائم لقوة البأس والشجاعة ضخامة وفخامة ، يعود ليستقى العبر من التاريخ ويتأسى بمن سبقه من عظماء وملوك ، بل ان فى مقـــدمتهم ســـيد البشر أجمعين قضى نحبه فهو خير من يتعزى به ٠

هُوَ الدَّهْر يَسْتدْعى الفَنَاءَ بقَاؤُهُ
وتَسْتَصغِرُ الْخَطْبَ العَظِيمَ مَصائبهْ
لهُ عَـــثْرَةٌ بالمَرءِ لا يَسْتَقيلُهَا
إِذَا ما أُنيخَتْ لِلرَّحيلِ رَكائبهُ[٣٩]
أباحَ حِمَى كِسرَى بن سَاسَانَ صرْفُهُ
فلَمْ تَسْتَطِعْ عَنْهُ الدِّفاعَ مَرازِبهُ[٤٠]
وكَرَّ علَى أبناءِ جَفْنَةَ كَرَّةً
سَقاهُمْ بِهَا كَأساً ذعافاً مَشَارِبهُ[٤١]
وأعظَمُ مِن هَـــذَا وذاكَ مُصيبةٌ
قضَى النَّحْبَ فيهَا المُصْطَفَى وأقارِبُهْ
هُم الأسْوَةُ العُظْمَى لِمَنْ ذَاقَ غُصَّةً
مِن الدَّهْرِ أوْ مَنْ أجْرَضَتْهُ نوائبهُ[٤٢]

---

(٣٩) أنيخت للرحيل ركائبه : دعاه داعى الرحيل وهو الموت ٠

(٤٠) مرازبه : فرسانه وقواده ٠

(٤١) أبناء جفنة : ملوك الشام من الغساسنة ٠ ذعافا : مسمومة ٠

(٤٢) أجرضته : سدت حلقه ٠

وبعد سوق العبر وضرب الأمثلة بهدف التــــأسى لهذا المصاب يعود لتقديم النصح الى أبناء المرثى داعيا اياهم الى الوحدة والتكاتف وعدم الاختلاف ، حاثا لهم الى مبايعــة الشيخ عبد الله بن قاسم الامارة وتقليده الزعامة ·

بَنِى قاسمٍ إنْ كُنْتُم أوْدَعتُم الثَّرَى
أبَا طرّزَتْ بُرْدُ المَعَالِى مَنَاقِبُهْ (٤٣)

فخلُّوا الهُوَيْنَى واجْعَلُوا الرَّأىَ واحِداً
فيَخشاكُمُ نائِى البِلادِ وصاقِبُهْ (٤٤)

وَألقوا مَقاليدَ الأُمورِ لِماجِــدٍ
أخِى ثِقةٍ قَدْ أحكَمَتْهُ تَجارِبُهْ

بعيدِ المَدَى لا يُدْرِكُ النبثُ غَورَهُ
أبِىٍّ عَلى الأعداءِ مَحْضٍ ضَرائبُهْ (٤٥)

أبا أحمدٍ لَوْلاكَ كانَ مُصــابُهُ
علىَ النّاسِ لَيْلاً لاَ تُجَلَّى غَياهِبُهْ

وهذه ميزة امتاز بها ابن عثيمين فى شــعره فهو عنــدما يمدح أو يرثى غالبا ما يسوق بعض العبر والنصــائح التى يسديها الى ممدوحيه أو غيرهم ··· فهو شاعر الرثاء كما كان شاعر المدح فى هذه المرحلة جزالة أســلوب وفخامة عبارة ومتانة تركيب · وروعة تصوير ·

واذا انتقلنا الى فن الرثاء عند ماجد الخليفى فاننا نجد له عدة قصائد فى رثاء زوجاته وهى قصــــائد لا تبلغ من

(٤٣) برد : ثوب · مناقبه : مآثره ·

(٤٤) الهوينى : الأمور الهينة · صاقبة : من المصاقبة وهى المجاورة ·

(٤٥) النبث : الحفر · محض : خالص · ضرائبه : طبائعه وخلائقه ·

حيث قيمتها الفنية المراثى التى ذكرناها لابن عثيمين ، وابن درهم . فالى جانب السقطات النحوية واللغوية الشائعة عند الخليفى نجد تلك المعـــانى والأفكار السطحية ، وكان من المفروض أن يكون صدق العاطفة عنده دافعـــا الى اثراء المعانى وعمق الأفكار ، حيث أنه يرثى زوجة كان قد أحبها وأحبته ، وكما يقول لو أن الموت يقبل الفداء لافتداها بالآلاف من النساء (٤٦) . ولكن عدم تمكن الشـــاعر من اللغـــة الفصحى ، والتعبير بها كان السبب فى ضعف مراثيه ، بل فى كل قصائده التى نظمها بالفصحى ، والدليل على ذلك أن قصائده وخاصة المراثى التى نظمها بالعامية هى أكثر عمقا من حيث أفكارها ومعانيها ، وصدق العاطفة فيها .

يا عينُ جودِى بِدَمعٍ مِنكِ مِـــدْرارِ
وأحكِى السّحابَ إذَا هلَّتْ بأمطارِ (٤٧)

وأبكى علىَ جنّةٍ طافَ المَنونُ بِهَا
قضَيْـتُ منهَا فَما قَضَّيْـتُ أوْطارِى

يا عينُ هذَا أوانُ الدَمْع فأنسَـكبِى
وأبـكِى علَيْها وَسحِّى دَمْعَكِ الجارِى

فَلَوْ بـكيتِ علَيْها الدّهْرَ فيضَ دَمٍ
فى حَقِّها ما بلَغْـتِ رُبْــعَ مِعْشَارِ

قدْ جِئْتُ لِلدّارِ لَمَّا أُبتُ مِنْ سفرى
نحو الحبيب فمـــــا فى الدار ديار

يا طولَ حُزْنى عليهَا ثُمَّ يا أسَـــفى
ما أنغَصَ العَيْشَ بَلَ ما أوْحَشَ الدّارِ

---

(٤٦) ليت الزمان اللى سرق وليـــفى
يقبـــل أفداه من النســـاء الافى الديوان ص ٧٧

(٤٧) ديوان الخليفى ص ٧٣ .

قَدْ كُنْتُ أحذَرُ هذَا قَبلَ موْقعه
فالآنَ يا بنيُ قَدْ حققْتَ أحْذاري
يا دَهْرُ مالَكَ قَدْ كدرْتَ عيشَتنا
بَعْدَ الصفَاء فَقَدْ شيبتْ بأكْدارِ
فَهكذا الدّهرُ لا يُبقِي على أحدِ
وهكَذا الدّهْرُ إقْبــالٌ وادْبارُ
أبقَيتَنِي واحــدًا في الدّارِ مُنفَرِداً
مِنْ بَعْدِ أُنْسٍ بِها ياطُولَ أحسَارِي[٤٨]
إنْ كُنْتَ أسَقيتَها كأسَ الرّدَى فلَقدْ
أسقَيتَنِي بَعْدَها كاسَاتِ أمْرارِ[٤٩]

والقصيدة بالاضافة الى الأخطاء اللغوية الشائعة فيها والتى أشرنا اليها فى الهامش ، قد يختل الوزن فيها أحيانا ، الى جانب سذاجة المعنى ، وابتذال الصياغة . ناهيك عن ظاهرة الاقواء فى هذه القصيدة وغيرها ،وهو اختلاف حركة الروى ، ولا شك أنه أحد عيوب القافية التى شاعت فى أشعار الخليفى بصورة واضحة .

ومن شعر الرثاء تلك القصيدة التى رثى بها الشاعر محمد حسن المرزوقى القطرى الشيخ قاسم بن محمد الثانى، وهى قصيدة طويلة فى حوالى (٧١) بيتا ، أفاض فيها فى ذكر أوصاف الممدوح وما كان عليه من تقوى وورع وكرم وجود ، وشجاعة وبأس ... الى آخر تلك الأوصاف المتداولة ...

---

(٤٨) احسارى : جمع حسرة ، وهو خطأ ، والصواب حسرات .

(٤٩) امرار : جمع مر : وفى لسان العرب جمع مر : أمرار بفتح الهمزة .

أيا عَيْنُ فابْـكِي واسْبِلِي عَـــبَرَاتِ
وَجُودى بِقانِى الَّلونِ لاَ الدَّمَعَاتِ (٥٠)
امَـلَّ فُؤادِى ثَمَّ يَنجو من الرَّدَى
وَيذهبُ وَسواسٌ لَدَى الصَّلواتِ
أيا نَفْسُ فابـكِى مَنْ يقاسِمُكِ العَنا
يُبَادِرِ مَنْ نَاوَاكِ بالهَلَكَاتِ
نَديمُكِ مِنْ دُونِ البَرِيَّهِ فانْدُبِى
إذَا لَمْ تَموتى فاسيلِى عَــــبَرَاتِ

ثم يبين الشاعر مدى ما أصابه من حزن ومن ألم لفقده وبفقده فقد الآمال ، وحارب جفنه كرى النوم الذى كان يمكن أن يتداوى به ، وان حزنه عليه ليفوق حزن متمم بن نويرة على أخيه مالك ،

تُوفيِّتْ الآمالُ مِنْ بَعدِ فَقْدِهِ
وكيفَ التَّـــداوِى بَعْدَهُ بسِنَاتِ
« مُتَمِّمُ » لَمْ يَحْزَنْ على فَقْدِ « مالِكٍ »
كَتَحزُنِى عَليهِ مِنْ جَميعِ جِهاتِ (٥١)

وبعد أن يذكر بعضا من مآثره كرجاحة عقله ، ودهائه ، وسداد رأيه ، وطهارة ثوبه ونقاء سريرته ، يبين مكانة المرثى وفضله فى تثبيت قواعد الشريعة فى قطر ، وغرس التوحيد، ومحاربة الشرك والأهواء والبدع التى كانت منتشرة من قبل

---

(٥٠) درر المعانى فى مدح آل ثانى جا ص ٣٣٢ ٠

(٥١) متمم بن نويرة : هو أخو مالك بن نويرة الذى قتله خالد بن الوليد وقد حزن عليه متمم ورثاه بقصائد حزينة ٠

فعند ما تولى الشيخ قاسم مقاليد الأمور وهو يدين بالمذهب الوهابى حارب هذه البدع ، وأتى بالعلماء والدعاة من نجد منبع الوهابية لتعليم الناس أمور دينهم .

مَضى غَارِسُ التَّوحيدِ فِي قَطَرَ النَّدى
مَضى هادِمُ الأَهْواءِ والبِدَعاتِ
مَضى بَعْدَ ما أحْيَا مِن الجَوْدِ والهُدَى
رُسُوماً لَهُ فِي الدَّارِ كالهَضَباتِ
بَنُو قَطَرٍ مِنْ قَبلِهِ بِجَهالَةٍ
مَمَالِيكُ لِلأَهْواءِ والشَّهَواتِ
أئِمَّتُهُمْ أبنَاءُ جَهْمٍ تَؤُزُّهُمْ
فزالتْ بِمَهْدِي الرُّشْدِ والبَرَكَاتِ
فَلمْ يَمْضِ حتَّى عَلَّم المَجْدَ كُلّهمْ
بِصائبِ فِكْرٍ يُدْحِضُ الشُّبُهاتِ
وَعلَّمَهُمْ نَهجَ المَكارِمِ والتُّقَى
وَجاءَ بأَخْبارِ الهُدَى ودُعاةِ
وَأجْلَى دُعَاةَ السُّوءِ مِنْ كُلِّ مُشْرِكٍ
وَمِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ أخِي لَبِسَاتِ
طَرائقُ صوفِيٍّ « وزَارٌ » « وَمَولِدٌ »
نفَاهَا بحَدِّ السَّيْفِ والكَلِمَاتِ
وعَلَّمَهُم نُكْرَ الفَواحِشِ جَهْرَةً
وَأذْهَبَ مَألُوفَاتِهِمْ بِعِظَاتِ

ثم يتطرق الى بيان مكانة المرثى بين أصحابه ، ومبلغ

كرمه وجوده وخاصة فى السنوات الجدباء ، ويعرض للغزوات التى غزاها والمعارك التى خاضها المرثى فى حياته :

كأنْ لَمْ يكُنْ طَلقُ المُحَيَّا بمجْلسٍ
يُنادِمُنَا فى أعذَبِ الكَلِماتِ

كأنْ لمْ يكُنْ بالأمْسِ قاسِمُ بينَنَا
كَبدْرِ تمامٍ ضاءَ فى الظُّلُماتِ

كأن لمْ يكنْ بيْنَ (الوُسَيْلِ) و (وَجبةٍ)
مَشَى قاسِمٌ فى بُرْدة الحَبِراتِ[٥٢]

كأنْ لمْ يكُنْ لَيْثُ العَرِينِ غزَا العِدَى
جنُوباً وغَرْباً منكِباً لعِدَاتِ

كأنْ لمْ يكُنْ قَدْ كانَ للْكُومِ ناحِراً
بأعوامِ شُهْبٍ واضحَ الجفَنَاتِ[٥٣]

كأنْ لمْ يكُنْ فى الدُّجى عِنْدَ صلاتِهِ
لَهُ نصبٌ فى حِندِسِ الظُّلُماتِ

كأنْ لمْ يكُنْ قدْ جرَّ جَيْشاً عرَمْرَماً
لِقَتْل (بَنى يَاسٍ) العِدَى وبُغَاةِ

كأنْ لمْ يكُنْ قَدْ سارَ نَحْو (زُبارِ)
يُجَاهِدُ كُفاراً رَجَا الحَسنَاتِ

---

(٥٢) الوسيل ، والوجبة مواضع فى قطر .

(٥٣) الكوم : جمع كوماء وهى الناقة السمينة .

كأنْ لَمْ يكُنْ يَغْزُو الجِساءَ وَبَدْوَهُ
بِجُـــردٍ ومُرْدٍ مِنْ بَنِي الفَتَكاتِ
بَلَى قَدْ أتَى هَذِي المَحَاسِنَ كُلَّهَا
فأكْـــرِمْ بهِ حَيًّا وَبَعْدَ مَمَاتِ
فَمنْ رامَ فَخراً فَلْيكُنْ مِثْلَ (قاسِمٍ)
وإلاَّ فَـــلاَ حَمْداً يَفُزْ بِحَيَاةِ

أما بقية القصيدة فكلها معان وأوصاف مكررة لما سبق ، وكما نلحظ أن الصور والمعانى فى القصـــيدة تقليدية وقد عرض سيرة المرثى وفضائله فى صورة شبه متكاملة • ومما يؤخذ عليه هو كثرة التكرار لبعض المعانى ، وعدم الترابط بينها فتارة يتحدث عن تقواه وورعه ويقفز منها الى الحديث عن شجاعته ليعود بعدها للحديث عما سبق عرضـــه وهكذا تتكرر لديه المعانى والأوصاف بسبب الاطالة وعدم الترابط بين الأفكار والمعانى ••• وقد صاغ كل ذلك بأسلوب سهل وان بدت عليه سمات الفقهاء ، كما تبدو فيـــه الركاكة الى جانب الضعف اللغوى •

ومن شعر الرثاء ومما يدخل ضمن المرحلة الأولى هـــذه القصيدة التى رثى بها الشاعر أحمد يوسف الجابر الشـــيخ حمد بن عبد الله آل ثانى بعد وفاته عام ١٩٤٧ م (٥٤) •

عَلَى رَغْم العُـــلَى حكَمَ القَضَاءْ
فسامِحْ لِلقِضَـــــاءِ كَمَا يَشاءْ
فلَسْنا نَحْنُ أوّلُ مَنْ دَهَتْـــهُ
صُروفُ الدَّهْرِ أوْ دَهمِ البَـــلاَءْ

---

(٥٤) القصيدة مخطوطة عند الشاعر ، وحصلت على نسخة منها ضمن مجموعة من القصائد التى لم ينشرها حتى الآن •

فلاَ تَجْــزَعْ لِمُقْلِقَةِ الرَّزَايا
رِزَايا الدَّهْر لَيْسَ لهاَ انتِهــاءُ
دُهينَا فى كَــرامَتِنا ومالَتْ
دعائِمُ مَجْـــدِنَا وَوَهى البِنَاءُ

فَـــلوْ بِحِراء مَا قَدْ حَلَّ زَالتْ
رَواسِــيهِ ومالَ بهِ حِراء
أيا حَمـــدَ العُلَى نادَاكَ ربٌّ
رَؤوفٌ حِينَ أسْمَعَكَ النِدَاءِ (٥٥)

وبعدها يبين الشاعر مكانة المرثى بين أصحابه وما كان يعقد عليه من آمال بين بنى قومه ٠

أبا الأشبالِ والأمَــلِ المرَجَّى
لَقَدْ أوْدَيْتَ وانقَطَــعَ الرَّجاءُ
لقدْ أشْعَرْتنَا حُـــزْنًا طَويلاً
يُهِيبُ بهِ الصَّباحُ كذَا المَسَاءُ
وقَــدْ حمَّلْتنَا عِبْئًا ثَقِيــلاً
يؤودُ لَهُ الكُفَاتُ الأقْوِياءُ
سَبَقْتَ مُبَرِّزًا وَجرَيْتَ عَفْــواً
إلَى الغَايَاتِ إذْ بَعُدَ المَدَاءُ
وقَدْ أتْعَبْتَ بعْدَكَ مَنْ تَمَشَّى
علىَ الآثارِ إذْ شَسَــعَ الخطَاءُ

---

(٥٥) والنداء : هنا بالنصب لأنه مفعول به ، فهنا اقواء وهو عيب من عيوب القافية ٠

سَعيتَ مُشمِّراً نَحوَ المَعَالِى
فلاَ كَلَلٌ هُنَاكَ ولاَ وَناءُ

هوَى القَمرُ المنيرُ على تمَامٍ
وحارَ النَّاسُ وانطَمَسَ الضِّيَاءُ

وقَدْ كُسِفَتْ بِنَا شَمسُ المَعَالِى
فَعَينُ المَجْدِ خالَطَهَا العَمَاءُ

ومَا كُنَّا نُؤمِّلُكَ اعْتِباطاً
تَمُوتُ بِنَا فيَشْمَلُكَ الفَنَاءُ

لقَدْ نِيطَتْ بِكَ الآمالُ حَتَّى
كأنَّ بقَاكَ لَيس لَهُ انْتِهَاءُ

أَقَلُّ النَّاسِ عُمْراً أكرموهُمْ
ويَعرِو الهدْم ما رَفعَ البِنَاءُ(٥٦)

لَقدْ قامتْ قِيامَتُنَا وأوْدَتْ
كرامَتُنَا وَحُقَّ لنَا العَزَاءُ

والقصيدة كما نرى تقليدية سواء من حيث الأوصاف التى يسوقها الشاعر وجمعها للمرثى وهى أوصاف عادية كلها شكوى من الدهر وأنه لا يبقى على حال ، وليس هناك أحد سلم من رزاياه ولكن الشاعر لم يكن ساخطا ومتبرما من ذلك وانما هو مؤمن بالقضاء والقدر . ثم يعدد محاسن المرثى ومآثره ومكانته والآمال المعلقة عليه . والحكم عند الشاعر قليلة فى مثل هذه المواقف التى يكثر منها فى الشعر بهدف التأسى والتخفيف من المصاب ومنها عند الشاعر قوله :

---

(٥٦) اكرموهم : خطأ نحوى الصواب أكرمهم .

« أقل النـــــاس عمرا أكرموهم
ويعـــرو الهـــدم ما رفع البنـــاء

ولعل التفجع والجزع والحزن عنده يأتى فى أوصـــاف معتـــدلة غير مبالغ فيها ٠ وأذا استثنينا بعض الصور التى ربما تكون نوعا ما خارجة على هذا الحكم وفيها شيء من المبالغة كقوله :

دهينـــا فى كرامتنـــا ومالت
دعائم مجدنا ووهى البنـــاء »

وقوله :

« فقدنا الدين والدنيـــا جميعا
بفقـــدك وانطـــوى ذاك اللواء »

والمعـــانى فى القصيدة كلها معان بسيطة وقريبة المأخذ ليس فيها عمق ٠ أما أسلوب الصياغة عنده فليس من القوة بمكان الى جانب أخطاء القافية واللغة الركيكة ، فالقصيدة يتساوى فيها الشكل والمضمون من حيث عدم بلوغها ما بلغته قصائده الأخرى من الاجادة ، والتى سوف نعرض لها فيمـــا بعد ٠ وربما ذلك يعود الى كون هذه القصـــيدة من بواكير انتاج الشاعر ، والتى لم يكن يملك فيها ناصية البيان بعد ٠

فن الغزل :

وشعر الغزل لم يأت مقصودا لذاته الا نادرا وغالبـــا ما يأتى النسيب فى مقدمة القصائد كما اتضح لنـــا عندما تحدثنا عن فن المديح ٠

فالقصائد الغزلية المستقلة قليلة وخاصة ما كان منهـــا باللغة الفصحى ، أما قصائد الغزل بالعـــامية فهى كثيرة ، وهى معظم ما اشتمل عليه ديوانا الفيحـــانى والخليفى من موضوعات غزلية جاءت فى قصائد مستقلة ومقتصرة على موضوع الغزل وحده ٠ أما بالنسبة للقصائد الفصيحة التى انفردت بالغزل لذاته فهى قصائد قليلة حفظها لنـــا ديوان الشاعر ماجد بن صالح الخليفى فى أربعة قصائد من هذا النوع وهى قصائد تقليدية أغلب الأفكار والصـــور فيهـــا مقتبسة من قصائد من الشعر العربى كما سوف يتضح لنا ٠

واذا تتبعنا شعر الغزل فى نتاج هذه المرحلة عند مختلف شعرائها فاننا ســـوف نجد أن هذه الأشـــعار بأفكارها ، وصـــــورها ، وأسلوب صياغتهـــا تقليدية بل ان أسماء المعشوقات ، وأسماء الأماكن أحيانا تكون أسماء تقليـــدية استهلكها الشـــعراء القدامى وعاد يجترها شعراء العصر الحديث ٠

والبعض يرى أن المقاييس الجمـــالية فى المرأة لا تكاد تتغير ، لذلك فلا مانع من أن تتحد هذه الأوصاف وتتكرر على مر العصور لدى الشعراء (٥٧) ، ولكن لنا أن نتساءل هل الأوصاف الحسية التى تعارف عليها العرب منذ العهـــد الجاهلى حتى الآن تعتبر هى المقياس الوحيد الذى يعرف به جمال المرأة ولم يتغير الذوق العربى على مر العصور ؟ ! واذا سلمنا بأن هذه الأوصاف التى اصطلح عليهـــا العرب هى مقياس الجمال فى المرأة ، فماذا نقول وكيف نعتذر عن

---

(٥٧) قصائد معاصرة من شعر الخليج العربى بين الأصالة والتقليد فى الصور الفنية ٠ د ٠ كامل عزيز البصير ٠ ص ٣٧ ٠

أسلوب المعالجة ، وطريقة الحوار ، وصور اللقاء بين المحب ومحبوبته هل هى كذلك لا يصح لها أن تتغير بتغير الظروف والحياة التى هى فى تطور مستمر ؟ . انه التقليد والجمود وعدم القدرة على الخلق والابداع أمور سيطرت على عقلية شـــعراء هذه الفترة فجعلتهم يجترون ما أبدعتـــه قرائح القدماء ، وما خلقته أخيلتهم التى كانت مرتبطـــــة بحدود مكانية وزمانية معينة . وهذا التقليـــــد والجمود هو الذى جعل الخليفى وابن عثيمين وغيرهمـــا يعيدون لنـــا أفكارا وصورا قديمة باسلوب قديم فكأننا ونحن نقرأ لهم نقرأ لابن أبى ربيعة أو امرىء القيس ، أو أبى فراس .

فأى صدق فنى وأى جديد أتى به ماجد الخليفى حين يعيد لنا صور ابن أبى ربيعة ومغامراته مع محبوباته فى عصور مضت ... ؟

يقول الخليفى فى احدى غزلياته :

وجه المليحة ذاك أم بدر الســـــما
وذوائب أم تلك ليـــل أظلما (٥٨)

أم ذاك برق قـــــد أنار الأفق من
لألائه أم ثغــــرها متبســـما

انســــية أم هذه حـــــورية
ملأ البســــيطة نورها فتقسما

حتى الغـــزالة أشرقت من نورها
والبدر ضــاء بنورها والأنجما

---

(٥٨) ديوانه ص ٩ .

لـكنها محجـوبة بكتائب
ونجائب يحملن أسـدا غشما

عجبـا لقلبى يا لهـا من جسرة
فى خيمة فيهـا الأعادى جثمـا

فى ليـلة قد غيهبت وتجلببت
بظلامها وسماؤها قد غيمـا

فاجأتهـا فتنبهت فى دهشة
وتزفرت لما رأتنى قائمـا

قالت ألا ليت المحبـة لم تكن
اذ جئتنى والنـاس حوله نوما

أرخصت نفسك فى الهوى وتركتنا
غرضا لقول الحاسدين اللوما (٥٩)

وهكذا نجد أن هذه المقطـوعة بكل ما تحمله من أفكار وصور مقتبسة من القديم ليس للشاعر فيها أى فضل يذكر ، فتشبيه وجه المليحة بالبدر وابتسامة ثغرها بسـنا البرق ، وسواد شعرها بحلكة الليل أوصاف شـائعة مبتذلة ، قد أعادها كلها فى أسلوب ركيك . أما منزل المحبوبة وما يحاط به من خدم وحشم وحراس ، ثم مغامرة الشاعر ومداهمتـه لخدر المحبوبة ووصوله لها ، ثم محاورته لهـا فانه واضح مجاراته واقتباسه لابن أبى ربيعة ، وسوف نوضح ذلك عند حديثنا فى الترجمة للشاعر ومدى تأثره بالقدماء .

واذا انتقلنا الى الغزل عند ابن عثيمين فانـنـا نجد أن ديوانه لا يحتوى على قصائد غزلية مستقلة لذاتها ، وانمـا يأتى الغزل عنده فى مقدمة القصـائد التى نظمها لأغراض أخرى . وهو فى غزلياته تقليدى أيضا سواء من حيث الأفكار

(٥٩) اللوما : الصواب اللوم لأنها نعت للحاسدين .

والمضامين أو من حيث الصـــور والأوصاف الحسية التى يرسمها للمرأة عنده ٠

ولكنه يمتـــاز عن غيره فى حسن الصياغة ، وجزالة الأسلوب ورصانته ، وقوة التراكيب ، وسلامة بنـــائها ٠ وابن عثيمين وغرامه بالتقليد يصل به الى درجة اسـتعارة أسماء محبوباته المصطنعات - من دواوين القـدماء فغزله صناعى لم يتجاوز اللسان عنده الى العاطفة ، ولكنه على الرغم من تلك الروح التقليدية ، والأوصـــاف الحسية التى شاعت فى غزله الا أنه كان بعيدا عن التهتك والمجون ،وأقرب الى الشعر العذرى العفيف الذى يصف المحبوبة وصفا حسيا ولكن دون تبذل وفحش ٠

وهكذا نرى الروح التقليدية عنـد ابن عثيمين حين يقف على دار مية وقد غيرت الرياح النواسف معـالمها وأخذت عيناه تسبل الدموع ، وهو لفرط شوقه لمعرفة أخبار المحبوب يتطفل على تلك الأحجـــار الصماء وسـؤاله لهـــا عن المحبوبة (٦٠) ٠

وقفت على دار لميـــة غيرت
معالمها هوج الرياح النواسف (٦١)

فأسبلت العينان دمعـــا كأنه
جمان وهى من سلكه مترادف (٦٢)

أسائلها عن فرط ما بى واننى
بعجمة أحجار الديار لعـــارف

---

(٦٠) ديوانه ص ٤١٦ ٠

(٦١) هوج الرياح : جمع هوجاء وهى الرياح الشديدة ٠

(٦٢) جمان : خرز يتخذ من اللؤلؤ ٠ وهى : سقط ٠

أما أوصاف المعشوقة عنده فهى :

لعهدى بها بيض أوانس كالدمى
غرائر عما لا يحل صــوادف (٦٣)
اذا ما سحبن الأتحمى تمايلت
غصون النقا مالت بهن الروادف (٦٤)
وفيهن مقلاق الوشـــاح كأنها
قضيب اذا ماست من ألبان وارف (٦٥)

ففتاته صغيرة السن بيضاء جميلة كالدمية ، وهى صادفة ممتنعة عن الحرام وما لا يحل لها · كبيرة الأرداف ، رقيقة الخصر معتدلة القوام ··

وبعدها يعود ليبث الشكوى والأنين لبعد الحبيب وتعذر الوصول اليه ، ثم يردد أسماء أماكن طالما حفلت بها أشعار الأقدمين ··

ألا ليت شـــعرى أين منى مزارها
وقد حالت الصمان دونى وواصف (٦٦)
أظل نهارى أنكت الأرض واجمـــا
وفى كبدى بالليل تحمى المراضف (٦٧)
وأجهد يوم البين ان يظهر الهوى
وقد أعلنته الساجمات الذوارف (٦٨)

---

(٦٣) صوادف : جمع صادفة : منصرفات ممتنعات ·

(٦٤) الأتحمى : الثوب المنقوش · الروادف : جمع ردف ، وهو العجيزة ·

(٦٥) مقلاق الوشاح : يضطرب حزامها لضمور كشحها ورقة خصرها ·

(٦٦) الصمان وواصف : أسماء مواضع ·

(٦٧) المراضف :.الحجارة المحماة بالنار ·

(٦٨) الساجمات : الدموع ·

واني وان كانت الى الغــــور نيتى
لفى الربرب النجدى للقلب شاغف (٦٩)

أقول لركب يممـــوا قلة الحمى
على شد قميات طوتها التنائف (٧٠)

قفوا حدثونى عن أجـارع رامة
عسى انبجت فيها السحاب العواطف (٧١)

وهل أمرعت أجراع لعلع بعدنا
وهل رددت فيها اللحون الهواتف (٧٢)

سقى هضبات بعد ما وان فى الحمى
من المزن ثجاج العزالى واكف (٧٣)

وجاد ربوعا باللوى كل مطفـــل
أجش هــــزيم ودقه مترادف (٧٤)

وهكذا نجد أن وقوف ابن عثيمين على الأطلال ومناجاته لها وسكبه الدموع عليها ، مجرد مجاراة وتقليد للأقدمين ، دون احســـاس بتجربة ولا معاناة لعـــاطفة · أما بالنسبة للأوصاف والصور الفنية التى تدور فى مقدماته الغزليـــة فهى أوصاف حسية محضة استعارها من أشعار الأقدمين ، فأجاد فى تنسيقها وصياغتها ، وقد تكون هذه الأوصـــاف

---

(٦٩) الربرب : جماعة الظباء ، ويقصد به الفتيات الحسان · شاغف : مشغول·

(٧٠) قلة الحمى : اسم موضع فى عالية نجد · شد قميات : نجائب منسوبة الى شد قم ، وهو فحل معروف عند العرب ·

(٧١) أجارع : جمع أجرع المكان المتبسط · رامة : موضع معروف فى نجد ·

(٧٢) أمرعت : اخصبت · لعلع : اسم موضع ·

(٧٣) ما وان : اسم مورد فى عالية نجد · العزالى : جمع عزلاء وهو مصب الماء من القربة والراوية ·

(٧٤) اللوى : اسم موضع · مطفل : مظلم · أجش : غليظ · هزيم : صـــوت الرعد · ودقه : مطره ·

والصور والمضامين تتفق نوعا ما وأذواق النـــاس فى تلك الفترة حيث كانت أساليب الحياة والبيئة التى عاش فيهـــا الشاعر قريبـــة نوعا ما ، من البيئة التى نشـأت فيها تلك الأشعار فى عصورها الماضية ٠

أغراض وموضوعات متفرقة :

وهناك بعض الموضوعات التى تناولها الشعراء فى هذه المرحلة ، ولكنها موضوعات لم يكثروا منها فى أشعارهم ، من هذه الأغراض ٠

تلك الأشعار ذات الطابع السياسى والتى جاءت على شكل نقائض ومهاجاة ، وهى مساجلات كانت تدور بين الشـــاعر القطرى أحمد يوسف الجابر ، وبعض الشعراء البحرانيين، نظرا لما كان يدور بين هذه البلدين الشـــقيقين من خلافات طارئة حول بعض الأمور التى تتعلق بالحدود الاقليميـــة فى الماضى ، وكان بودنا أن نغفل هذه الأشعار ، لما قد تثيره من بعض الحساسيات ، ولكن نظرا لأننا بصدد الدراسة العلمية التى لابد أن تتوافر فيها الدقة ، والاحاطة والأمانة العلمية ولاعتبار هذه الأشعار جزءا من نتـــاج هذه المرحلة الذى لا يصح تجاوزه ، أو اغفاله ، كان يتحتم علينا أن نشير الى هذه الأشعار اشارة خاطفة ، غير متعرضين لدقائقها ، أو ما يثير الحساسية فى بعضها ٠

فمن هذه الأشعار ما نظمه الشاعر أحمد يوسف الجابر فى عدة قصائد وكان فى احداها يرد على قصيدة الشـــاعر البحرينى محمد ابراهيم آل خليفة التى يقول فيها : (٧٥)

---

(٧٥) دار المعانى فى مدح آل ثانى ج ١ ص ١٧٤ ٠

لئن كابروا فى الحق فالله أكبر
وان جحدوا الماضى فللناس تذكر

وان حاولوا أن ينكروا أو يغالطوا
فان من الأشـيـاء ما ليس ينـكر

وليس (الزبارى) وحدها لك تابع
وليس نعيم وحدهم لك عسكر (٧٦)

فأجابه الشاعر أحمد يوسف الجابر قائلا : (٧٧)

منال العلى صعب المراق وأوعر
وبحـر الأمانى لا ينى الدهر يزخر

ومن عجب الأيام والدهـر كله
له عجب يعنى به من يفـكر

وذو الجهل لا يعبا بشىء يقـوله
ولا هو من أحمـوقة الجهل يقصر

وللخير أسـباب وللشر مثلها
وكل لما يهـدى اليـه مدبر

عجبت لأقـوام تجنى سـفيههم
ولم يلف يوما من يرد ويزجر

على نفسها تجنى براقش انها
مبادىء جهل وهى بالسوؤ تنذر

---

(٧٦) الزبارى : مدينة الزبارة · نعيم : احدى القبائل التى كانت تقطن مدينـة الزبارة وما حولها ·

(٧٧) المصدر السابق ص ١٧٩ ·

يقول جهـــول راكب غلواءه
الى الكذب مسراع عن الصدق مدبر

« وليس الزبارى وحــدها لك تابع
وليس نعيم وحدهم لك عسكر »

لعمرى لقد أبعدتم النفس نجعة
وحملتموها فوق ما الوسع يقدر

ومنيتموها ضلة حين رمتمـــو
محالا ونفس السوء بالسوء تأمر

وألزمتموها ملزما لا تطيقــــه
تنـــوء اذا ما حملت ثم تعثر

أما كان فيما بينكم عنه مدحة
فيشغلكم أو ينذر الشر منـــذر

ثم يتطرق الى الفخر بأمجاد قطر وموقفها فى الدفاع عن أرضها ، وبسالة شعبها :

ظننت (الزبارى) بالأمانى دركها
ولما يكن يوم من الشر يذكر

بجمع ترى فيه الفوارس حسرا
ورمية من جوفها النار تسعر (٧٨)

وسوقا ترى فيه المنـــايا رخيصة
وموت الفتى فى ســاحة العز أفخر

---

(٧٨) الرومية : البندقية ٠

وأرضا بها مور الدماء كـأنه
عصارةفرصاد بهاحين يعصر(٧٩)

لدى موقف لو كنت شاهد بأسه
تذكرت عيشا قد مضى ليس يعمر

والقصيدة طويلة تبلغ تقريبا مائة وثلاثة أبيات ٠ وكمـا ذكرنا أن القصيدة موضـــوعها ســـياسى وهى رد ونقض للقصيدة السابقة ، ولكن الشاعر أفاض فيها بالفخر وهـو أمر مرتبط بمثل هذه المواقف كما تطرق الشـاعر الى مدح الشيخ عبد الله بن قاسـم ، فى صـورة فخـــر واعتزاز به وببطولته وشجاعته :

حذاركم ليث العـرين وخيسـه
وأن يذكرن أرض الزبارة ذاكـــر

فما هـــو الا الليث فى وثبـــاته
فلا تحسـبنه ضاحكا حين يكشر

له صـدمات أرغمت من عـداته
معاطس قوم شأوها عنه يقصر

« أبا حمد » فرد الملا من رقى العلا
بعزم الى أوج العلى متسـور

سمت فى ذرى عليـاء سـعد فروعه
الى منتمى عنـه الأمانى تقصر

---

(٧٩) الفرصـاد : التوت ٠

الى جبـل الحلم الذى لو تزلزلت
جبال المـلا بالجهـل لا يتفطـر

الى معشر قيس بن عاصم منهم
كذا (أحنف) ثم (ابن صيفى) يذكر

وذو القوس منهم (حاجب) ثم بعده
الى (قاسم) والعود من حيث يعصر

أولئك أقطاب الرياسـة والالى
اذا استجهلوا لم يرج للحلم معشر

ثم يذكر بعض المواقع والمعارك التى خاضتها قطر وظهرت فيها منتصرة ، على كل من عاداها ، فلم يعتد معتد الا أخذوا بثأرهم منه ، ولم يسبقهم فى حلبة المجد سابق بل هم دائمـا فى المقدمة ، وسباقون لـكل مفخـرة ، على الرغم من أنهم بأرض لو كان فيها غيرهم لما استطاع البقـاء فيها ، نظرا لما تتعرض له البلاد من هجمات معادية متكررة فهم فى حروب مستمرة ٠

وهل فاتنا فى سـابق الدهر واتر
فيهـدره قـوم علينـا ومعشر

وهل فاتنا فى حلبة المجد سابق
بلى : سـابق منا أغـر مشـهر

وهل رامنا قوم ففازوا بمـكرهم ؟
أتاهم ضحى دركا يذل ويقهر(٨٠)

---

(٨٠) دركا : الضرب المتتابع والسريع بالسيف ٠

وانا بأرض لو بهـــا كـــان غيرنا
لولوا شـــلالا قبل يســفروا (٨١)

وارض عمان قــد أبدنا سراتها
وساحة(خنور) بهاالنار تسعر(٨٢)

وأبناء « يام » قد أبحنـــا حــلالهم
ألا فاسأل التاريخ انكنت تنكر(٨٣)

والقصيدة كما ذكرنا موضـــوعها سـياسى ، وهى نقض لقصيدة الشاعر البحرينى الآنفة الذكر ، ولكن الجـابر قـد طال نفســـه ، وحشـــد فيها الكثير من المعـانى والأفـكار كالفخر والاعتزاز بالنفس ، ثم هجـاء للطرف الثانى ، لينتقل بعـدها لمديح حاكم قطر آنذاك · وكل هذه المعـانى والأفكار تتمشى مع الموضوع الرئيسى للقصيدة · والقصيدة بعد ذلك وسط من حيث قوة المعانى وعمقها وتنـوع الأفكار فيهـا · أما الصياغة عنده فهى وســط بين الجـزالة والســهولة · والصور والأوصاف عنده تقليدية فى الغـالب نحـو (ليث العرين وخيسه) والخيس هنا غابة الأسد ·

« ويجـــرع من كأس الهـــوان أمرها ···) وطيف الأمانى ··· الخ ·

وان كانت هناك بعض الصور ، والأوصاف الجديدة قد أتى بهـا الشاعر في القصيدة نحو (وســوقا ترى فيه المنايا رخيصــة) ·

---

(٨١) شلالا : متفرقين · جهمة : الجهمة الظلمة والعتمة ·

(٨٢) خنور : اسم موقعة · وقعت بين قطر وأهل عمان ·

(٨٣) يام : اسم قبيلة عربية فى عمان حاربت أهل قطر وانتصروا عليها ·

حيث صور ساحة المعركة وبذل الأبطال أرواحهم فيها ٠٠ بالسوق التى تعرض فيها البضائع للبيع ٠

ومن الصور الجديدة عنده أيضا قوله :

فلو أننا والحـــق صحـــو سماؤه
ولما يكن غيم السياسة يمطر (٨٤)

فالحق هنا فى صـــورة مجسدة له ســماء وهذه السماء صافية وهو كناية عن وضوح الحق وظهوره ٠ أما السياسة فانها لها غيم ممطر وهذا كناية عن تداخل الأمور فيها وعدم وضوح الرؤية ٠

وهكذا نرى أن القصيدة وســـط بين التقليدية والجـــدة سواء من حيث الشكل أو المضمون الذى تحمله كما اتضح لنا من عرضنا لهـــا ٠ فهناك الموضـــوع القـــديم الجديد قديم لأنه قد عرفه الشعر العربى منـــذ العصور الاسلامية وخاصة النقائض فى العصر الأموى الى جانب الشعر السياسى الذى يدور حول احتجاج كل خصم لصاحبه وتفنيد مزاعم الآخر ٠ أما جدة الموضوع فلأنه حديث الساعة التى نظم فيها ، وكون الأفكار فيها تعبيرا عن مشكلة عصرية عايشها الشـــاعر ، وللشاعر مجموعة من القصائد التى تدور حول مثل هـــذه الموضوعات (٨٥) ٠ وسوف يكون الشاعر وشعره موضع حديثنا فى موضع لاحق ٠

ومن الموضوعات التى طرقها الشعراء فى هـــذه المرحـــلة شعر المراسلات ، منها هذه القصيدة التى بعث بهـــا ماجد الخليفى ردا على رسالة شعرية من أحد أصدقائه :

---

(٨٤) المصدر السابق ص ١٨١ ٠

(٨٥) المصدر السابق جـ ٢ ص ٩ وما بعدها ٠

أهلا وسهلا بالكتاب الطارق
اذ قد أتانى من صديق صادق
أهدى الى رسالة من حسنها
أذرت بحسن الغانيات الفائق
فكأنما ألفاظها درر على
لبات خود من بنات الطارق
وكأنها لما تأرج طيبها
زهر يفوح بنشره للناشق
فلكم حوت من نكتة
وفضائل ومسائل ودقائق (٨٦)

وهناك بعض المقطوعات والأبيات التى كان يبعث بها الشاعر ابن درهم لأحد أصدقائه أثبتها فى مؤخرة كتابه (نزهة الأبصار) (٨٧) ، منها :

فارقتكم وبقلبى من فراقكم
ما ليس يوصف من هم ومن حزن
أشكو الى الله ما بالقلب من ألم
فهو المرجى لكشف الضر والمحن
كيف السلو وعينى لا يلذ لها
نوم وقلبى لايخلو من الشجن (٨٨)

وهناك شعر الألغاز الذى أكثر منه الطباطبائى (٨٩) ، وطرقه الخليفى فى مقطوعات معدودة (وبالعامية) (٩٠) ، حيث كان شعر الألغاز ظاهرة منتشرة بين الشعراء فى تلك الفترة ، وكانوا يتبارون فى كتابتها ويتسابقون فى حلها ٠

---

(٨٦) ديوان الخليفى ص ٤٩ ٠

(٨٧) المصدر المذكور ص ١٠٦٣ وما بعدها ٠

(٨٨) المصدر السابق ص ١٠٦٥ ٠

(٨٩) روض الخل والخليل ديوان السيد عبد الجليل ص ٤ ٠

(٩٠) ديوان الخليفى ص ٧٩ ٠

واذا كان الشعراء فى هذه المرحلة لم يخرجوا عن موضوعات محدودة وتقليدية كانت شائعة فى الشعر العربى ، فانهم كذلك لم يستطيعوا أن يتجاوزوا معظم الأفكار والصور الفنية التى ورثوها عن القدماء ، فكانت أشعارهم صورة لعصور مضت ، وصدى لأزمان خلت ، وان تفاوتوا فى ذلك قوة وضعفا واجادة واساءة ، فمن المعروف أن المجتمع القطرى أكثر التصاقا بحياة البحر منه بالصحراء بالرغم من أن قطر ذات صلة بالصحراء ، الا أن البحر كان هو المصدر الرئيسى للرزق فى تلك الفترة ، وقد عمل به بعض هؤلاء الشعراء بصورة مباشرة ، كما هو الحال بالنسبة للخليفى ، أو غير مباشرة بالنسبة لابن درهم ، وابن عثيمين ٠٠٠ الا أننا مع ذلك لا نجد للبحر أى صدى فى أشعارهم ، فمعظم صورهم ومعانيهم مرتبطة بالصحراء ٠ وما ذاك الا نتيجة لانحصار تأثرهم فيما قرأوه من دواوين الأقدمين ، ووقوفهم عند هذه المعانى والصور وتمثلهم لها ، دون أن تكون لهم نظرات خارجية تسبر ما حولها وتتعمق فيه وتتأثر به وتؤثر فيه ، وهنا يكون الابداع والأصالة فى الفن ٠

الفصـــل الثــانى

الشعر فى المرحلة الثــانية

المرحلة الثانية هى المرحلة التى بدأت مع الانتقالة الكبيرة من حياة تقليدية الى حياة عصرية حديثة تغيرت فيها معظم المفاهيم والأعراف التى كانت ســـائدة فى مجتمـع ما قبل النفط كما أشرنا سابقا ٠ ونتيجة لهذا التغيـر الكبيـر الذى شمل الحياة المادية والفكرية ، فقد أخذ الجيـل المعاصر يتأثر بالحياة الثقافية المعاصرة بجميع فروعها ومن ضـمنها تلك المذاهب الفنية والاجتماعية التى ظهرت فى فن الأدب ، وأخذ الشباب يتمثلون ويحاولون تقليدها والجرى على منوالها ٠ وان ظلت طائفة من الأدباء تحاول الالتزام بالموروث القـديم والتمسك به ، وان قبلت بالجـديد فعن تحفظ وحـذر بحيث لا يمس جوهر الموضوع ، فكان تجديدها فى الموضـوعات والمعانى أما الناحية الفنية فقد التزمت بالموروث وكان نتيجة لذلك أن ظهر فى هذه المرحلة اتجاهان : اتجاه محـافظ ، واتجاه مجـدد أو مدرسـتان مدرسة محـافظة وتقليدية ٠ ومدرسة مجددة ٠ والأخيرة نطلق عليها هذه التسمية تجاوزا فهى فى الحقيقة ليست مدرسة ، لأن المدرسـة لابد أن تكون لها قواعد وأصول ومعالم تسير على نهجها ، وهذه المجموعة لم تتوافر لها القدرة على ذلك فهى فى مرحلة النمـو ولم تتضح بعد اتجاهاتهم ٠ ولم يكتمل النضج الفنى لدى هـذه المجموعة ، وانما كل ما فى الأمر هو أنه هناك نزعة تجديدية تحاولها هذه الجمـاعة ٠ متأثرة بالاتجـاهات والمذاهب الأدبية الجديدة من رومانسية ، ورمزية بالاضـافة الى التجـديد الفنى من حيث الخـروج على الأوزان التقليدية المعروفة وظهور ما يعرف بالشعر الحر أو المرسل ٠ وسـوف

يتضح هذا الاتجاه فى الصفحات القادمة عندما نتحدث عن هذه الحركة ونصيبها ومكانتها فى الشعر فى هذه الفترة ٠

أولا - المدرسة التقليدية :

وهى امتداد للمرحلة الأولى حيث أن اتجاه المحافظة على الموروث القديم من الناحية الفنية هو الأساس الذى جرى عليه الشعراء فى هذه المدرسة ٠

وان كانوا قد جددوا فى الموضوعات ، والمضامين ، وفى مقدمتهم الشاعر عبد الرحمن المعاودة الذى يعتبر أحد رواد الحركة الاحيائية فى البحرين (١) ، والمعاودة لم يتوقف عند الموروث القديم من حيث الموضوعات ، بل ان له بعض الموضوعات التى تعتبر جديدة بالنسبة للشعر العربى كالشعر المسرحى ٠ وسوف نتحدث عن ذلك بتفصيل أكثر عند الترجمة للشاعر فى موضع لاحق ٠ وسوف يكون جل اهتمامنا بشعر المعاودة هو ما يتعلق بقطر ، وهى الأشعار التى نظمها بعد نزوحه واستقراره فيها ، وأغلب نتاج هذه المرحلة عنده لا يتعدى الموضوعات التقليدية ، بل لا نبالغ اذا قلنا أنه قد حصر نفسه فى شعر المديح - والمناسبات كما سيتضح لنا ٠

ومن شعراء هذه المدرسة الشاعر أحمد يوسف الجابر ، وهو شاعر مخضرم كالمعاودة شمل شعره المرحلتين وقد عرضنا لبعض أشعاره فى المرحلة الأولى ٠

---

(١) الشعر المعاصر فى البحرين من ١٩٢٥ - ١٩٧٥ م (رسالة ماجستير) علوى الهاشمى ص ٣٧١ ٠

ولكن نجد أن الجابر أكثر تقيدا بالموروث وأشد محافظة من المعاودة ، وربما يعود ذلك الى نوعية ثقـافة كل منهما ، فالمعاودة أكثر تأثرا بالحياة الثقافية المعاصرة ، وذلك نظرا لأنه عاش فى بيئة أكثر تطـورا وأسبق فى الأخـذ بالتعليم الحديث من البيئة التى عاشها الجابر ، وقد فصلنا ذلك فى فصل سابق ، وسوف يتضح أيضا عند الترجمة لكل منهما فى باب لاحق ٠

ومن شعراء هذه المدرسة (الدكتور حسن على نعمة) (٢) وهو من الشباب المثقف ثقـافة حـديثة ، ظهر أثرها الى حد كبير فى أسلوبه الشعرى ، وان ظل متمسكا بالتقليد الموروث فى نظام القصيدة ، ووزنها وقافيتها ٠

أغراضها وخصائصها :

وأغلب الموضوعات والأغراض التى تناولها شـعراء هذه المدرسة ، هى شعر المناسبات ، ويشمل المناسبات الدينية ، والوطنية ، والتهنئة بالأعيـاد ونحـو ذلك مما يتخـذ منـه الشعراء منطلقا فى الغالب الى المديح ٠ ويأتى بعـد ذلك فن الرثاء ، الى جانب بعض الموضـوعات التى تعتبر جـديدة بالنسبة للشعر فى المرحلة الأولى ، وهى الأشعار التى تتصل بالقضايا العربية والقومية ، وقد ظهر ذلك بوضـــوح عنـد

---

(٢) الدكتور : حسن على نعمة من مواليـد ١٩٤٣ م تلقى تعليمـه الاولى فى مدارس قطر ، ثم اكمل دراسته الجامعية فى لبنان ، حيث حصل على درجة (الليسانس) فى اللغة العربية من (جامعة بيروت العربية) ٠ ثم سـافر فى بعثة دراسـية الى بريطانيا ، وحصل فى عام ١٩٧٥ م على درجة (الدكتوراه) فى الادب العربى من جامعة (كيمبردج) ، ويعمل الان سفيرا لقطر لدى جمهورية الهند ٠

الشاعر عبد الرحمن المعاودة . الى جانب بعض القصـــائد الغزلية وهى من الموضــــوعات التقليدية ، ولكنها ظهـــرت بصورة ضئيلة للغاية ، كما ســوف يتضح .

وهذه الموضوعات على الرغم من أن معظمها موضوعات تقليدية ، الا أن هناك تجديدا فى الأفكار والمضــامين وبعض الصور والأوصاف ، كما سوف يتضح لنا عند عرضنا لهذه النماذج . وذلك راجع الى تأثر هؤلاء الشـــعراء بالثقافة الحديثة ، وما جد فيهـا من أفكار ومعان ، ثم ما تبعه من تغير فى بعض القيم والمفاهيم ، ويمكن أن نميز هذه المدرسة فى هذه المرحلة عن المرحلة الأولى بأن الأخيـرة كانت تقليدية بحتة وأن هذه المدرسة التى نتحدث عنهـا الآن جمعت بين القدم والمعاصرة ، أو بين التقليد والتجديد ، مما يطلق عليه اسم الكلاسيكية الجديدة .

شـعر المناسـبات :

فمن شعر المناسبات تلك القصــــائد التى كانت تلقى فى الاحتفالات الدينية كالاحتفال بالعـــام الهجـرى . ومن خلال هذه المناسبات نرى الشــعراء ينطلقون بآرائهــم وأفكارهم الاصلاحية التى يبثونها من خلال هذه المناسبات . ومن هذه الأشعار نذكر نموذجين من قصيدتين قيلتا بمناسبة الاحتفال بالعام الهجرى ١٣٦٨ هـ الأولى للشاعر عبد الرحمن المعاودة والثانية للشاعر أحمد يوسف الجــابر . وســوف أنقلهما كاملتين لسببين :

الأول : أن هاتين القصيدتين غير منشورتين .

والثانى : أنى أريد أن أجرى نوعا من المقارنة والموازنة بينهما ٠

يقول المعاودة : (٣)

قد أقبلت فى روعة وجلال
غراء يبهر نورها المتلالى
طلع الهلال مهللا لقدومها
فكأن ذاك براعة استهلال
واذا الأذان بنا تعالى داعيا
لله ذكرنا أذان بلال
والذكريات تخطرت نفحاتها
رسلا من الأسلاف للأجيال
فكأنما فى الصدر من تاريخنا
الزاهى وبين كتائب الأبطال
يمشون حول محمد لجهاده
من دون ما نصب ودون كلال
ورفيقه فى الغار ثم صحابه
من أقربين أجلة أو آل
فمحمد علم الهدى ومناره
فخر الحنيفة كاسر الاغلال
خير النبيين الكرام وخير من
فى العلم أصبح مضرب الأمثال
لما مشى القرشى فوق ربوعنا
بزغ الهدى من بعد ليل ضلال

(٣) القصيدة مخطوطة لدى الشاعر ٠

وتلفتت كل البسيطة للذى
نادى بدين الواحد المتعال

فرد تناوئه الحشود جميعها
وتثير ما تستطيع من أهوال

لكنه بالله وهو وليه
قد نال ما يرجوه من آمال

فاذا بليل الجاهلية قد مضى
وبدا الصباح بنوره المتلالى

يا أيها المبعوث خير مهاجر
لله لا لتجارة أو مال

صلى عليك الله يا علم الهدى
فخر العروبة باهر الأفعال

سعيا بنى الفصحى لبعث تراثنا
مستمسكين بوحدة الآمال

أسلافنا بلغوا السماك بعزمهم
وطبائع الآساد فى الأشبال

فالنصر معقود لمن هو آخذ
بالصدق فى قول وفى أعمال

سيروا بهدى الله جل جلاله
متجنبين مسالك الجهال

ودعوا الدخيل فانه فى الشعب
كالسرطان لا يبرى بلا استئصال

والداء يخبو فى البداية شره
لكنه ان دام فى استفحال
واذكر فلسطين السليبة انها
نهب العدى وفريسة الأنذال

أسفا ونحن من المحيط الى هنا
متنافرون مفككو الأوصال

واذا رداء المجد حل به البلى
أضحى على أهليه كالأسمال

والحمد لله العظيم وانه
نعم الكفيل مقدر الأفضال

والقصيدة كما نرى لم تعرض بصورة تفصيلية تاريخية الى حادثة الهجرة • وانما مر الشاعر بذلك مرورا عابرا، فالعام الهجرى عنده يذكره بصدر التاريخ الاسلامى ومجده التليد ، ثم يذكر أولئك الرجال الذين جاهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم دون كلل أو نصب ، ثم يذكرنا بصاحبه وهو معه فى الغار ، ثم ينطلق الى مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفضله فى نشر الرسالة ، وبناء مجد الأمة ، كل ذلك فى صورة موجزة • ليلتفت بعدها الى حاضره وواقع الأمة العربية وما هى عليه من واقع أليم ، فيدعو شبابها الى الاقتداء بالسلف الصالح ، وبعث تراثهم وأمجادهم •

سعيا بنى الفصحى لبعث تراثنا
مستمسكين بوحدة الآمال

ثم يشير الى خطر الدخلاء والمستغلين ، الذين يمتصون

خيرات هذه الأمة · فيصورهم بمرض السرطان الذى لايرجى شفاؤه الا باستئصاله · ثم يذكرهم بقضية (فلسطين) السليبة · وما هم عليه من تفكك وتخاذل وتنافر فيما بينهم يشغلهم عن قضاياهم المصيرية ، وما يحاك لهم · فالشاعر هنا لم ينقل لنا صورة تاريخية مفصلة عن حادثة الهجرة، ويعرضها علينا كما يفعل المؤرخون ، وانما اتخذ من المناسبة منطلقا ليعبر به عما يجول بخاطره ازاء الواقع المعاصر · وهذا هو الجديد فى شعر المناسبات ، والذى امتاز به المعاودة فى معظم أشعار المناسبات ·

والقصيدة الثانية للشاعر أحمد يوسف الجابر وتدور حول نفس الموضوع وهو حادثة الهجرة وألقاها فى نفس عام ١٣٨٦ هـ بهذه المناسبة · وسوف ننقلها كاملة للسبب ذاته · وقد التزم الجابر فى قصيدته هذه موضوعيا ، فكانت القصيدة نظما تاريخيا ، وتصويرا واقعيا لحادثة الهجرة كما هى ، ولم يتدخل الشاعر فى الموضوع لا من قريب ولا من بعيد ·

يقول الجابر :

ثوى المصطفى يدعو ثلاثا وأربعا
وستا فلم يقدر له ما تمناه

ولما تمادى ضاق ذرعا بأمره
دعا الصادق الوعد العظيم فلباه

وأصبح مسرورا بأمر يؤوده
ثقيلا بأعباء الذى كان أخفاه

فبادر والتوفيق يجمـــع رحـلـه
ويسـألـه الصديق صحبة مسراه

وأوصى عليـا بالأمـانة أنـه
أمين بمـا أوصى اليـه وأداه

وبات على فوق مضـجعه الذى
تمهـد بالتقوى رداء وسـجاه

وأسرى به من خوخة مثلما سرى
البراق الى أعلى السماء فأدناه

ويحثو على الكفار اذ يحرسونه
ترابا على تلك الوجـوه وذراه

وترحل والصـديق حـول ركابه
يوم به الغار الذى طاب مثواه

أقام ثلاثا وسطه غيـر معجـل
كما عميت عين الذى كان يخشاه

وسدت عليه العنكبوت وألحمت
حجابا فضل الشرك فى بعد مثواه

وقد أحكمت فيه الحمـامة عشـها
فأبعـد عنـه كلما ظن أعـداه

فصـاحبه الصديق فى الغار ثانيا
وثالثـه الله الذى كـان مولاه

وأصبح يقفـو اثره أبن فهيـرة
بأغنامه استخفى طريقا فعفـاه

يروح عليه بكرة وعشية
بأرغد عيش يوم ذاك وأهناه

وبعد ثلاث جاءه ابن أريقط
مطايا أعدت طاب مسرى ومغداه

وأعوزهم فيها عصام فشاطرت
نطاقا لها أسماء لله أسماه

فقد عميت عنه العيون وأصبحت
تجوب به الأرض الفضاء مطاياه

وأدركهم من بعد لأى سراقة
بظهر جواد ساخ فى الأرض رجلاه

فآمن بالوعد الذى جاء صادقا
ليسلب من كسرى الملوك سواراه

وكر على أدراجه بعد ما رأى
بوادر أمر أن ستظهر عقباه

ومنها آغذ السير يقصد طيبة
ومن حوله الصديق يكتنف جنباه

طريقهما يأتى على أم معبد
لدى خيمة بالبر قام عموداه

وقد طرحا فيها الرحال استراحة
ليتقيا لفح الهجير ورمضاه

وقد طلبا منها الطعام ولم يكن
لديها طعام مثل ما تتوخاه

فلله كم من آية ظهـــرت بهـا
ومن معجز قد حـار فيه دليلاه
وعند قيام الشاة بالرســل آية
تدل على الأمر العظيـم ومغزاه
ولما بدت أعلام طيبـة وانتحى
به السير قصـــدا حيث يممه الله
أقام قليـــلا للســلام وأشرقت
به الساح وازدانت بنور محياه
يظلله الصـــديق فضـل ردائه
يقيه أوار الصيف قام فصيلاه
فمال يمينـا جيث كـان نزوله
بأرض قباء اذ تبوا ســـكناه
وخص به كلثـــوم أول وهـلة
بعمرو بن عوف حيث قـدر مثواه
وأسس بالتقـوى لأول مسـجد
بعرصتها اذ شيد الله مبنـاه
أقام به عشرا وأربـع بعـدها
وواصل من بعد الاقامة ممشاه
وجاءت به الوجناء ترخى زمامها
وقد حمدت بعد السرى غب مسراه
فمرت على الآطال والكل منهمو
يود بأن يحظى بخيـر ترجاه
تبادره الأنصار من كل جـانب
وقد عمت البشرى فأعظم ببشراه

يقولون يا خير البـرية كلهـــا
ويا خير من تمشى على الأرض رجلاه

هلم الينا فى العــديد وفى الغنى
فانا لأهل أن تشرف مثـــــواه

فقال دعوها والطريق فانهـــــا
لمأمورة تمشى لما ليس تهـــواه

فغادرها والسير تمضى لما ترى
وذلك فى سمع الاله ومـــــرآه

وآل بهـا التطواف مربد فتيــة
وخص بهـذا الفضل منه يتيماه

سهيلا وسهلا خير من باع أو شرى
وأمهمــــــا عفراء لله عفـــــراه

أناخت فألقت رحلها عند خالد
فيـــا خير ما يهدى ويا فخر مهداه

وأضحى بنو النجـــار أخوال جده
يعمهم فضـــل الاله ونعمـــاه

وأصـلح ما قد كان من ذات بينهم
وأنقذهم من ظلمة الجهل اذ تاهوا

وقام بنشر الدين بين ربوعهم
بلا خشية اذ أرغم الله أعداه

ووطد للاســـــلام أكبر دولة
فطبق شرق الأرض منهـا وغرباه

عليه ســـلام الله ما ذر شـــارق
وما أغسق الليل البهيم بظلمـــاه

كذا الآل والصحب الكرام ومن همو
على هديه ســـــاروا ومن يتولاه

واذا أردنا المقارنة بين الشاعرين فى هذا الموضـــــوع ، فاننا نجد أن الجابر قد التزم بالجانب التاريخى ، ونقل لنـــا حادثة الهجرة كما ترويهـــا كتب التاريخ ، دون أن يعطينا مغزى جديدا ، أو يضيف معنى الى المعـــــانى المعـــروفة الظاهرة · فكان عمله كالمرآة التى تنقل لك الصورة كما هى دون أن تزيد أو تنقص منها · وليست هذه مهمة أو وظيفـة الفن التى يتوقف عندها ، انما وظيفته فى أن يعطيك جديدا ســـواء كان هذا الجديد مفيـــدا ، أو خلافه ، ويضيف على الواقع الذى يصـــوره لك فيمتعك سواء كانت هذه المتعـة والفائدة مادية ، أو معنوية · المهم أن تشعر أن لهذا الفن مهمة أو هدفا يسعى له ، ويستوى بعد ذلك أن يتفق ذلك مع اتجاهاتك وميولك أو يخالفها ·

وفى هذه المناسبة كان بامكان الشاعر أن يستلهم العبر والدروس ، من هذه الحادثة ، ويبلورها من خلال تنـــاوله للوقائع ، ومن ثم يحث الناس على اتباعها ، وامتثـــالها ، والسير على منوالها ·

وهذا ما فعله الشاعر عبد الرحمن المعاودة فى قصيدته السابقة ، فقد عرج على واقع هذه الأمة ، وما هى عليه من تخاذل وضعف ، ودعاها الى بعث ذلك التراث التليد ·

سعيا بنى الفصحى لبعث تراثنا
مستمســكين بوحـــدة الآمال

ثم يشير الى الدخلاء والمستغلين الذين يمتصون خيرات

هذه الأمة فهم كالداء المستفحل الذى ينهض فى جسمها ٠

وهكذا نرى أن المعاودة يتخذ من المناسبات الدينية ، وغيرها منطلقا لبث دعوته الاصلاحية واستثارة المشاعر ، وتنبيهها لمواجهة المشاكل التى تعانى منها الأمة ٠ وقصيدة المعاودة على ما فيها من أسلوب خطابى الا أنها تتسم بما فيها من روح شاعرية ، متدفقة مع سعة أفقها ٠ وامتاز المعاودة ببساطة الأسلوب وسهولته ، وكون الشعر عنده تعبيرا عن أحاسيسه ، ومشاعره ، ثم هو أخيرا وسيلة للاصلاح والبناء ، والتوجيه ٠

ومن شعر المناسبات تلك القصائد التى قيلت بمناسبة الحركة التصحيحية التى قام بها سمو الشيخ خليفة بن حمد أمير البلاد عام ١٩٧٢ م فقد نظم فيها العديد من الشعراء وتغنوا بهذه المناسبة مشيدين بجهود الأمير فى بناء الوطن ، وحكمته فى القيادة والريادة للنهوض بالبلد ٠٠

ولنذكر نموذجين لهذه المناسبة أولهما القصيدة التى نظمها الدكتور حسن نعمة وكان آنذاك طالبا فى بريطانيا ، يقول فيها : (٤)

أنا رغم النوى ، ورغم البعاد
أهتف اليوم للأمير الفادى
لأمير الحمى ، أبى حمد المغوار
رمز العلاء والأمجاد
أى بشرى حبيبة ، تلهم الشعر
وتحيى روائع الانشاد

---

(٤) مجلة الدوحة ، عدد (٣٠) مارس ١٩٧٢ م ٠

أى بشرى عزيزة تبهج النفس
وتهمى بالخـــير والاســعاد
هى بشرى خليفـــة ! ....
رائد المجد أمير الحمى أمير البلاد

ثم ينتقل الشاعر الى مدح والد الأمير وهو الشيخ حمد بن عبد الله :

هو فيض من نور والده الفـــذ
ونعم الآباء والأجـــداد (٥)
قبس الراحـــل المجيـــد نراه
وهو فينـــا يزداد خير ازدياد
لم تغب شمســـه ، ولكن تجلت
فى ضـــياء الخليفـــة الوقاد
حمـــد ذاك قد نماه أبيـــا
عبقريا ، يشـــع نورا هـــادى
ذاك اشراقة .. وهـــذا معين
من ثبـــات ، وعزمة ، وارتياد
انه ذلك الأمير المجـــــلى
فى سماء الرجـــال والرواد
صـــاعد للأمام .. يشتد حزما
فى دروب كريمة القصـــاد

وبحكم بعد الشاعر عن وطنه نراه ينتهز هذه المنـــاسبة

(٥) الأجداد : بالرفع .

ومن خلالها يبث لواعج الحب والشوق والحنين لوطنه داعيا له بالخير العميم والأمن والاستقرار ، فهى كهفه وملاذه ، ومهد صباه ، وغنوة أحلامه ، وسمير غربته ۰ ثم يدعو لها بالسقيا على عادة القدماء ۰

فاهنأى يا ربوع بالخير والبشرى
نعيم يلف أمن بـــــلادى

وامرحي يا ربوع سعدا ومدى
حلما زاهي النضـــارة ، نادي

وأغمرينا من طيب أنفاسك الريا
بريا الطريف ، ريا التـــلاد

أنت يا أربعى ، غنائى ، ولحنى
ورجائى ، ومنيـتى ، ومرادى

أنت ترنيمة الشفاه اذا اهتاجت
هيـــاما ، وغنـــوة الأكباد

كيف لا والربوع كهف رجائى
ومدب الصبا ۰۰۰ ودفء المهـاد

هى طيفى اذا حلمت ، ودنى
وسميرى فى غربتى وانفـرادى

فى فؤادى ، وفى خيـــالى بلادى
تتهـــــادى بأجمل الأبراد

كحل الله جفنهـــــا بالدرارى
وســـقاها بنائل من عهـــاد

وحباها الخير العميم ، فرفت
لأمير البلاد ، كالأوراد

والقصيدة تتكون من خمسين بيتا ، وهى قسمة بين مدح وثناء واشادة بالحركة التصحيحية ،ثم تغن وتمجيد بالوطن وحنين اليه .

والقصيدة تمتاز بقوة السبك ، ومتانة التراكيب ، وتتجلى فيها روح العصر بخيالها المجنح وصورها الشفافة الجديدة، وتعبيراتها العصرية الحديثة مثل (حلما زاهى النضارة) (وترنيمة الشفاه) ونحو ذلك من الصور الجديدة . الى جانب بعض الأوصاف والمعانى التقليدية .

وبهذه المناسبة أيضا نجد قصيدة أخرى للشاعر عبد الرحمن المعاودة يشيد فيها بالحركة التصحيحية وقائدها ، مبشرا بعهد جديد أشرق نوره على البلاد : (٦)

أطل علينا الفجر بعد انحجابه
وجاءت الينا بالسعود البشائر
وأشرق مغناها بعهد خليفة
وفاضت بآيات الثناء المشاعر
وغنىحمام الأيكفي الدوحوازدهت
ربوع عليها باهر المجد طائر
فأهلا بعهد فيه عز ومنعة
وخير لهذا الشعب بالله وافر

---

(٦) مجلة الدوحة عدد (٣١) ابريل ١٩٧٢ م .

أخا الفضل حيتك القوافى يسوقها
اليك امرؤ ما عاش بالود شــاعر

أبا حمد والفضــل أنت منــاره
فذكرك محمود ومجــدك باهر

بك اليمن مقــرون لك الله ناصر
وبيض أياديك الجســام مفــاخر

أياديك فى الماضى على الشعب جمة
سيعقبه يا أيهــا الفــذ حاضر

هنيئا لك الملك الذى أنت أهله
أتتك به صـــيد كمــاة أكابر

وعزم وحـــزم ثم نفس كبيــرة
بســاح المعالى مالها من يـكابر

والقصيدة كلها تسير على هذا النمط فى حشد الأوصاف التقليدية ولكنه بأسلوب سهل ، وصياغة محكمة ، تكاد تخلو من المجازات والصور الفنية ٠٠ !

وشعر المناسبات هو أغلب نتاج هذه المرحلة عند المدرسة التقليدية فهناك الأعياد الدينية ، والأعيــاد الوطنية كلها مناسبات كان الشعراء يستغلونها وينظمون فيها قصائدهم وغالبا ما يطغى عليها المديح والتهنئة (٧) ٠

فكانت هذه المناسبات وسيلة الى المديح ٠ ولذلك فاننــا

---

(٧) انظر بهذا الصدد ديوانى المعاودة٠ دوحة البلابل، والقطريات ودرر المعانى٠ بأجزائه الأربعة ٠

نرى أن شعر المناسبات ما هو الا مديح فى حد ذاته لذا فقد عرضنا عن موضوعات المديح والتبويب له مكتفين بهذه النماذج التى عرضناها من شعر المناسبات ، لأن معظم أشعار المديح ما هى الا من نتاج نفس الشعراء الذين ذكرنا نماذج لهم ، كما أن الأوصاف والمعانى عندهم لا تكاد تتغير ٠

٢ ـ فن الرثاء :

وفن الرثاء فى هذه المرحلة لم يخرج عما كان عليه فى المرحلة السابقة من حيث المعانى والأوصاف المتداولة ، فالمثل العليا فى المجتمع هى الأساس فى الرثاء كما هى القياس فى المديح ، واذا كان هناك من تغير فانه راجع بالنسبة للمرثى ومكانته فى المجتمع ، ومدى نصيبه من هذه المثل والصفات التى يتمثلها الراثى فيه ٠ وقدرة الشاعر على اثباتها له دون مبالغة أو تقصير ، وهى أمور تتوقف على صدق العاطفة ، ومكانة المرثى عند الشاعر ٠

فصدق العاطفة عند الشاعر حسن نعمة فى رثائه للشيخ قاسم بن حمد (٨) هو الذى جعل قصيدته هذه تفوق فى مستواها الفنى قصيدته السابقة الذكر ـ فى شعر المناسبات ـ فهذه المرثية تكاد تكون فى مقدمة شعر الرثاء لهذه الفترة :

جللت فى الخلد والجلى أبا حمد
والخطب جلى على الأهلين والبلد
جللت جاسم ما سحت مدامعنا
عليك وانهمرت بالبحر والثمد

(٨) الشيخ قاسم بن حمد آل ثانى كان يشغل منصب وزير التربية والتعليم ، وكان له فضل فى ازدهار التعليم فى قطر طوال فترة توليه الوزارة من ١٩٥٧ ـ ١٩٧٦ م ٠ حتى وافته المنية فى عام ١٩٧٦ م ٠

خطب رمانا والـونا بنـــازلة

ففت فى ساعد الاطراء والعضد

تقطعت لك أحشـــاء معلقــة

جنت لنعيك فى هم وفى كمـد

خلفت بعـــدك أكبـادا وأفئدة

عطشى للقياك لم تسق ولم ترد

شق الرثاء على نفسى فوا لهفى

على المسجى وواحزنى ووا سهدى

ياذروة النبل ما سلواى عن رجل

جنى المروءات جنى النحل للشهد

خلدت جاسم يا من لا كفـاء له

ولا مثيل بسفر الحصر والعـدد

ثم يتحدث الشاعر عن المرثى ودوره فى بناء صرح العلم فالاجيال الحـــاضرة ورواد الوطن ما هم الا غرس جاسم وفضله الذى أسداه لهذا الوطن ٠

فى روح جاســم أجيال بأجمعها

ترتاد من فضل ما أسدى ومن رغد

والوفاء وصدق الوعد جبلة طبع عليها المرثى ، ونقـــاء السريرة وعدم انخداعه ببهرج الدنيا وزخرفها فطـرة فطر عليها جاسم ، وما سجاياه وخصاله الا كما طبعت ٠

مقابلة الصـدق راعيها أبو حمـــد

ان جال فى معرض منها وفى صدد

صافى السريرة جلته جبلته
عن كل ما جاء فى الدنيا من الزبد
سل عنه تلق السجايا مثلما طبعت
على النقاء بلا زيغ ولا أود

والمرثى أصبح كالمنار الذى يهدى السارين ، على درب العز والفخار ، بل انه أصبح فى سيرته وأفعاله منهجا يقتدى به النشء ، وتسير عليه الأجيال فى طريق البناء والخير ·

من نور جاسم من اشعاع والده
ما نهتدى بسراج فيهما وقد
يمشى الرجال على أثر الرجال سوى
للمدلجين بدرب العز والخلد
من جاسم تعيش الأجيال منهجا
تستلهم الخير خلاقا من اللحد
من جاسم يستجد النشء كلهم
خصاله وأياديه على البلد

ولقد كانت علاقة الشاعر بالمرثى علاقة الابن بالأب فقد كان له كالأب الحنون ، يسدى اليه النصح ، ويوجهه الى الخير والرشاد ، وهذه العلاقة كانت السبب فى بواعث الأسى والحزن فى نفس الشاعر وكانت نتيجتها الصدق الفنى :

هون عليك ، على نفس يخالجها
شعور مفتقد فيها لمفتقد
وجدت فى جاسم مالست واجده
فى زحمة الدهر من عون ومن سند

وجدت فيه الأب الحاني يباكرني
بالنصح والخير والتوجيه والرشد
صافي السريرة مشتف بطالعه
صدق الوفاء الذي يسمو على الفند (٩)
نصح له محضه صفو وخالصه
للقوم في صبب منهم وفي صعد (١٠)
ناديت روحك مصداقا فجاوبني
منها الصدى في الدياجي الحلك الربد (١١)

ولعل صدق العاطفة هو الذى دفع الشاعر أن يسوق لنا في قصيدته بعض الحكم أو التي تكاد توصف بذلك لعمق معانيها وحسن صياغتها : -

درب الخلود وان أودى بصاحبه
يبقى على الدهر ذكر الصيد والصيد
عمر الحياة مسافات محددة
والعمر للقيم المثلى الى الأبد
دنيا نظل نناغيها كما نغمت
أم الوليد بترجيع ولم تلد (١٢)

---

(٩) الفند : الضعيف الرأى ٠ وفند فلانا كذبه ٠ وهنا يعنى عدم اخلاف الوعد٠

(١٠) الصبب : هنا يعنى الانحدار بما يقابل الصعود ٠

(١١) الربد : اختلاط سواده بكدرة ٠

(١٢) نغى : تكلم بكلام لا يفهم ٠ وهنا يعنى الملاحة فى الحديث ٠

نجن فى الشوق تقريبا لموعدها
كالآل نحسبه ماء ولم نجد

★ ★ ★

ان الرجال اذا اربدت دجنتهم
ألفيتهم للقاء الفجر فى حشد

★ ★ ★

يحيا مع الموت من رام العلى علما
فالموت حق لعجلان ومتئد

★ ★ ★

ثم يلتفت الشاعر الى النشء الجديد ، الذى لا زال ينهل من مناهل العلم التى أرسى دعائمها قاسم ، فيدعوها الى المثابرة والاجتهاد فى طلب العلم وانارة الطريق ،ثم يدعوها الى التعاطف والتكاتف للسير على دروب الخير والتقوى فى سبيل تحقيق مآربها : —

ويا كمائم زهر لم تزل زغبا
من فىء جاسم مدى النور واجتهدى
تعاطفى بدروب الخير واعتمرى
بعروة الهدى دربا جد متحد
عود الرجال اذا ما الخطب نهنهه
على الجديدين لم يحجم ويختضد(١٣)

---

(١٣) اختضد : لان ، أو انثنى .
ونهنهه : بمعنى كفه ، أو زجره .

ان الرجـــال اذا اربدت دجنتهم
الفيتهم للقاء الفجـر فى حشد

ثم يدعو بالسقى لقبر المرثى

سقى ثراك النـدى طيبـا وراوحه
بالخير صنع القدير الواحد الصمد
ندى جبينك صـــوب الله باركـه
برحمـة من الهى الخـالق الأحـد
ويا أمير حمى غـال نعـــانقه
صبرا على نازلات الدهر والأبد

وهكذا نرى أن القصيدة قد توافر لهـــا الى جانب قوة الأسلوب ومتانته حسن الصياغة ، وصدق العـــاطفة عند الشاعر وعمق التجربة فجاءت هذه القصيدة كما ذكرنا فى مقدمة شعر الرثاء لهذه المرحلة ٠

ومن شعر الرثاء عند المدرسة التقليدية تلك القصيدة التى رثى بها الشاعر أحمد يوسف الجـــابر ، الرئيس الراحل جمال عبد الناصر (١٤) ٠

خطب ألم فمـال عـرش الضـــاد
والحزن عم فسال منه الواد (١٥)
يا عاهـــلا عـم الأسى لفـــراقه
من كان حاضر عقرها والبادى

---

(١٤) نظمها الشاعر عندما حضر مع الوفد القطرى لتشييع جنـــازة الرئيس الراحل فى ١٣/ شعبان ١٣٩٠ هـ ٠

(١٥) القصيدة مخطوطة حصلت على نسخة منها من عند الشاعر ٠

واهتز عرش للعـــروبة واكتسى
وجه البســـيطة يومها بســـواد

خلت المنابر والمحـــابر وابتلى
سوق المـكارم بعـدها بكســاد

قطب السياسة والكياسة والعـلا
أنت المنيـر لحوكهـا والســـادى

من ذا يرجى للشـــدائد سـاقها
ســـيل من التهـــديد والايعـاد

حامت أساطيل العدى من حوله
وأتته من قرب ومن ابعـــاد

فرأته طودا شامخا فى أوجـــه
صــعب المنـــال وثـابت الأوتاد

عقــم الزمان فلن يجىء بمثيله
أم الصـــقور قليـــلة الأولاد

ويستطرد الشاعر مبينا مكانة المرثى ومنزلته فى هذه الأمة فهو فى منزلة السواد من العين ، وفى منزلة فلذة الأكباد من هذه الأمة · وبفقده فقدت الأمة العربية جمالهـا وبهجتها ، ونضارتها وقوتها ــ فارتدت ملابس الأسى والحزن والحداد·

ولقد حللت من العروبة كلهـا
عين الســـواد وفلذة الأكبـــاد

قامت مآتمها عليـــك وأصبحت
لبست عليك أسى ثيـــاب حـــداد

هزت شعوب الأرض لذعة حزنه
فأتتــك مهــرعة بغير فــؤاد

ظنــوك معجــزة تدوم وما دروا
ريب المنــون يقوم بالمرصــــاد

يا أمة فقدت جمــال جمــالها
وكمــال بهجتها وفخــر النادى

ثم يلتفت الشاعر الى الأمة داعيا اياها الى ترك اليأس والحزن والاقتداء بالنهج الذى رسمه الرئيس الراحل لها ، داعيا اياهم الى التكاتف والتضامن فى سبيل تحقيق أهداف هذه الأمة •

لا تيأسى روحا فتلك حيــاضه
يشفى الأوام بها وتروى الصادى (١٦)

ما مات من أبقى لكم من ســيله
حقلا من الاصــدار والايراد (١٧)

هــذى مبــادئه وتلك خطــوطها
داعى الفلاح على الطريق ينادى

تخذوا طــريقك سنة متبــوعة
أوصى بهــا الآباء للاحفــاد

سدوا الفــراغ بكل عزم ثابت
وتضامن وتــكافل وســـداد

والقصيدة كما هو واضح تعالج موضــوعا تقليديا وهو

---

(١٦) الصادى : الظمآن • الأوام بحرارة العطس •

(١٧) الاصدار : الرجوع والانصراف عن الماء • الايراد : ورود الماء •

الرثاء وطالما ردده الشعراء ، وكما ذكرنا سابقا ، أن القيم والمثل التى تعارف عليها المجتمع هى القياس والنماذج التى يتداولها الشعراء فى تدبيجها ورصفها وجعلهـــا من مآثر الممدوح أو المرثى ، ولكن الناس يتفاوتون فى هذه الصفات وحظ كل منهم منها ، كما تتفاوت هذه القيم والمثل من عصر لعصر ٠ وقد رأينا الشاعر فى هذه المرثية يفطن لذلك فتكون مرثيته فى المرثى بما يتناسب ومكانته وأعمــاله ، ثم بالقيم والمثل التى رآها فيه ٠ واذا أردنا توضيح ذلك بصورة أكثر فلنعد الى القصيدة التى رثى بها الشـــاعر المذكور الشيخ (حمد بن عبد الله) والتى ذكرناها فى الفصل الســـــابق لنرى أن هناك فروقا بين القصيدتين من حيث الأفكار والمعانى والأوصاف المتداولة فى كلا القصيدتين ٠ قد لاءم فيهــــا الشاعر بين هذه الأوصاف والمعانى وبين شخصية كل من المرثيين ــ والموضوع هنا ليس موضــــوع مقـــارنة بين الشخصيتين ــ بقدر ما هو ايضاح لموقف الشـــاعر ومدى تفهمه واستيعابه لروح العصر ، ومجاراته للحياة العصرية، وتطوير مفهوم الشعر ــ نوعا ما ــ بما يتمشى معها ٠ وان ظل متشبثا ببعض الأوصاف والمعانى القديمة نحو (الايراد، والاصدار ، والأوام ، والصادى) ٠

أغراض أخرى :

والى جانب الموضوعات السالفة عند المدرســة التقليدية نجد بعض الموضوعات الأخرى ولكنها بصورة قليلة وغالبا ما تكون عارضة ولم تكن مقصـــودة لذاتهـــا : ومن هذه الأغراض شعر الغزل وهو قليل ونادر عند شـــعراء هذه المدرسة لعدة أسباب أولها : أن هؤلاء الشعراء لم يعودوا يستهلون قصائدهم بالغزل على النهج القديم بل تخلوا عن هذه العادة القديمة متأثرين بالنهج الجديد للقصــيدة التى تبدأ بالموضوع مباشرة ، فى محاولة للوحدة الموضوعية ٠

ثانيا : أن الحكام أو الممدوحين الذين دبجت معظم أشعار

هذه الفترة فيهم لم يكونوا يستملحون النسيب لأسباب دينية، متأثرين بالمذهب الوهابى ٠ وكذلك نظرة المجتمع المحافظ هى التى أدت الى تقلص هذا الفنَ فنرى من الشعراء من ابتعد عنه نهائيا ، كالشاعر أحمد الجابر ، ومنهم من أقل منه مثل المعاودة وخاصة بعد نزوحه الى قطر وملازمته لحكامها ٠ أما قبل ذلك فقد كان للمعاودة نصيب فى هذا الفن وأعنى به الغزل (١٨) ٠

وشعر الغزل عند هؤلاء الشعراء ـ المدرسة التقليدية ـ أتى على صورة مقطوعات قصيرة ٠ وهو غزل اصطناعى تقليدى ولم نجد به عاطفة متوهجة ذاقت أو عانت من حب صادق فعبرت عنه بصدق وأصالة ،لذلك نجد هذه المقطوعات يسودها الفتور ، وتفتقد الصدق الفنى ، استمع الى المعاودة وهو يتغزل فى احدى مقطوعاته :

تعال قد ضقت ذرعا من فراقك ما
لىغير قربك يادنياى من فرج(١٩)
تراقص الورد فى نيسان مبتهجا
لكن قلبى منه غير مبتهج
أين الحبيب الذى قد كنت آلفه
كأنه الشمس من حسن ومن وهج
تعال طالت أويقات الزمان بنا
لا تتركنى فى حزن وفى حرج

---

(١٨) انظر ديوان المعاودة ص ٤٩ وما بعدها ٠

(١٩) القصيدة : ضمن مجموعة قصائد للشاعر حصلت عليها من الزميل غانم المهندى ٠

تعال فالقلب موثوق بحبك لا
يصرفه عنك أخو عذل وذو سمج

واذا كانت هذه المقطوعة أشبه بالحديث العادى العارى من كل الصور الحية والمعانى الرقيقة ، والأوصاف الجديدة - ناهيك عن ذلك التناقض بين طالت ، وأويقات - فان المقطوعة الآتية لا تفضلها بكثير حيث أنها لا تخرج عن كونها صورا ، وأوصافا ، ومعانى تقليدية حشدها الشاعر حشدا فى قصيدته وأعنى بها قصيدة الشاعر الدكتور حسن نعمة التى يقول فيها : (٢٠)

أقبلت والوجه يندى خجلا
تتهادى بقوام لين
وأنثنت غصنا وماجت جدولا
فأثارت فى هواها شجنى
نسج الله لها برد الدلال
وحباها خير قد أهيف
غار منها الغصن اذ مالت فمال
وسنى اللحظ كحد المرهف
حبذا وصلك يا ريم الفلا
فاسلمى يا فتنة المفتتن
أنت كالبدر تجلى وانجلى
يتلألأ بصباح بين

وهى كما هو واضح تسير على نهج الموشحات الأندلسية .

---

(٢٠) من قصيدة لحنها عبد العزيز ناصر لاذاعة قطر .

والأوصاف والصور ، والمعانى مستمدة من تلك البيئة التى نشأت فيها الموشحات ، ولكن الشـــاعر استمدها من خلال الموشحات نفسها ، وليست من بيئتها •

ومن الموضوعات التى تناولها شعر هذه المرحلة موضوع جديد بالنسبة للمرحلة السابقة ، ونقصـــــد به ما يتصـل بالقضايا العربية والقومية ، وهذا الاتجاه ســـوف نلحظه أيضا فى نتاج الشباب الجدد ،وهو ثمرة من ثمرات الاتصال بالحياة العصرية الحديثة ،والانفتاح الذى يشهده هذا الجيل على العالم العربى والخارجى ، ثم دلالة حية على الشعور القومى الذى يربط بين أبناء الأمة العربيـــــة فى مختلف أرجائها ، ومدى تفهم هذا الجيل لقضاياه القومية •

ولكن يجب أن أشير الى أن هذا الاتجـــاه القومى عند المدرسة التقليدية يتمثل فى شعر المعـــاودة ـ بالنسبة لما أطلعت عليه ـ (٢١) والمعاودة كما هو معروف أن له أشعار كثيرة تعالج هذا الاتجاه منذ العشرينـــات من هذا القرن ، ولكن هذه الأشعار لا نستطيع أن نعتبرها ضمن الشـــعر القطري وندخلها فى المرحلة الأولى ، لأن هذه الاشعار قد نظمها قبل أن يأتى الى قطر •

ومن شعره فى هذه المرحلة تلك القصـــيدة التى نظمها بمناسبة وقف اطلاق النار فى الجزائر ، والقى القصيدة فى الحفل الذى أقامتـــه وزارة المعـــارف القطـــرية لهذه المناسبة : (٢٢)

---

(٢١) وللدكتور حسن نعمة اشعار فى مثل هذه الموضوعات ولكن لم ينشرها •

(٢٢) القصيدة مخطوطة ـ لدى المركز الثقافى ـ

تضيق القوافى عن جهاد الجزائر
واطــراء ما قاموا به من مآثر
هموالقومماهانوا لدىالخطبأوونوا
وما نكصوا يوما أمام العساكر
تحــدوا فرنسا بالعصى فأذهلوا
جميع بنى الدنيا بعزم الجبابر
يسيرون نحــو الموت والبشر طافح
على أوجه مثل البدور الزواهر
ومن رام عزا فى الحياة ترفعت
به النفس عن كل الأمــور الصغائر

وبعد حديثه عن بطولة الشعب الجزائرى فى مقـــاومته للاستعمار الفرنسى وما حققه هذا الشعب من انتصـــارات تعد فخرا فى صفحات تاريخ الأمة العربية • يشير الشاعر فى هذه المناسبة الى أن القوة هى لغة العصر ، وأنه لا مكان فى هذه الحياة للضعيف ، لذلك فحين تعجز الأقلام عن دفع الأذى ، واسترداد الحق ، لابد من حمل السلاح لاستعادته :

اذا كلت الأقلام أن تكشف الأذى
فدعها وقم نحو السيوف البواتر
فان ثغاء الضأن ليس بمــانع
عن الضأن أنياب الذئاب الكواسر
وما نال حقا ضائعا غيــر ســيد
اذا ما مشى للمجد ليس بعـــاثر
فقف أيها التاريخ واشهد بما ترى
وخلد بطــولات الكمــاة الأكابر

بنى الضاد من هذا الخليج لطنجة
دعوا اليوم عنكم كل هذا التنافر
وكونوا جميعا انما القوم بيتوا
لكم فى فلسطين شرور المخاطر
هو الجسم بالأطراف يكمل خلقه
وينقص حتى فى ضياع الأظافر

وبعد أن يتحدث عن دور ابن (بيلا) ورفاقه الأبطال وما حققوه من نصر ،يلتفت الى هذه الأمة المتفرقة ،المتنافرة، داعيا اياها للوحدة والتكاتف ، محذرا اياها عما يبيته لها الأعداء ٠

والقصيدة كما يتضح لنا تغلب عليها الروح الخطابية الحماسية ، وهى سمة غالبة على معظم أشعار المعاودة ذات الصبغة الوطنية والقومية، وذلك راجع الى تحمسه وانفعاله لمثل هذه الموضوعات ٠ ولنستمع اليه فهو يردد هذه النغمة فى قصيدة « انتفاضة المارد » التى نظمها (فى حرب آكتوبر ١٩٧٣) والتى يقول فيها : (٢٣)

أجل بعد لأى فى الربى طلع الفجر
ومن بعد يأس قاتل أشرق النصر
و (فانتوم) أمريكا تهاوى كأنها
جراد له ريح مجلجلة تذر

---

(٢٣) القصيدة مخطوطة لدى الشاعر ٠ حصلت على نسخة منها من المصدر السابق ٠

وَمِنْ أَوْجُهُ الأَعْدَاءِ غَاصَتْ دِمَاؤُهَا
وَشَاهَتْ فَبَانَ الزَّيفُ وَانكَشَفَ السِّتْرُ

وَنَادَى مُنَادِي العُرْبِ لِلثَّأرِ فَانْبَرَتْ
أُسُودٌ لَهَا فِي كُلِّ مَلحَمَةٍ .. زَأرُ
وَسَارَتْ عَلَى التَّكبِيرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
جُيُوشٌ عَلَى رَايَاتِهَا جَثَمَ الفَخْرُ
إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى تَسِيرُ كَأَنَّهَا
مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ تَزْهُو بِهَا بَدرُ

فَقُلْ لِبَنِي صَهْيُونَ قَدْ خَابَ فَأْلُكُمْ
فَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا المَذَلَّةُ وَالقَهْرُ

وتسرى فى الشاعر نشوة النصر ، فينطلق لسانه بالفخر مجلجلا :

فَنَحنُ وَإِنْ حَادَ الزَّمَانُ وَإِنْ عَدَتْ
عَلَينَا العَوَادِي لَا يَهُونُ لَنَا أَمــرُ
أَجِلَّاءُ فِي العَلْيَا أَشِدَّاءُ فِي الوَغَى
وَفِي السِّلْمِ أَمْجَادٌ بِنَا يَطْلُبُ الخَيْرُ
فَلَوْ قَرَؤُا التَّارِيخَ لأَنجَابَ جَهْلُهُمْ
فَإِنَّ لَنَا المَجْدَ المُؤَثَّلَ وَالذِّكْرُ

ثم يلتفت الشاعر الى اولئك الدخلاء والمستغلين الذين يمتصون خيرات العالم العربى ، باسم الشركات ، وغيرها من الطرق الملتوية التى يستنزفون بهـــا تلك الثروات ، ثم

يستغلونها فى محاربتنا ، فيطالب الأمة العربية بابعادهم ، وهذه النغمة طالما رددها الشاعر فى أشعاره وهى عقدة الدخيل واستغلاله فهى مسألة عاشها الشاعر وقاسى منها وثار عليها فى موطنه الأصلى ولا زال يرددها :

أَقُولُ وفِى نَفْسِى لَدَى النَّوْلِ غُصَّةٌ
وفى القَلْبِ مِمَّا قَدْ أَلَمَّ بهِ جَمْرُ
ألا غَضْبَةٌ مِنَّا علىَ مَنْ تَنَكَّرُوا
لَنَا ولَهُمْ فى أرضِنا خَيْرُها الوَفْرُ
أَجَلْ إِنَّهُم يَسْتَثْمِرونَ كُنُوزَنَا
وَمِنْ فَيْضِهَا يقْوَى لِأعدائِنا ... أَزْرُ
فَيَا أُمَّةً لَمْ يَعْرِفْ اللؤْمُ طَبْعَهَا
الاَ فابْعِـــدِى عَمَنْ طَبِيعتُهُ الشَّرُّ
أَلاَ فابِعِديهِم عَنْ ربُوعِ دِيارِنَا
فَيَبْعُدَ عنْ أربَاعِنَا اللؤْمُ والغَدْرُ

والخلاصة :

أن الشعر عند المدرسةالتقليدية وان ظل محافظاعلى نظام القصيدة العربية القديمة من حيث الوزن والقافية ، الا أن هؤلاء الشعراء قد جددوا الى حد ما فى الموضوعات بالنسبة للمرحلة الأولى ، كما ظهر التجديد عندهم بوضوح فى الصور والأفكار والمعانى حتى صح أن نطلق على نتاج هذه المدرسة ما يعرف بالكلاسيكية الجديدة · وقد سبق التفصيل فى ذلك من خلال عرض النماذج ودراستها ·

ثانيا ـ الحركة التجديدية أغراضها واتجاهاتها :

تمهيـــــد :

لقد بدأت فى منتصف القرن العشرين حياة جديدة شملت مختلف أوجه الحياة فى قطر ـ وسـبق أن فصلنا القول فى ذلك فى موضع سابق من هذا الكتاب ـ وكان لهـذا التغير الكبير أثره فى الحياة الثقافية والأدبية نتيجة لظهور التعليم الحديث ، والصحافة ، وغيرها من الوسائل الاعلاميـــة ، وما تبعه من اتصال ثقافى بالعالم الخارجى ، ســواء عن طريق هذه الوسائل أو عن طريق البعثـــات ، وغيرها من الوسائل التى تحدثنا عنها فى الفصل الخاص بالحيـــاة الثقافية . وقد تكونت ثقافة الجيل الجديد من هــذه الثقافة الحديثة ، التى حملت اليه مختلف المذاهب الفكرية والأدبية التى ظهرت ، وكان نتيجتها أن تأثر هؤلاء الشباب ببعض هذه المذاهب وظهر أثره على نتاجهم الأدبى . الذى خرج عما كان سائدا عند المدرسة التقليدية الســـالفة الذكر من تمسك بالموروث القديم فنيا ، وموضوعيا .

ولكن قبل الدخول فى دراسة وعرض نتاج هؤلاء الشباب لابد من أن نشير الى بعض الملاحظات التى يتوقف عليهـــا فهمنا لهذه الأشعار ومن هذه الملاحظات :

الملاحظة الأولى :

ان الفترة التى شهدت بدأ دخول الحياة الثقافية الحديثة فى قطر تعد فترة قصيرة نسبيا بحيث لا يمكن أن نستوضح كل ثمارها ونتائجها لذلك فلم تظهر آثارها بوضوح وخاصة فيما يتعلق بالحياة الأدبية والفكرية (٢٤) .

والملاحظة الثانية :

هى أن هذا الجيل من الشباب لم يزل فى مرحلة التكوين،

---

(٢٤) راجع الفصل الخاص بالحياة الأدبية فى موضع سابق من هذا الكتاب .

وبداية الطريق ، ونتـــاجه لا يزال فى مرحلة النمو التى لم تتشكل بعد معالمها ، ولم تتحدد اتجاهاتها بوضوح · لذلك كان من الصعب اصدار أحكام نقدية دقيقة على هذه الأشعار، أو تصنيفها الى مدارس ومذاهب فنية معينة · فهى الى جانب عدم نضجها الفنى الكامل ، قليلة لا تساعد على صحة هذه الأحكام واستيعابها ·

ومن هنا فقد ارتأيت أن أعنون لهذه المرحلة _ أو النقلة _ بالحركة التجديدية ثم أذكر نماذج من نصوصها ، وبيـــان سمات كل نص من هذه النصوص ، وملامح التجديد فيـــه وأغراضه ·

وبادئا ذى بدء أقول انه مع التحفظ الذى أبديته فيما سبق والذى يقضى بعدم التصنيف الدقيق لهذه القصائد ، الا أنى أرى أن النزعة الرومانسية هى الطابع الغـــالب على نتاج هذه المرحلة حتى الآن وذلك يعود الى سببين رئيسيين تقريبا أولهما : هذه النقلة المفاجئة التىشهدها المجتمع على أثر ذلك التغير الاقتصادى الكبير الذى غير الكثير من القيم والمفاهيم التى كانت سائدة فى هذا المجتمع التقليدى المحافظ والذى يقدس الموروثات ، ويتشبث بها · فعندما انفتح هذا المجتمع على الحياة الجديدة ، وأخذ يتأثر بها فى جميع أوجه نشاطها ماديا وفكريا ، كان لابد أن يظهر هناك نوع من الصراع بين القديم والجديد ، وأن يكون هناك جيل محـــافظ يتشبث بالموروث ، وجيل جديد ينزع للتغيير ، وينشـــد التجديد · ولكن هذا الجيل الجديد رأى أن الواقع بموروثاته يقف فى سبيل تحقيق هذه الطموحات التى يسعى لتحقيقها ، ووجد الفرق شاسعا بين ما يحلم به ، وما يتصوره من خلال تأثره بالثقافة الحديثة ، وبين الواقع الذى يعيشه فعلا · فأدى ذلك الى صراع نفسى عند شباب هذا الجيل ظهر أثره على أدبهم شعره ، ونثره ·

أما السبب الثانى : فان الأدب العربى الحديث تغلب عليه

النزعة الرومانسية وحتى فترة قريبـــــة ، وظهرت مدارس أصلت لهذا الاتجاه (كمدرسة الديوان) ، (وجماعة أبولو) ، وتأثر هؤلاء الشباب بهذا الاتجاه ٠

وقد ساعد السبب الأول مساعدة مباشرة فى شيوع هذه النزعة الرومانسية وسيطرتها على نتـــاج هذا الجيل من الشباب ، والى جانب هذه النزعة الرومانسـية نجد بوادر وبذور للمذهب الرمزى فى قصائد بعض الشـباب ، ولكنها فى الحقيقـــة قليلة ، ونادرة ٠ والى جانب هذا نجد بعض القصائد ذات الطابع الواقعى ، والتى يحـاول الشـــاعر مبارك بن سيف أن يعالج فيها بعض القضـــايا القوميـــة المعاصرة ٠

والتجديد عند هؤلاء الشباب لم يقتصر على موضوعات الشعر ، والأفكار والمضـامين فحسب ٠ بل تعداه بالدرجة الأولى الى الشكل الخارجى للقصيدة ، فظهر هناك ما يعرف بالشعر الحر ، والشـعر المرسل أو المطلق الذى يتحلل من النظام القديم للقصيدة العمودية ٠ وهذا النوع من الشعر أو النظم قد انتشر فى بداية القرن الحالى نتيجـــة للتـــأثر بالآداب الغربية ، وبحجة الانطلاق من القيود الموروثة التى تحد من حرية الأديب أو الشـــاعر وتكبله بالأوزان (٢٥) ، والقوافى القديمة ٠ فثار عليها بعض الشـعراء ، وخرجوا على هذا النظام ، وكانت هذه النغمة قد بدأت أول ما بدأت فى العراق على يد نازك الملائكة ، والشاعر بدر شـــاكر السياب ، ثم انتشرت فى العالم العربى فيما بعد ٠

ومن هنا فقد خرج بعض الشباب على النظام الموروث ، متأثرين بهذا الاتجاه الجديد ، وهو ما يعرف بالشعر الحر ، كما نظموا متبعين التفعيلة الواحدة فى السطر ، أو التصرف فى الأوزان القديمة ، الى جانب التغيير والتنويع فى القافية

---

(٢٥) النقد الأدبى الحديث ٠ د ٠ محمد غنيمى هلال ص ٤٨٠ ٠

بل ان البعض قد لا يلتزم حتى بأى وزن ، أو وحدة للتفاعيل ، فجاءت بعض القصائد أقرب للنثر منها للشعر ٠

على أن هناك بعض الشعراء ظلوا ينوعون شعرهم بين التقليد والتجديد كالشاعر مبارك بن سيف ٠

الأغراض والاتجاهات فى نتاج هؤلاء الشباب :

وأغلب شعر هؤلاء الشباب يمكن أن نضعه تجـاوزا فى عداد الشعر الوجدانى ، حيث أنه فى معظمـــه ، يعود الى تصـــوير الماضى واجترار بآلامه وأحزانه ، فهو ذو طابع رومانسي يعبر عن وجدان الشاعر ، وتصوراته ، وذكرياته فهو فى حد ذاته نتيجة للمعاناة الذاتية التى تضيق بالواقع ومشاكله ، فتتخذ من الماضى متنفسا لها ٠٠٠ !

وقد اتخذ هؤلاء الشباب من الخليج وصلة الانسان به ، وتفاعله معه فى الماضى ، مادة وموضـــوعا ، يعبرون من خلاله الى التعبير عن مشـاعرهم وأحاسيسهم تجاه الواقع فى أدبهم شعره ونثره ،وكانت مهنة الغوص وصراع الانسان معه فى أعماق الخليج محورا من المحاور التى تدور عليهـا بعض موضوعاتهم ، وقد اتضح لنا فى الفصل الخاص بالنثر الفنى ، أن هناك العديد من القصص ، والمسرحيـات التى اتخذت من هذه القضية موضـــوعا لها ٠ ومن هذا المنطلق شاعت فى أدبهم النزعة الرومانسية ، وساعد على تأصيلها ذكرى الماضى وآلامه وقسوته ، وصراع الحاضر وتغيراته ٠ فمن القصائد ذات النزعة الرومانسية التى تتجلى فيهـــا ذكريات الماضى ٠ وتتخذ من الغوص موضوعا لها قصـيدة الشاعر مباك بن سيف (٢٦) ، **التى أسماها :**

---

(٢٦) مبارك بن سيف فى طليعة الأدباء الشباب وأكثرهم نتاجا ، له العديد من الأشعار التى ينشرها فى الصحف المحلية بصورة مستمرة ، وخاصة ما ينشره فى مجلة (الدوحة) ٠ والشاعر يعيش مرحلة وسط بين القديم والجديد فله قصـــائد تقليدية بحتة شكلا ومضمونا ، وله فى الشعر الحر العديد من القصائد بل ان طابع التجديد هو الغالب على شعره كما سوف يتضح من خلال النماذج التى نذكرها له ٠

« سفن الغوص البائسة (٢٧) »
ايه يا ماء الخليج
كم شربنا ماءك المالح
فى لهب السموم
وسمعنا آهة النهام أعيتها
جبال من هموم
وتراءت للعيون الغائرات
خلف مائك الأزرق
دمع البائســــات
عند شط قد تركناه شهورا
عند شط قد تركنا فيه أحبابا
وحطمنا الجسورا
ايه يا ماء الخليج
كم عيون مزقتها الشمس
وأضناها السهاد
.. ..

ثم يصور تلك المآسى التى كان يصادفهـــا الغواص وهو يبحث فى جوف ذلك البحر المجهول عن اللؤلؤ ، وربما تكون هذه اللآلىء كالكمين المنصوب له ، وباصطياده لهـــا تكون نهايته ، وقد يعود بعـــدها وصــــيده لا يقضى قوت يومه ، فما أشقى هذا الانسان فى عيشه .

ايه يا ماء الخليج
كم جميل أنت من خلف الشطوط
انك الخدر الذى يحجب فى الأستار
آلاف المآسى
ظالم أنت وجبار وغدار وقاسى
تزرع اللؤلؤ فى الأعماق
كالصيد الدفين
وهى لا تعدو سرابا أو كمين

---

(٢٧) مجلة الدوحة عدد يناير ١٩٧٦ م .

وترى الغواص منهوك القوى
يقتفى أثار درة
قد يلاقيها اذا طال عناؤه
قد يلاقيها ويمسكها ويفرح
وتكون المسكة الأولى له آخر مرة
ثم يبدلها ويفديها بتمرة
ويغنى ..... ويصفق
ويردد آهة النهام
فى الليل الحزين
.. ..

وكم يعود الغواص وهو يجر خيبة الأمل بعد هذه الرحلة الطويلة التى قضاها فى البحر وخلف تلك الشواطىء المجهولة ، وعودته بهذه الصورة وهو صفر اليدين ، تعنى عودته بالأحزان والآلام وكأنه يحمل أكفانه على كتفه حين خاب فى سعيه .

أحمل الخيبة والخيش على ظهرى الهزيل
فكأنى أحمل الحزن وأكفان مماتى
هكذا تمضى حياتى
هكذا عمر قضيناه طويل

والشاعر كما هو واضح يصب لنا هذه المعانى أو الأفكار بتعبيرات مباشرة بعيدة عن اللغة الايحائية التى تعوض عن الصور الفنية ، وترتفع عن لغة النثر لذا فجاءت معانيه مجردة من الحياة ، لأن الشاعر لم يحاول أن يمزج بين المشاعر والأحاسيس وبين الأفكار والمضامين التى يراد التعبير عنها . وهذه الأمور راجعة الى الصدق الفنى وعمق التجربة والمعاناة . ثم بعد ذلك تأتى قدرة الشاعر الفنية وامتلاكه لناصية البيان . ومن هنا فقد كانت معالجة الشاعر لقضية الغوص ، ومعاناة الانسان منها . معالجة فاترة بعيدة عن التأثير فالقصيدة بصياغتها هذه أشبه بالحديث العادى . فكما ذكرنا سابقا أن مهمة الشعر لا تتوقف عند

نقل الفكرة ، أو الحادثة كما هى • انما لابد للشـــاعر أن يمزج فى التجربة بين العقل والخيال أو العاطفة وأن يحدث بينهما نوع من التوازن بحيث لا ينخرط الشعر فى تهويمات الخيال والأحلام ويبعد عن الواقع ، أو أن يحـــدث العكس فينقلب الشعر الى تأريخ وسرد ورصد للأفكار والحقـــائق مجردة من الصور والأخيلة • خاليا من العاطفة •

فليس كل نظم شعر وان خرج بثوب جديد ، واسم حديث كالشعر المرسل ، أو الشعر الحر • والشعر الحر أو الشعر المرسل اذا كان قد تخلى عن الصور الفنية القديمة ، فانه قد استعان بالألفاظ والأساليب الموحية والايقاعات التى تتناسب مع طبيعة التجربة ، وتساير الأفكار والمضـــامين ، وبحيث ترتفع لغة الشـــعر عن لغة النثر • وهكذا نجد الفرق بين الأسلوب التقريرى المباشر والأسلوب الشـــاعرى الموحى والمؤثر •

والمناعى يصور أيضا هذه القضية قضية البحر والانسان وصراعهما فى الماضى ، باسلوب رومانسى تصـــور ذكرى الماضى وآلامه وأحزانه وظلم القدر له حين يزج به وسط ذلك المجهول الذى لا يرحم •

لا تشـــقى الجيب أمى
ان أتـــوك واجمين (٢٨)
فأنا فى البحـــر الهـــو
منـــذ آلاف الســـنين
أرتقى الأمـــواج امـــا
هجم (الدول) اللعـــين
فاذا مـــزق صـــدرى
يطلق (الســـيب) الأنين
لا تقـــولى ضـــاع ابنى
فى عـــداد الغـــائبين

---

(٢٨) مجلة الدوحة العدد (٣٤) يوليو ١٩٧٢ م •

صرختي ضربة مجـــــداف
وقبرى (بـــــو الحنين)

وهذه القصيدة مع بســاطتها وقرب معانيها الا أن عمق التجربة وصدق المعاناة والموسيقى الحزينـــــة المتمشية مع تجربة الشاعر ومعاناته ، ثم حسن الصياغة فيها ، قد أبعدها عن الابتذال ورفعها الى مرتبة الشعر المؤثر ٠

وهكذا نجد أن صراع الواقع الجديد ومظـــــاهر التغير المفـــاجىء وصخب الحيـــاة العصرية وتغير بعض القيم والمفاهيم ، أدى بالجيل الحالى الى العودة للماضى واجتراره بالآمه وأحزانه ، ثم يقيمه ومثله ٠

وقد تكون بعض القصائد عندهم مغرقة فى الذاتيـــــة ، وصورة لوجدان الشاعر وأحاسيسه وموغلة فى نزعتهـــــا الرومانسية كالقصـــيدة التى نشرت فى مجلة الدوحة تحت اسم مستعار باسم (بنت الخليج) (٢٩) ٠

والقصيدة تتنوع فيها القـــــافية ، من مقطع لآخر ٠ كما تتصرف فى تفاعيل بحر الرمل التقليدى ٠

اننى أبحث عن صـــوت رطيب
لا كصوت النـــاى يشجى أو كصوت العندليب
لحنه يجمع ما بين ابتسام ونحيب
فيـــــه آلام ، وآمـــال ، وطيب
فيـــــه رجع الهمس يبـــدو لى قـــريب
اننى أبحث عن طير حـــــزين
ودع المـــــاضى بذكرى لا تبين
وسرى فى الليـــل يضنيه الأنين
تاركا ذكـــرى ودادى والحنين
واختفى بين نجـــومى من سنين

ثم تتساءل عن تلك الأيام الجميلة وذلك الوداد القديم الذى

---

(٢٩) مجلة الدوحة العدد (٣٤) يوليو ١٩٧٢ م ٠

غاب واختفى فى وسط زحام السنين ، وأضحت الآمال كأحلام السراب ٠

أين لى يوم مضى عنى وغاب
تاركا للقلب أحـــلام السراب
كيف لا يدنو ودمعى فى انسكاب
يزرع الوجنـــات شوكا وعذاب
أين يومى ٠٠ حدثوا أين الجـواب

وتبلغ المعاناة والضياع عند (الشاعرة) ذروتها حـين يتوه زورقها فى خضم هذه الحياة ، وتذبل الحياة فى عينها ، ويخلو الروض من الزنبق ٠

ســـــاعدونى وأبحثوا عن زورقى
تاه فى بحـــر خضم مغـــرق
ســاعدينى يا حيـــاتى وارفقى
ذبل الروض خـــلا من زنبق
ما أنا الا أسير لهـواك المحرق

والسعادة عندها كانت كالطفل الذى أتى لهذه الحياة وهو فرحا وسعيدا فى طفولته ، ولكن هذه الحياة أغرقته فيما بعد بمآسيها وضاع وسط الصراع والزحام ، وقلب الشـــاعرة يهتف ويبحث عن تلك السعادة ولكن دون جدوى ٠

أنا ذا ابحث عن طفل رضـــيع
شب يوما ٠٠٠ وبدا أحلى ربيع
صارع الدنيـــا وفارقهـا صريع
لم يلب هاتف القلب الوديـــع
واختفى عنى على درب مضـيع
ان رأيتم بدرى الوافى ضـــياه
أو أعـــدتم لى من الأمس رؤاه
أو وجدتم زورقى بين الميـــاه
حدثوا غيرى بأسرار الحيـــاه
من يعش دهرا يرى الشيب نعاه

وهذه القصيدة بتجربتها الذاتية الرومانسية يتسق فيها الشكل مع المضمون ، وتتواءم التجربة مع حسن الصياغة ، فتتفق هذه التجربة الحزينة الهائمة مع تلك الموسيقى الرتيبة الهادئة ، التى تتألف من وحدة الوزن ، وتنوع القافية فى كل مقطع من مقاطعها ٠

وقصيدة (الليل والضفاف) (٣٠) للشاعر مبارك بن سيف تصور أيضا هذه النزعة الرومانسية عند الشباب وضيقه بالحياة والواقع وهروبه للماضى والتغنى به واللجوء الى الطبيعة والبحر ومناجاته وبث لواعج الشوق والحنين الى ماضيه ٠ فالشاعر يستلذ ذكرى الماضى بآلامه وقسوته، وبلفح هجيره ، وحرارة شمسه ، هروبا من واقعه الذى تاه فيه ، وأضاع دربه ٠

يا ضفاف الشط
هل أشكوك ما بى من حنين
أم اداري ما بقلبى من جوى
ودموع همس الجفن لها ألا تبين
قد دفنت الآه اجلالا لها
وكذا الآلام أقساها الدفين
كم مضغت الحب آلاما
وفى القلب عتاب
كم تراىء لى أنا العطشان ماء
فاذا الماء سراب
يا ضنينا قد أتانى الطيف فى الليل البهيم
فأجيبى يا نخيلات نأت
هل سمعت رجع آهات الكليم
يا هجيرا كنت أشكو لفحه
أين منى حلو ذياك النسيم
يا نجيمات الدجى ردى الجوابا

(٣٠) مجلة الدوحة عدد يونيه ١٩٧٦ م ٠

لى فؤاد كلما طافت به الذكرى أثابا
يستلذ البعد والحرمان فيه والعذابا
لم يعد لى يا فؤادى
غير ذكراها مثابا
كلما قلت تلاشت
كشف القلب عن الجرح النقابا
هل ترانى فى متاهاتى
أضعت اليوم دربى
يطحن الليل أمانى وقلبى
واذا لاحت تباشير اللقاء
دارت الدنيا بأحلامى وحبى

وفى المقطع الأخير من القصيدة نجد الشـــاعر يفيق من أحلامه ، ويعود الى الواقع الماثل أمامه ، فيطلب من قلبه أن ينطلق فى رحاب الأرض ، جوالا ، وموالا ، متغنيـــا بربات الحجال :

يا لعمر قد مضى يحصى الليالى
لاهثا خلف سراب من خيالى
استشف النور فيـــه
وأرى الأيام فى عينيه
تيهـــا واختيـــالا
وافتعالات الدلال
فتعلم كيف يا قلب تقطع كل آمال الوصال
وانطلق فى الأرض جوالا
وموالا ··· لربات الحجال ·

وهذه القصيدة بتجربتهـــا الذاتية الفردية التى تتسم برومانسيتها الحزينة، بهروبها من الواقع للعيش فى الماضى · تعد نوعا ما أكثر عمقا فى تجربتها ومعاناتهـــا من قصيدة الشاعر السابقة (سفن الغوص البائسة) ولذلك فان الترابط وحسن الصياغة هنا أفضل منـــه فى تلك القصـــيدة الى حد ما ···

وهناك بعض القصـــــائد التى تصطبغ بصبغة رمزية ، ويشوبها نوع من الضباب ، وتكثر فيها تلك الصور والعبارات الرمزية . ومن هذا النوع قصيدة (الليل فارس أبيض) (٣١) لعبد الرحمن المناعى يقول فيها :

يمتصنى الليل يذوب فى داخلى رجع الصياح
تمخر فى عقلى العلامات البليدة .
تسخر من جنبى الحرائر .
ويخر آخر خيط نور .
ينهى مسرات البشائر .
الليل والجفن المؤرق والرحيل على الدفاتر .
والنائمون على اللظى يحرق أطراف الضمائر .
والجوع يرحل كالظلام .
والصرخة الجو فاء تذوى كالقناديل على قحط الشفاه .
يا فارس الأحزان أقبل اننى
كالدمعة الثكلى أتيت .
من قلب موال الشقاء المزمن الذاوى أتيت .
اكتب من تاريخ اسمالى المباعة .
قصتى العشرين .
لا بل صرختى العشرين وأرزح بالخسائر .
اننى فى صمتك المشكوك أذوى .
كانقراض الحب على رمل الخليج برحيل طائر .
طائر النورس أبيض .
كصفاء اللجة الزرقاء .
كبياض اسمالى المباعة
أحلم اليوم بأن تأتى .
أزرع فى ضلوعك أمنياتى .
أحلم اليوم بأن انبش فى قبرك ذاتى .
أحلم اليوم بأن تحمل فى احضانك المقهورة الأركان .
لونا من صفاتى .

---

(٣١) مجلة العهد العدد (١٠٢) ١٩٧٦ م .

على أن يجثوا على أعتاب قبرك طائر ٠
طاهر الألوان كالحلم يقبل راحتيك ٠
وينادى فجرك الغائب
من خلف المقابر ٠
هل أتيت ٠
لا زال فى عمق جفونى يكمن الخوف وظل الاندحار ٠
لا زال صمتك مقفرا ينبئنى حان الأنهيار ٠
انى رجوتك فارسا تبقر أشلاء ظنونى
وودت لو كنت ضياعى
وثورة فيها جنونى
لتحطم الأدراج والأصفاد وتسرق ساعتى
وتطلق الفجر المكبل فى خزانات الثوانى
فأنا رجوتك فارسا ترد لى كل الخسائر

فالطابع الرمزى هو الغالب على هذه القصيدة حيث تكثر فيها الأوصاف والتعبيرات الرمزية ٠ كالصرخة الجوفاء التى تذوى ، واطلاق الفجر المكبل فى خزانات الثوانى ، وصرخته العشرين ، وموال الشقاء المزمن الذاوى ٠٠٠ وفارس الأحزان ٠٠ وتاريخ اسماله المباعة ٠٠٠ الخ ٠٠

والقصيدة بعد هذا فيها النزعة الرومانسية التى تمثل شعور الشاعر وضياعه وحيرته ٠ فالليل يمتصه ، وخيط النور يخرمنه ، وتشيع فيها بعض الألفاظ الرومانسية ، كالرحيل ، والقهر ، والظلام ، والخوف ، والاندحار ، والانهيار ٠٠٠ الخ ٠٠

ونحن لا نعلم لماذا وصف الشاعر فارسه بهذه الأوصاف التى لا تتمشى والمهمة التى القاها عليه ، فهو بدلا من أن يكون فارس الأحلام الذى يحلم بأن ينقذه من واقعه وينتشله مما هو فيه اذا به يجعله فارس أحزان ٠ بل ان هذا الفارس الذى يستصرخه ويستنجد به فارس مقهور الأحضان ٠ونحن نعجب من فارس مقهور كيف يستطيع أن ينقذ أو ينصر غيره ما دام هو نفسه مقهورا وكذلك تمنيه فى أن يكون الفارس فى مثل

ضياعه · كلها أمور تناقض ما يهدف اليه الشاعر · وكما يقال فاقد الشيء لا يعطيه ·

ويمكن أن نعتذر للشاعر بعدها بأن اليأس قد سيطر عليه وفقد الأمل فيما يصبو اليه فأقبر فارسه ووصفه بعدها بهذه الأوصاف ·

الا أن نهاية القصيدة تخالف ذلك · (فأنا رجوتك فارسا ، ترد لى كل الخسائر) وهكذا يشيع التشاؤم الرومانسى فى جو القصيدة ·

ومن القضايا العصرية التى عالجها الشعر فى هذه المرحلة بعض القضايا القومية ، التى عالجها الشاعر مبارك بن سيف · كقصيدته التى صور فيها مأساة الخامس من (حزيران) عام ١٩٦٧ م وما الحقته هذه النكبة بالأمة العربية من مآسى وآلام ومرارة فى قصيدته تحت عنوان :

ـ مع الذكرى الأليمة ـ

قد الفت رمالنا الصفراء
رمضاء النهار والعطش
وعانقت لهيب شمسنا على المدى
وعاشت القحط والقفر والموات
لكنها اليوم أفاقت
على صيحات ذئب
دامى الأنياب
يقتات الجيف
خمس حزيران اللعين
على رفاتك
نقش الشيطان اسمه
وختم الحزن الذى
يقتل فى الروح الأمان
خمس حزيران اللعين

لقد رأيت فوق وجنتيك
دمعتين
وفى أحشائك لهيب نار
وفى جبينك المرجوم ألف عار
لقد جعلت أمسنا ويومنا
وربما لغدنا
مواطن احتقار

ويوضح الشاعر أثر هذه الهزيمة على نفسية الانسان العربى ، ومدى ما تركته من نظرة قاتمة على مصير هذه الأمة حتى لتخجل أن تذكر أمجادها ، وماضيها ·

وسنين خافضات الرأس
ثم تمشى خلفها
نتلوى فى مواكبها الأليمة
تطلع الشمس مع اليوم الحزين
دمعة فى كل بيت
صرخة فى كل حى
آه ما أقساك يا مر الهزيمة
كل التواريخ غدت فى عين أطفالى هراء
كل أمجادى عار أن تقال
كل ماضى هباء
لم أعد أقوى على رؤية اشلاء وجودى
أو أرى طفلى يقتات البكاء
دون أن يعلم ما طعم الهزيمة
عندما داست أقدامك فينا الكبرياء
وغدا الليل عواء
وغدا الليل بكاء
وغدا الليل حكايات حزينة (٣٢)

والقصيدة مع حيوية موضوعها ، وعمق أثره على كل نفس ، وخاصة بالنسبة لنفسية الشاعر أو الأديب ، الا أن

---

(٣٢) القصيدة من مخطوطة لدى الشاعر · مبارك بن سيف ·

المعالجة عند الشـــاعر جاءت فاترة نوعا ما · بسبب بعد الشاعر عن الاسلوب الشاعرى الذى يمتاز بالايحاء ، وبقدر بعده عن ذلك كان اقترابه من الاسلوب العادى النثرى البعيد عن الايحاء ، أو النغم الموســيقى · فالاســلوب التقريرى المباشر ، وتسطيح المعانى · هو السمة الغـــالبة على هذا النص · وكل ذلك راجع الى نوعية التجربة ، ثم مدى قدرة الشاعر على التوصيل والتعبير عنها ·

ولعل قصيدته التالية (رســالة الى سجان) أو أجراس القدس : التى يصور فيها على لسان أحد السجناء المناضلين صمود الفلسطينيين أمام الطغيان الصـــهيونى · قد توافر سمات الاسلوب الشاعرى فيها · واتخاذ موقفا معينا تجاه هذه القضية على لسان الفدائى · خلاف القصيدة الســابقة التى صور فيها المأساة تصويرا خارجيا دون أن يتخذ موقفا محددا تجاهه · اللهم الا ذلك الموقف السلبى الباكى الراثى للواقع الذى يعيشه الانسان العربى ·

أما قصيدته التالية فهى أرحب من ذلك أفقا وعمقا :

أنا فى عقر زنزانة
أصيخ السمع للأجراس فى القدس
تزف الحب للانسان
وترقب مولد الانسان
ورقمى خمس وثلاثون بعد الألف والمائة
تغطى جسمى المسلول والمحروق بالجمر
بقايا بدلة صفراء كاكية
كلون الموت والغـــدر

ثم يصور الشاعر فى الفقرة التالية صلابة هذا السجين المناضل وتحديه لسجانيه ، وأنه مهما عمل به العـــدو من النكاية والتعذيب ، فان ذلك لن يثنيه أو يفنيه ، فهو باق بقاء المسجد الأقصى على أرضه ·

فالأرض هنا بزرعها ، بتينها وزيتونها تعرفه وتتعــاطف معه ، حتى شوكها يحن على قدمى هذا المناضل فلا يؤذيه ·

والأرض هنا تحن على هذا المناضل وتتستر عليه ، وتخفيه عن عدوه ، فهذا المناضل باق بقاء الأرض التى لا تفنى ٠ وهو ما يعبر به الشاعر على لسان السجين عن استمرارية الثورة والنضال ٠

أنا يا زارع الصلبان فى أرضى
وسارق قوت أولادى
ونابش قبر أجدادى
لتفنينى !
أنا باق بقاء المسجد الأقصى على أرضى
وأما سوطك القاسى فلن - أبدا - يعذبنى
ولا وشم الجروح الحمر ترهبنى
ولا سلخى ولا قتلى ولا تقليع أظفارى ٠٠
سيؤلمنى !
فهل تعلم جلادى بأن الأرض تعرفنى
غصون التين والزيتون تعرفنى
وحتى شوكها يحنو على قدمى
يضم الأرض عن عينيك
يخفينى
وهل تعلم جلادى
بأنى مثل هذه الأرض
وان الأرض لا تفنى
وانى مثل هذا الصخر ٠

ثم يختتم رسالته متحديا ومفتخرا بهذه الأمة فهو ينتمى الى أمة لا تعرف اليأس وهى قد تعودت على مواجهة الصعاب ، والأزمات منذ القدم ، وحولت كل هذه الأزمات والصعاب الى آيات من المجد ٠ وقد ثبتت قواعد الحق والايمان فى الماضى وهى تبذل النفس والدم لكى تجنى من ثمارها الحرية ٠

اليك أقول جلادى :
جعلت مدينتى الشماء معتقلا
ومن بيارة الزيتون لى محجر

وحتى من بيوت الله حانات ٠٠٠ فلم أكفر
أنا من أمة وضعت لهيب الشمس فى المهد
وصاغت من صخور الأرض آيات من المجد
لتبنى للعلا بيتا
وترسى صادق الوعد
بنور الحق والايمان والقرآن مهدية
أنا من أمة بالدم مروية
سقيناها ونسقيها
لتطعمنا ثمار الموت حرية
فهل خبرت جلادى ؟
وهل تعلم ؟ ! (٣٣)

وهنا نجد أن هذه القصيدة تشترك مع القصيدة السابقة (الذكرى الأليمة) لنفس الشاعر ٠

فى كونهما تجديدا فى الشعر القطرى شكلا ومضمونا الا أن القصيدة الأولى السابقة تقصر من الناحية الفنية عن هذه القصيدة فى حين أن القصيدة الأخيرة ، قد توافر فيها حسن النظم ، ووضوح الموسيقى الى جانب الترابط وعمق التجربة الى حد ما ٠

والى جانب هذا التجديد نجد بعض القصائد التى ظلت تحتفظ بالطابع التقليدى فى الشكل والمضمون على نحو ما نرى فى بعض أشعار الشاعر (مبارك بن سيف) الذى أخذ ينوع قصائده بين الاتجاهين الاتجاه التقليدى ، والاتجاه التجديدى ٠ ومن تلك القصائد التقليدية قصيدته التى نظمها فى وصف الخليج والفخر بماضيه ويستهل هذه القصيدة بوصف الخليج ، وجمال ضفافه (شواطئه) وخاصة عندما تنشر الشمس أشعتها عليه فيزداد رونقا وجمالا ٠

وعندما يجلل الليل بظلامه تلك المياه فتنعكس صورة كواكبه فى هذه المياه فتزداد أبهة وجمالا وجلالا ٠ وأشجار النخيل الباسقة ، وظلالها الوارفة ، يضفى على هذه الطبيعة روعة وجمالا ٠ والفتيات فى تنقلاتهن بين تلك الأشجار يشبهن الظباء فى خلواتها ٠

---

(٣٣) القصيدة مخطوطة لدى الشاعر ٠

أمياك من ماء الجنـــان عطاء
أم من ضفافك دفقت صهباء (٣٤)
يا خير من أنس الوجود جمـــاله
ان الحيــاة بحســنه زهواء
يا بحر انى قد عجـزت عن الرؤى
واحتار فى وصف الجمال ثنــاء
وعجزت عن وصف الضفاف اذا الضحى
نشر الضـــياء عليك فهـو رداء
والليل ان أرخى عليك ســدوله
عكست ميـــاهك ما حوته سماء
فالموج ليل والنجـــوم جواهر
والبـــدر فيـــه درة ميســاء
أما نهــــارك فاللجين بديله
والنخل غيد ظلهن خبــــاء
وترى العذارى قد خلين بساحة
تحت الكثيب وهمسن حيـــاء
فكأنهن الريم فى خلواتهـــا
وكأنهن اذا مشين ظبـــــاء

ثم يستنطق الخليج ويطلب منه أن يخبره بما مرت عليــه من حضارات ، وما جرت عليـــه من حوادث ، وليت هذه الرمال تخرج عن صمتها وتخبرنا بما جرى عليها ، فلو أنها فعلت ، لأتت بتاريخ يضىء به مشـــارق الأرض ومغاربها - ولكن صمتك يا خليج وحده ينبىء بهذه العظائم والجلائل .

يا حارس التـــاريخ هل أخبرتنى
فعلى رمالك ترقد الأنبـــاء
وتنام تحتضن الحياة لو أنهــا
يا بحـــر تصحو أنهـــا آلاء
لأتت بتـــاريخ تضىء بملئـــه
صفحات أرض عبدت وفضــاء

لكن صمتك خصـــلة محمودة
فالصمت فى حسن البيان ذكاء
فلقد رأت عيناك ألف حضـارة
رواها ذ اك البحــــر والغبراء

ثم يتحدث عن تلك الحضـارات التى بنيت على ضفافه ، وعن أولئك العظماء والمغـــامرين الذين هفوا اليه طمعا فى السيطرة على خيراته ، ولكنه لفظهم فذهبوا كما جاءوا ٠ فقد دهمه الفينيقيون وسيطروا عليه فترة من الزمن ، ثم كانت قد تحطمت عليه مطامع الاسكندر الأكبر ٠ حتى جاء نور الهدى وانتشرت على ربوعه راية الحق والاسلام ٠

فبنوا قصور الملك فوق ضفافه
وهفـــا اليك الشم والعظمـاء
أين الأباطرة العظـــام وملكهم
مروا عليك كما يمر ســـناء
أين الغزاة الطـامعون وجندهم
ذهبوا كما شدوا العتاد وجاءوا
أين أســـاطيل الغزاة وبأسهم
ذهبوا ولم تبق ســوى الأصداء
قـــد كنت للفينيق أول منزل
شـــهدت له الأنواء والأسماء
ورأيت ذا القرنين فوق حصـانه
والجيش يزحف حـوله الأسراء
ورأيت نور الحق فى رسـل الهدى
فالكل فيـــه رفعـــة وبهــــاء
وشهدت عهد النـور فى ريعـــانه
وشـــهدت فوقك تزحف الظلماء

والخلاصـــة :

ان الشعر فى هذه الفترة وعند جيل الشباب المعـــاصر لا تكاد تتبلور ملامحه بصورة واضحة ، حيث أنه لا يزال فى طور النمو وبداية الطريق ومن الصعوبة أن نحدد الاتجاهات أو تصنيفها على أساس علمى دقيق ٠

كما أن هذا النتاج الى جانب عدم النضج الفنى الكامل فيه وضوح التجربة واكتمالها كذلك هو نتاج ضئيل من حيث الكم ، لذلك فهو نتـــــاج محدود كما وكيفا ، وقد حاولت فى دراستى له فى الصفحات الماضية ، الاحاطة بأهم القصــائد التى ظهرت من نتاجهم وتصنيفها وذكر نماذج منها ٠ فأتضح من خلال هذه النمـــــاذج أن أغلب هذه الأشعار تدخل فيما يعرف بالشـــعر الوجدانى ذى النزعة الرومانسية وأن أهم موضوعاتهم والأفكار عندهم تدور حول الانســـان وصلته بالبحر ، واعتبرنا أن هذه النزعة مردها الى سببين أولهمـا التقليد والاتباع للمذهب الرومانسى ٠ وثانيهما : هو الواقع، وصراع التغيير الذى تشهده المنطقة ٠ وكذلك لاحظنا أن هذا التجديد عند هذا الجيل لم يقف عند الموضوعات والمضامين والأفكار بل تعداه الى الشكل الخارجى للقصـيدة ، فظهر ما يعرف بالشعر الحر ، والشـعر المرسل ، أو المطلق الذى يعد ثمرة التأثر بالآداب الحديثة ٠

ونحن فى دراستنا لهـــــذه الحركة أو النزعة التجديدية حاولنا كما سبق أن ذكرنا الايجاز والاختصار وعدم التعميم فى الأحكام للأسباب السالفة،لذلك فقد ذكرت نماذج محدودة، ولعلها أهم الأشعار التى ظهرت حتى الآن وأفضلها مما نشر ٠

الفصـــل الثـــالث

الشـــعر النبطى

ـ ١ ـ

قد يكون هذا الفصل دخيلا على بحثنا ، الذى يهتم بدراسة الأدب الفصيح والتأريخ له · الا أنه نظرا لكثرة هذا الشــعر النبطى وانتشاره فى قطر وخاصة فى المرحلة الأولى ـ رأيت أن أخصص له هذا الفصل لاعطاء فكرة سريعة عنه وعن أهم أعلامه ، وأهم الموضوعات والأغراض التى تناولهــا دون الافاضة فى ذلك · لأن هذا النوع من الشعر لابد أن يكون له موضع آخر وبحث مستقل وأناس متخصصــون فى هذا المجال يستطيعون سبر أغواره ومعرفة أصــوله وفروعه ، وفنونه واتجاهاته وخصائصه · وقد عنى بهذا النــوع من الأدب فى هذه الفترة مجموعة من الباحثين والدارسين الذين عرضوا لدراسة الشعر النبطى منهم الشــاعر والأديب : عبــد الله بن خميس فى كتابه (الأدب الشعبى فى جزيرة العرب) والأستاذ شفيق الكمالى فى كتابه (الشــعر عند البذو) · كما خرجت الــكثير من الدواوين التى تحمل بين طياتها هذا النوع من الشعر ممــا يدل على العنــاية به ، واعتباره جزء من التراث لهذه الشعوب ·

وتسميته بالشعر (النبطى) نسبة الى الأنباط والأنبــاط جماعة أو شعب كان يقطن المناطق الشمالية من جزيرة العرب وينتشر بين العراق وسوريا ، وفلسطين · وكانت (بطرا) عاصمة لهم فى جنوب فلسطين · ومدينة (بصرى) بحوران فى الشام كانت عاصمة أخرى لهم · وظهــرت أقوى امارة لهم فى (تدمر) التى حاربهــا الرومان وأسروا ملكتهم (زنوبيا) وقضوا على دولة الأنباط فيها (١) ·

---

(١) العصر الجاهلى · د · شوقى ضيف ص ١١٥ ·

وكلمة نبط جاءت لهذه الجماعة من سكناهم سواد العراق في بادىء الأمر واستنباطهم ما يخرج من باطن الأرض (٢)· وقد كانت العرب تنظر الى الأنباط على أنهم أقل مرتبة منهم وذلك ربما يرجع الى سببين : أولهما لامتهان الأنباط للفلاحة والزراعة ، والعرب كانت في القديم تمقت هذه المهنة وتستصغرها · وثانيهما : أن الأنباط كما يعرف من تاريخهم ليسوا عربا خلصا (٣) ، وانما كانت لغتهم تشوبها العجمة ، وتكثر فيها الألفاظ الدخيلة وربما ذلك يعود الى كثرة اختلاطهم بالشعوب الأخرى وتأثرهم بها ، وخاصة (الآراميين) الذين استعملوا أبجديتهم · كذلك اختلطوا بالرومان ، والمصريين ، والعبريين (٤) · فشاب لغتهم الكثير من الدخيل واستعجمت بعض الألفاظ عندهم · هذا اذا كانوا في الأصل من العرب أما اذا كانوا خلاف ذلك فان هذه العجمة أصيلة في لهجتهم ، ولم يستطيعوا التخلص منها حتى عندما استعربوا · ولما كان الشعر العامي (النبطي) منظوما باللهجة العامية التي تستغلق بعض المعاني فيها أحيانا على السامع خاصة اذا كان من خارج البيئة التي نظم فيها هذا الشعر ومن اقليم آخر فقد اطلقوا عليه (نبطي) كناية عن عدم فصاحته ووضوحه ، وخروجه على اللغة الفصيحة · ولعل ما يقرب هذا المعنى قول أبي العلاء المعري :

أين امرؤ القيس والعذارى
اذ مال من تحته الغبيط
استنبط العرب في الموالي
بعدك واستعرب النبيط (٥)

وهكذا نجد أن هذه التسمية لحقت هذا النوع من الشعر

---

(٢) الادب الشعبي في جزيرة العرب · عبد الله خميس ص ٢٧ ·

(٣) المصدر السابق ص ٣٨ ·

(٤) العصر الجاهلي · د · شوقي ضيف ص ١١٥ ·

(٥) الادب الشعبي عبد الله خميس ص ٣٨ ·

لخروجه على اللغة الفصحى والشعر العربى · وهذا الخروج يتمثل فى اللغة المستعملة فيه وهى العامية وما يتبعه من عدم التزام بالنحو والتصاريف للفظ على المقاييس العربية · ثم خروجه على الشعر العربى فى عدم التزامه أيضا بالأوزان العربية المعروفة فى الشعر وهى بحور الشعر الستة عشر التى تعارف عليها العرب منذ نشأة الشعر العربى حتى وضع أصولها الخليل بن أحمد فى خمسة عشر بحرا ، واستدرك عليه الأخفش بحرا واحدا سماه المتدارك ·

وهنا بامكاننا القول أن الشعر النبطى قد يكون نشأ طبيعيا نشأة نابعة من وجدان الشعب كما نشأ الشعر العربى وتطور حتى وصل الى ما وصل اليه · فلم يكن الشعر العربى ناشئا عن تقليد لشعر آخر وعلى هذا فالشعر النبطى نشأ تلبية لطبيعة استدعته فعندما عجز هؤلاء الشعراء عن النظم بالفصحى أخذوا يعبرون عن مشاعرهم وأفكارهم باللهجة العامية التى يتداولونها فى حياتهم اليومية · وبمثل خروجهم على الفصحى كان خروجهم على الأوزان العربية والجرى على الأوزان التى تتناسب مع أذواقهم ، فالأوزان التى يدور عليها الشعر النبطى نشأت كالأوزان التى نشأت فى الشعر الفصيح · وبناء على ذلك فانه من المحتمل أن لا تكون لهذا الشعر صلة بالأنباط ولم يؤخذ عنهم ، وان هذه التسمية قد وردت اليه كما سبق أن أشرنا عن طريق خروجه على الفصحى فوسموه بالنبط استهجانا له فسارت عليه هذه التسمية (٦) · وهذا ما ذهب اليه (الأستاذ) عبد الله خميس فى كتابه المذكور · وقد سبقه الى ذلك ابن خلدون فى مقدمته (٧) ·

واذا سلمنا بهذه النشأة للشعر النبطى فلا مكان لما يراه الأديب عبد الله خميس من أن أهل الحاضرة كانوا أسبق فى التأثر بهذا النوع من الشعر من أهل البادية حيث يقول :

---

(٦) الادب الشعبى · عبد الله خميس ص ٤٩ .وما بعدها ·

(٧) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٨ ·

(ويبدو أن حاضرة الجزيرة العربية ، كانوا أقدم من باديتها تأثرا بالشعر النبطى ، لأننـــا نجد الحاضرة سريعة التأثر والتقليد للغير ، وذلك بحكم صلتها بالأمم بواسطة التجارة، والعلم والنقلة ··· ومن باب أولى أن تتلقف الحاضرة شعر النبط قبل البادية ···) (٨) ·

فاذا اعترفنا بنشأة الشعر النبطى على أنه شـعر عربى النشأة كما أسلفنا وكما رجح ذلك الأديب عبد الله خميس ، فانه لا مجال هناك للتقليد والأخذ عن الغير ، أو القول بأن أهل الحاضرة هم الذين تأثروا به أولا ·

- ٢ -

وبعد ماذا عن هذا النوع فى الشـعر القطرى الحديث ؟ ومن هم أهم شعرائه ؟ وما الموضوعات التى دار حولهـا شعرهم ؟ وما الفرق بينهـا وبين الفصيح من حيث أسلوب المعالجة وما مدى تمثيل هذه الأشعار للواقع والبيئة ؟ ··

ان الاجابة على هذه التساؤلات سـوف يتضح من خلال الصفحات القادمة والتى سوف ندرس فيها بصورة موجزة أهم أعلام هذا الشعر وأغراضهم ، وأسلوب كل منهم وطريقته فى التعبير ·

والشعر النبطى هو الفن الغالب على نتاج المرحلة الأولى كما أشرنا الى هذا عند حديثنا عن الشعر فى المرحلة الأولى، وقلنا ان ذلك راجع الى الأمية وعدم انتشار التعليم ، وضعف الفصحى ، فهذه الأمور أدت الى رواج الشـعر النبطى ، بالاضافة الى سعة انتشار هذا الفن فى المنطقة بصـورة واضحة ·

---

(٨) الادب الشعبى عبد الله خميس ص ٥٤ ·

وأغلب الموضوعات التى دار حولها الشعر النبطي وطرقها شعراؤه هى الغزل ، والفخر ، والمساجلات التى كانت تدور بينهم • والأخيرة غالبا ما يغلب عليها موضوع الغزل • الى جانب بعض الموضـــــوعات الأخرى كالرثاء ، والوصف ، والمديح الا أنها موضوعات لم يكثروا فيها النظم وهنا نجـد أن هذه الموضوعات تقليدية طرقها الشـــعر الفصيح الا أن الفرق يظهر واضحا فى أهمية هذه الموضوعات وتغلب جانب على آخر فيها فمثلا شعر الغزل نجده أقل الموضوعات تناولا لدى شعراء الفصحى أما النبطيون فقد أكثروا منه ، بل انه كاد البعض أن يقتصر على هذا الفن • كما سوف يتضح • وأتى الغزل هنا مقصـــــودا لذاته ، وليس وسيلة ومقدمة لمديح ونحوه ، كما لاحظنا عند المدرسة التقليدية •

ويأتى الفرق أيضا فى أن بعض الأوصاف والصور الفنية عندهم أكثر التصاقا بالبيئة ، فهى هنـــا منتزعة من الواقع ـ فى الغالب ـ وليست تقليدا للصور والأوصـــاف القديمة فحسب • وان ظل بعض الشعر النبطي يردد بعض الصـــور والأوصاف التقليدية باسلوبه العــامى • والنهج العـــــام للقصيدة الطللية ظل عند البعض بل انه غلب بكاء الأطلال ومناجاتها ، على معظم قصائدهم الغزلية وهنـــا لا نستطيع أن ندعى أن كل ذلك تقليدا ومجـــاراة للأقدمين ، لأن معظم هؤلاء الشعراء النبطيين قد عاشوا عيشة بدوية فى الفترة السابقة من حيث التنقل من منطقة الى أخرى • وكذلك كون وسيلة التنقل عندهم هى الناقة ، لذلك فســـوف نجد هذه المعانى والأوصاف تبدو صورة طبيعية لواقعهم فى الغالب ، وليست تصنعا • وأخيرا يبقى هناك الفارق الكبير بين الشعر الفصيح ، والشعر النبطي فى أن كلا منهما كان فنا مستقلا له خصائصه الفنية التى لا يمكن تطبيق خصائص أحدهمـــا وقوانيه على الفن الآخر • وسبق أن أوضحنا أن الشـــعر النبطي يخرج على القواعد والقوانين التى ينخرط تحتهـــــا الفصيح ، من التزام بقوانين النحو ،واللغة وتصريف الكلمة،

ثم أوزان الشعر وبحوره المتداولة · كل هذه الأمور لا يخضع لها الشعر النبطى ·

١ ـ الشيخ قاسم بن محمد :

ولعل أول ما يصلنا من الشعر (النبطى) فى قطر هى أشعار الشيخ قاسم بن محمد بن ثانى وهو أحد حكام قطر والمؤسس الفعلى للدولة الحديثة كما سبق أن تحدثنا عن ذلك (٩) · كما أننا تحدثنا عن ثقافته ومكانته العلمية فى الفصل الخاص بالحياة الثقافية · ويبقى لنا الحديث الآن عن ديوانه ، وشعره ، وكما يذكر الدكتور (عبد الله العثيمين) نقلا عن الشاعر خالد الفرج أن ديوان الشيخ قاسم بن ثانى هو أول ديوان يطبع فى الشعر النبطى (١٠) · وقد طبع هذا الديوان عام ١٩١٠ م ، ١٣٢٨ هـ فى الهند وطبع بعدها أربع طبعات كان آخرها الطبعة الخامسة عام ١٩٦٩م ، وألحق بالديوان مجموعة من القصائد لشعراء آخرين ، منهم ابن صاحب الديوان (على بن قاسم) والشاعر الكويتى عبد الله الفرج وقصائد لشعراء آخرين · أما قصائد صاحب الديوان فهى لا تتجاوز العشر قصائد ، منها قصيدتان فى رثائه لاحدى زوجاته ، والقصائد الأخرى كلها قصائد سياسية تتسم بالفخر ويدور أغلبها حول الوقائع والمعارك التى خاضها ضد خصومه · وأشعاره تغلب عليها الروح الدينية، وهى سمة ظاهرة فى كل قصائده · فهو كما ذكرنا فى موضع سابق شديد التمسك بالمذهب الوهابى ومن المتحمسين له ، وقد سخر نفسه وماله فى خدمة الدين ، وجعل من نفسه واعظا وقاضيا للبلاد ··· ولاشك أن هذا التأثر والتمسك أخذ يلازمه فى أشعاره أيضا · وأشعاره تمثل بصدق جانبا

---

(٩) أنظر الفصل التاريخى ·

(١٠) الشعر النبطى كمصدر لتاريخ نجد · د · عبد الله عثيمين · (من بحث ألقاه فى الندوة الأولى لدراسة تاريخ الجزيرة العربية) ·

من الحياة فى تلك المنطقة وحوادثها ، وكل ما خاضته البلاد من معارك ، وما تعرضت له من هجمات فى تلك الفترة ٠

فمن قصيدة له يصف فيها احدى المعارك التى جرت بين قطر والعثمانيين يقول فيها : (١١)

ثلاثين ليلة ما غمض الجفن الكرى
أعالج بهـا للنـــايبات أفكار
أعالج بهـــا نفس وقلب توافقن
بطرق المعالى النـايفات اصغار
قلب يوردنى ونفس تســـوقنى
لمـــوارد عز حولهن اخطـــار

فالشاعر فى الأبيات الثلاثة الأول يصــور لنا ذلك القلق والصراع النفسى الذى يعيشه طوال ثلاثين يوما ، وهو يفكر ويقلب الأمور ازاء الموقف الذى يحب اتخاذه فى مواجهـــة الأتراك ، ولكن نفسية الشاعر التى تأبى الضيم وتربت على العز والثبات فى مواجهة الأخطار تسوقه الى مواجهة الموقف بشجاعة رغم مخاطره ٠

ثم يصور لنا بعدها صورة للجيش الغازى وقوته وكثرة عدده ويبين مدى ما كان يثيره هذا الجيش من رعب فى قلوب الناس ، وخاصة أولئك الذين مر هذا الجيش بأرضهم ،وكيف كانت الدول تخاف الجيش التركى كالنصـــارى ، والعجم وغيرهم حتى ان البدو الذين مر بهم الجيش فزعوا منه وفروا هاربين ٠٠

تبين لنا من مغرب الشمس عارض
من الشام غطتظلمته الأقطار (١٢)

---

(١١) ديوانه ص ٣٠ ٠

(١٢) عارض : يقصد به جيش الأتراك ٠

فأرجف بدولات النصارى مع العجم
وغدا منــــه بقلوب الملوك اذعار
فســاعة غشى هجر باهلها تزلزلت
وكل حفر له وسط سربه غار (١٣)
وفرت جميـــع البــدو منه مهابة
ومحابيسهم بالدار تين اسطار (١٤)

ثم يفتخر الشاعر بموقفه فى وجه هذا الجيش الغــازى وكيف ناجزه الحرب ، فهذا الجيش الطاغى البــاغى كان يريد منهم دفع الخراج عنوة ، ولكن أنى له ذلك ، فليس له عندهم الا حد السيف ، والمناجزة على ظهور الخيل الأصيلة عليها من أولئك الفتيان الذين سموا للمعالى منذ الصغر فهم لا يهابون الموت ..

وحدر علينا طاغى يقشع الصــفا
من البغى بأحكامه علينــا جار
يســايلنا بالخسر والخسر عندنا
مراكيض صدق فوق قب امهار (١٥)
عليهن فتيــان وكل مجــرب
سمو للمعالى النــايفات اصغار
يردون بهــا حوض من الموت مكدر
ســوابح ما يلزم لهن اعذار (١٦)

ثم يصور لنا الشاعر ســاحة المعركة ومكانها ، وما دار فيها من قتال ثم هزيمــة الجيش التركى ، وفراره من أرض المعركة وتركه للكثير من معداته ، ولجوئه الى البحر هربا .

---

(١٣) هجر : منطقة الاحساء ...

(١٤) وسجناؤهم فى السجون صفوف طويلة ..

(١٥) الخر : الخراج . أى يطلب منا الخراج . قب : الأمهار (أنثى الخيل) .

(١٦) ما يلزم لهن أعذار : أى لا يثنى هذه الخيل عن سرعتها شد اللجام الذى يمسك به الفارس .

من قصر صبحا قبل مطلاع شمسها
الن غابت فى شفق الأسحار (١٧)
وحنا نصـــاغيهم على غير شفهم
يمين ومن بعد اليمين يســار (١٨)
وخرع الهنــادى من عوالى متونهم
وضمن برمى المارتين قــرار (١٩)
وضرب بحد المشرفيـــات راكد
غدت منه روس الباغيين اشطار
فلكن طوابير البرنجى طليعـــــه
غنم تشـــاغى بين يدي جزار (٢٠)
فمن يوم عاين طاغى الروم ضربنا
تزعزع قلبه من ضميره طار (٢١)
فخلى لنا الطاغى مقــاود عساكره
ورخص لنـــا بالمارتين ونار (٢٢)
خمس امية صرعى وحن فى اطلابه
وعب البحر عنا بغير اوزار (٢٣)
فكم طاغى قبله عسفناه واهتــدى
وهو كان ما ينظر حد بابصـــــار

ثم يحمد الله ويشكره على هذا النصر العظيم الذى نصرهم

---

(١٧) قصر صبحا : فى الوجبة (وهى روضة صغيرة غرب الريان) ٠

(١٨) نصاغيهم : نناجزهم على غير شفهم : على خلاف ما يريدونه ٠

(١٩) وضمن برمى المارتين : أصاب بدقة ٠ والمارتين : نوع من البندقيـــات (بندقيات) ٠

(٢٠) فطلائع الجيش التركى عندما حاقت بها الهزيمة تعالت أصـــواتها خوفا وفزعا وكأنها ثغاء الغنم بين يدى الجزار ٠ (البرنجى : الفرنجى) تسمية الأتراك بالافرنج ٠

(٢١) طاغى الروم : يقصد به الأتراك ٠

(٢٢) ونار : هرب ٠

(٢٣) بغير أوزار : أى فر تاركا ملابسه ٠ (والأوزار) قطعة من القمـــاش يرتديها الرجال (خاصة فى البحر) وهى شـــبيه بالاحرام ويستر من الخصر حتى القدمين ٠

على هذا العدو الباغى ٠ وكان قد تحاملت عليه الدولتين وهم الأتراك ، والانجليز ، وقد طلب من حاكم البحرين وأبى ظبى العون والمساعدة ولكنهم لم يلبوا طلبه ، فعوضه الله بنصر من عنده ، وأعزه كما أعز الأنصار والمهاجرين ٠٠

فذا فعـــل ربى كل ما طاغى طغى
خـــلاف التكبر ذلة واصـــغار
تحاموا علينـــا الدولتين وتبعهم
يقـــولون ما لك فى الدار قرار
تعاطوا علينا من الكويت الى الحسا
دجاج تنقـــر بلا منقـــار
هذاك حاسدنا وذا شامت بنـا
على بالهم انا حمـــايم دار
فسـبحانك اللهم مالك كل من ملك
شـديد عقـابك قادر قهـــار
تعز بالطـاعة ضعيف لجـابك
وتذل بعـزك طاغى جبـــار
ولك حكمة ما تبلغ النـاس كنهها
ولك فى عبـادك خافيات أسرار
فنرجوك يا للى عزنا وانتصر لنـا
كما عز من هاجر مع الأنصـــار
عساك تجعلنا من أنصـــار دينك
وتعلى بنا للمسلمين منـــار

وهكذا نجد أن أغلب قصائد الديوان تصور هذه الحوادث والمشاكل التى كانت تواجه البلاد ابان استقلالها ، وتأسيسها ككيان سياسى وجغرافى مستقل ٠ فديوان الشـيخ قاسم بن محمد يعد بحق مصدر من مصادر التاريخ القطرى ، للفترة التى عاشها صاحب الديوان ٠

وشعر الشيخ قاسم يعد أيضا بصدق صـــورة لنفسيته

الأبية ، وفكره الدينى المتأثر بالمذهب الوهابى • الثائر على كل فساد ، وانحراف عن سبيل الجـــادة التى رسمها الدين القويم ، لذلك غالبا ما نراه فى معظم قصائده يرى أن حروبه ومعاركه انما تكون معارك بين الحق والبـــاطل بين الكفر والفسق وبين الايمان والتقوى •

فبـــذا رقينـــا شامخات الجبالى
عن ملك دولات وعن حكم قانون (٢٤)
ومع ذا نوالى كل من لك يوالى
ونبغض جميع اللى لغيرك يوالون
عبـادة الأوثان حزب الضـــلالى
بأصـــنامهم وأوثانهم يســـتغيثون
ومحـــاربين الله عزيز الجـــلالى
ومحـــاربين اللى بدينـــه يدينون
تجمعـــــوا ما بين جافى وغالى
عدوان للدين الحنيفى يســـوون
وجونا خبيثين العمل والفعـــالى
اللى عن احكام الشريعة يحيدون (٢٥)
نكاحة الذكران مرد العيـــالى
وهم للفواحش والخمـر يستحلون
يبون ملك ارقابنـــا والعيـــالى
وتمشاة حكم اللى يبونه يمشون (٢٦)
فـرحب بهم اللى من الدين خالى
عبـــادة الدينار بالدين يشرون (٢٧)
وتبـــدلو بالسحت بعد الحـــلالى
وهم ياعظون الناس عما يسرون (٢٨)

---

(٢٤) ديوانه ص ٢٧ •

(٢٥) جونا : أتوا الينا •

(٢٦) يبون : يريدون ، ويرغبون • وتمشاة حكم : تنفيذ احكام •

(٢٧) اللى : بمعنى الذى •

(٢٨) يا عظون : يعظون •

وهكذا يكون شعره صورة صادقة لأحداث عصره ، كما هو صورة لنفسيته وتعبيرا عما يحمله من أفكار وطموحات (٢٩) ٠

٢ - الفيحاني :

هو الشاعر محمد بن عبد الوهاب الفيحانى ، ينتهى نسبه الى قبيلة (الدواسر) ٠ ولد الشاعر عام ١٩٠٧ م وتوفيت والدته وهو فى عامه الأول ٠ وكان والده يعمل فى تجارة اللؤلؤ كما كان وكيلا لأعمال الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى ٠ ولما كبر ابنه بعث به الى مدارس الكويت لكى يتعلم هناك ، ولكن شاءت الأقدار أن يتوفى الوالد بعدها بفترة وجيزة ويعود الشاعر من بعثته (٣٠) ٠

وأخذ الشاعر بعدها يعمل فى البحر ، وصيد اللؤلؤ ، وقد ظهر أثر هذه المهنة على شعره ، حيث نجد الكثير من الألفاظ ، والتعبيرات ذات الصلة بهذه المهنة وبالبحر تتردد فى أشعاره :

نحو قوله : (٣١)

وفيها آه ، وا ويلى غرقنا
وهدينا الجدا وبها سنينا (٣٢)

وقوله : (٣٣)

ودا نوقى من الضابج مقرب
سحب ما وثقوا لك العتادى (٣٤)

---

(٢٩) أنظر حول هذا الموضوع مقالة للأستاذ محمد جابر الأنصارى فى مجلة الدوحة عدد يولية ١٩٧٧ م ٠

(٣٠) ديوانه ص ١ ٠

(٣١) ديوانه ص ٦ ٠

(٣٢) سوف يأتى شرحه ٠

(٣٣) المصدر السابق ص ٢٣ ٠

(٣٤) الدانوق السفينة الصغيرة ٠ الضابج : الصخور الناتئة فى البحر ٠ لك العتادى : أى لم يثبتوا أو يرسخوا المرساة ٠

وقوله : (٣٥)

يوم شافونى مكرف
ناوويين يطبعونى (٣٦)
يدهقونى بهبايب
فى دواليب وسوايب (٣٧)
يحسبون انى رعاعة
يطبع ان كرف شراعه (٣٨)

وقوله : (٣٩)

لايث بغبة بحر
والموج غطى التفر (٤٠)
الغيص لى شاف روحه
قامت بتظهر نبر (٤١)

أما ثقافته : فيبدو أنه كان أكثر تأثرا وقراءة للشعر النبطى من قراءته للشعر الفصيح حيث نجد أن معظم أعلام الشعر الذين يتمثل بهم هم من شعراء النبط من أمثال ابن لعبون ، والشاعر محسن الهزانى وغيرهم من شعراء النبط : (٤٢)

---

(٣٥) ديوانه ص ٣١ .

(٣٦) مكرف : يكون فى السفينة الشراعية عندما يضرب الهواء فى الشراع بعكس اتجاهها ، فتدور السفينة حول نفسها أو ترجع للوراء . يطبعونى : الطبع : الغرق .

(٣٧) يلاحقونى بالرياح والعواصف .

(٣٨) الرعاعة : مركب صغير .

(٣٩) ديوانه ص ٣٧ .

(٤٠) لايث : يسبح مع الأمواج تتلاعب به . التفر : مؤخرة السفينة .

(٤١) الغيص : الغواص . نبر : جذب الحبل المتصل (بالسيب) فى أعلى السفينة لانقاذه .

(٤٢) ديوانه ص ٢٣ .

مشيت بما مشى راعى الحريقى
وبن لعبون والحزب العتيقى (٤٣)

وقوله : (٤٤)

والهوى قبلى تلف عبــد الرحيم
واستجار من الهوى عبد السلام (٤٥)
واستغاث من الهوى راعى القصيم
وابتلى الناعى على ديم الخزام (٤٦)

أما شعره فانه كما هو واضح من ديوانه أغلب موضوعاته فى الغزل ، وله بعض القصائد فى المديح ، والشــكوى ، والنصائح،والهجاء ،الا أن الغزل هو الغالب على فنه وقد طبع ديوان الشاعر مرتين الأولى كانت ١٣٨٦ هـ ، ١٩٦٦ م والحق به ديوان الشاعر أحمد بن شــاهين الكوارى . والطبعة الثانية عام ١٩٦٩ م حيث طبع ضمن أشعار لشعراء آخرين وسمى الديوان (من الشعر القطرى) .

ويرى بعض الذين كانوا على صلة بالشاعر أن هنــاك مجموعة كبيرة من شعر الشاعر قد ضاعت ، وأن هنــاك بعض القصائد موجودة لدى أقاربه ولكن لم تنشر بعد .. !

وقد توفى الشاعر عام ١٩٣٤ م . ويقال أن سبب وفاته هو أنه أحب فتاة من قومه ، ولكنه لم يستطع الزواج منها ،

---

(٤٣) راعى الحريقى : محسن الهزانى شاعر نبطى . ابن لعبون : الشــاعر محمد بن حمد بن لعبون أنظر الأدب الشعبى فى جزيرة العرب عبد الله خميس ص ٦٥ (خلاف لما فى ديوان الشاعر حيث ذكر الشارح أن اسمه محمد بن عبد الله بن لعبون) ص ٢٣ ديوان الفيحانى .

(٤٤) ديوانه ص ٦٧ .

(٤٥) هو عبد الرحيم البرعى .

(٤٦) راعى القصيم ابن لعبون . والناعى على ديم الخزام : يقصد به الشاعر راكان بن حثلين .. ديوان الشاعر ص ٦٧ .

لوجود ابن عم لها كان قد خطبها لنفسه وهو مقدم على غيره بحكم التقاليد والأعراف السائدة فى المجتمع ٠ فظل وفيـــا لحبه يجتر آلامه وأحزانه حتى قضى عليه هذا الحب بعد أن نقل الى أحد مستشفيات البحرين للعـــلاج ولكن دون جدوى ، فشاع أن الشاعر قد قتله الحب (٤٧) ٠ وقد رثى نفسه قبل وفاته بقصيدة توحى بأن الشاعر فعلا قد كان سبب مرضه وهلاكه هو الحب : حيث يقول :

ما ســـمح قلبى يروح ولا يرى
زول محبوبه ولو هو من بعيد (٤٨)
آه واويلاه يا ليتـــــــه درى
كيف حبه فى حشا روحى يزيد
أو درى أنى منه قد حالى برى
ذايب بالى عقب ما هو حـديد
وأن من الأبعاد موحى المقبرى
يحفرونه لى وموقن بالوعيـــــد
يا لزيمى قول للى يحفـــــرا
يوسع الملحد علشـــان اللحيـــد
ويحجـــز بينى وما بين الثرى
عن عظـــــام ناحلات كالجريد
وانت يا دفان يا اللى تقبرا
يا مهيل الترب بالسرعة مجيـد
حط من فوق القبر حتى يـرى
بنيتين كالنصـــايب له شـهيد
يعـــــرفون القبر من جا ينظرا
يعـــــرفونه قبر مذبوح الوديد
قبر من صـــان المودة واسترا
قبر من لا خان عهد للعهيـــــد

---

(٤٧) ديوانه ص ٢ ٠

(٤٨) نفسه ص ٥٨ ٠

من صـــــبر للحب حتى بترا
زرع قلبه واودعه حب حصـيد
تم عامين بجــــو فى ينسرا
نسر ملهوف الضوارى فى المصـيد
كود ليمن جاه علمى يـــذكرا
وانعتـــــوا قبرى لمعلوقى وكيد
ياتى لقبرى ويذكر ما جـــرى
يوم أنا وياه فى الدنيا عضيد
ويترحم بالـــدعا ليمن درا
يوم خلانى وسط قبرى وحيـــد

فالشاعر فىهذه القصيدة يحس بدنو أجله وبقرب وفاته · فيتألم ويحزن على أنه مفارق الحياة دون أن يرى محبوبه ، بل ان محبوبه لا يعلم أن سبب سقمه ونحول جسمه هو هذا الحب ·

ثم يطلب من صاحبه أن يوصى حفار القبور بأن يوسع له فى اللحد ، ويضع حاجز بينه وبين الثرى فجســـــده ناحل وعظامه كالجريد لا تتحمل التراب · ثم يوصى العامل الذى يدفن (التربى) بأن يضع عـــــلامة مميزة على قبره · لعل محبوبه يزوره فيتعرف على قبره ويترحم عليه · وبسبب هذه المشكلة التى شغلت الشاعر ، وأودت بحياته ، نرى أن معظم أشعاره قد تلونت بهذه النظرة القاتمة الحزينة بسبب فشله فى الاجتماع بمن يحب · فالحظ دائما معاكس له ، والدنيـــا معرضة عنه ·

ما جور يا قلب عن الوصل بقيـــــود
ناحيك عن لاما الحبـــايب بلايا (٤٩)
ما لاح نجمك مزة بس بســـــــــعود
دوبه على عكس الهوى بالهويا (٥٠)

---

(٤٩) ما جور : أجارك الله · ناحيك : مبعدك · لا ما الحبايب : الاجتماع بهم ·
(٥٠) دوبه : دأبه · الهوايا : الضربات ·

ما جتنى الدنيا على حسن مقصـــود
مسكين أنا ما نلت فيهـا هوايا (٥١)

والمتصفح لديوان الشاعر يجد أن معظم قصـــائده فى الغزل ، ولكن غزله يتسم بطابع خاص فهو دائما يتحدث عن آلامه وأحزانه ، وســوء حظه ، فقصـائده كلها بكاء وألم وحسرة ، وقلما ما يتطرق الى وصف الحبيبة بتلك الأوصاف الحسية المعروفة لدى غيره من الشعراء • وانمـــا أغلب قصائده تتسم بالشكوى والأنين مما يقاسيه من ألم الفراق وعدم اجتماع الشمل بالحبيب •

يقول فى قصيدته التى مطلعها : (٥٢)

شبعنا من عنـــاهم وارتوينـــا
وعنـــد رســوم منزلهم بكينا

ويصف لنا الشاعر عمق التجربة فى حبه ، ومدى ما وصل اليه من الانغماس فى هذا الحب ، حتى كاد أن يفقد وعيه ، ويضل الطريق ، أو يشبه نفسه بحـال الغواص الذى ينزل لاصطياد اللؤلؤ فيغمى عليه ، ويفلت الحبل الذى فيه انقاذه من يده ، وهذا يعنى أنه مهدد بالهلاك •

وثرنا فى محبتهم ســـــكرنا
وتيهنا وثرنا مهتدينـــا (٥٣)
وفيهـا آه ، واويلى غرقنـــا
وهدينا الجدا وبها سنينا (٥٤)

ثم يصف لنا آلامه وأشجانه وما يلاقيه من عناء ، وسقم

---

(٥١) ديوانه ص ٢٥ •

(٥٢) ديوانه ص ٥٠ •

(٥٣) تيهنا : تهنا من تاه • وثرنا : ترانا •

(٥٤) هد : فك • الجدا : الحبل الذى يربط به الغواص عند نزوله للبحر ويظل موصولا عن طريقه فى يد رجل آخر على ظهر السفينة • سنينا : أغمى علينا •

فى هذا الحب فى الوقت الذى ينعم فيه محبـوبه بالراحة ، وهو يتلظى بزفرات الحب . وبالمحبة يلين كل قلب ولو كان حجرا فيصبح كالطحين ، ولكن أين ذلك من قلب محبوبه . والشاعر قد تعود النياحة والحنين ، وهذا أمر طبيعى عنده فراعى الهوى سوف يظل ينوح ويتأوه ولو كان تحت الثرى :

تكلفنا وهمْ عنــــا براحة
وذبنـــا وهم عنـــا غافلينا
وناموا وارقدوا و احنا سهرنا
عليهم وهم رويو ا والتظينــــا
وهذا الحب بالزفرات يشــوى
ألا يا ويلـــكم يا عاشـــقينا
يلين من المحبـــــة كل قاسى
ولو قلبـــه حجر يا زى طحينا
وأنا من حـــر فرقاهم عليهم
تعلمت النيـــاحة والحنينـــا
أرى راعى الهوى ما زال يلعى
ولو تحت الثرى يلعى دفينـــا
تحملنـــا الهـــوى حتى هلكنا
ولولا الحب ما والله لعينـــا
ولا نحنـــا ولا صحنا وقلنـــا
لكم يا أهل المودة خاضـــعينا

وهكذا نجد أن معظم قصائده آلام وأحزان وأشـــجان ، وحرقة ولوعة . فى حديثه عن نفســــه . أما حين يصف محبوبته فان أوصافه لا تتعدى تلك الأوصـــاف الحســـية المعهودة . استمع اليه وهو يصفها بهذه الأوصاف : (٥٥)

تعيظك فيه كالقنــديل ريمـــة
فتـــاة كنها شمس المـــرايه

---

(٥٥) ديوانه ص ١٥ .

لهـــا خد كما براق غيمـــــه
عيون من الحيافيهن غضاية (٥٦)
ومجـــدول كما ظلما بهيمـــة
وهلة قصته تضرب حيايه (٥٧)
وطرة مبســـــمة تنعش نسيمه
وبيض كالبرد فيهن دوايـــــه
ومن عنقه الى ماقف بريمـــــه
طلاه النور من ماى القنايه (٥٨)
ومن ردفه شكا ســـاقه هضيمه
ويهزعهـــا الى قامت لحـــايه (٥٩)
والى من ســـولفت مثل اليتيمة
بقول يسبى العـــاشق سبايه (٦٠)
تراها لانشـــاشي ولا لحيمــــــة
على ما رمت يا الماخود غايه (٦١)

ففتاته كالريمة فى جمالها ، وكالشمس فى اشراقة وجهها وهى تعوضك عن القنديل لأن وجههـــا مشرق • وخدها كأنه برق لصفائه وتهلهله ، وهى تغضى بصرها حيـــــاء • أما شعرها فانه أسود فاحم كالليل البهيم ، وخصلة الشعر التى على جبينها (كدلتها) منسدلة حتى حواجبهـــا ، أما افترار مبسمها فانه ينعش النسيم ، وأسنانها كالبرد أما عنقهـــا

(٥٦) غضاية : أى تغض بصرها حياء •

(٥٧) المجدول : الشعر • قصته : خصلة الشعر التى تغطى الجبهـــة تعرف (بالكدلة) •

حيايه : حواجبه •

(٥٨) القناية : الجنيهات الذهبية • أى مطلى بماء الذهب •

(٥٩) لحاية : لحاجة •

(٦٠) سولفت : تحدثت • مثل يتيمة : أى مكسورة الخـــــاطر دليل على رقة الصـــوت •

(٦١) نشاش : نحيلة الجسم • لحيمة : مكتنزة اللحم •

فكأنه عنق الغزال • وأردافها فانه لثقلها قد اشتكى منهـــا الساق ، وعندما تقوم لحاجتها فانه تجذبها هذه الارداف الى أسفل ، كناية عن ثقلها وكبرها •

وبكاء الأطلال والمنازل والديار ، والوقوف على الرسوم من المواقف التى تتكرر عند الفيحانى فى غزلياته ، ونحن كما ذكرنا لا نستطيع أن نعتبر ذلك مجرد تقليد فحسب ، بل انه بالاضافة الى الاقتفاء للقديم كانت هناك البيئة المشابهة للحياة الجاهلية من حيث التنقل ومن حيث استخدام النـاقة كوسيلة لذلك نجد أنه قد عرض فى مواضع متعددة الى وصف الناقة (٦٢) • أما مناجاة الدار ، وبكاء الرسوم ومحاورتها ، فيتجلى فى قصيدته المسماة (بقصيدة الدار) حيث نجد صدق العاطفة وحرارة الشوق ولواعجه تسيطر على مشـــاعر الشـــاعر وهو ينـــاجى الدار ويستنطقها مستفسرا عن محبوبته •

والدار هنا غير الدار عند الشـعراء الأقدمين مستعجمة لا تنطق أما هنا فالدار فيها حياة وروح تحاور الشـــاعر ، وتتعاطف معه •

ويبدأ قصيدته بهذا التساؤل الحزين ، الذى يســـتدر العطف ، فيستجيب له الجماد :

عمن ترحل ســـالى الدار يا عين
استعلميها وانشدى يا حزينة (٦٣)
قولى هلك يا دار منـك غدوا وين
من بكوقفينشدك ما تخبرينه (٦٤)

---

(٦٢) أنظر صفحة ٦٣ من ديوانه ••

(٦٣) ديوانه ص ٩ •

(٦٤) هلك : أهلك ، وساكنوك • ينشدك : يسألك •

هل نرتجيهم هم على الأرض حيين
لو هم مع من فى المقابر دفينة (٦٥)

فالشاعر هنا يطلب من عينيه أن تسأل الدار عمن كان يقطنها ، وأين رحلوا بعد تركهم اياها ، وهل هم أحياء فيأمل فى لقائهم ، أم أنهم أموات ؟

ولعل فقدان الأمل واليأس من لقاء المحبوبة والاجتماع بها هو الذى دفعه الى اعدادهم فى صورة الأموات ٠

وهنا تخرج الدار عن صمتها وترق لحال الشاعر فتخبره برحيل أحبابه وأنهم قد فارقوها وترحلوا عنها ضحى الأمس بضعائنهم وابلهم ٠ وهم برحيلهم هذا يريدون الابتعاد عنك، ولا يرغبون فى الاجتماع بك ، فهم يكرهون لقياك ولا ينوون وصالك ، لأنهم ذهبوا وهم غاضبين عليك ٠ وحين يسمع هذا الخبر المحزن يطلب من الدار أن تكف عن ذلك فهى قد بعثت فى نفسه الآلام ، وأحيت تلك الجروح الدفينة فى قلبه ٠

قالت حشا ما هم تحت الأرض فانين
أمس الضحى عنى غدوا بالضعينة
مدوا على شبه القنا والعراجين
هجن جليلات المرافق متينة
يومك تراهم يا محمد مقفين
عنك ولا ما عشرتك زاهدينه (٦٦)
راحو وهم يا ولد قاسم معيفين
ما أظن هم لك بالوصل منتوينه (٦٧)
حيث أنهم منك حماسى وزاعلين
نياتهم راحت وهى مستشينه (٦٨)

---

(٦٥) نرتجيهم : ننتظرهم ، ونأمل لقائهم ٠

(٦٦) لا ما عشرتك زاهدينه : أى غير راغبين ى الاجتماع بك ٠

(٦٧) معيفين : أى كارهين ، وصادين عنه ٠ منتوينه : أى ليس لهم نية ٠

(٦٨) حماسى : أى غاضبين ٠

قلت اسـكتى من ذا الخبر بس تكفين
يا دار نقضتى جروح دفينـــة (٦٩)

ويطلب الشاعر بعدها من عينيـه أن تذرى الدموع على هذا الفراق فلربما يرق قلب المحبوب ، ويحن على المحب ، ويعطف عليه • فان أهملك من تودينه وتخلصين له فى الحب، فلن تجدى بعدها من يعطف عليك أو يحن لك • ثم ينـاجى نفسه الحائرة ، والتى تجول بداخله وكأنها طعينة فلا تهجع ولا تستقر ، بل انها تزداد يوما بعد يوم فى هذه العلة وهذا الاضطراب • وتفصح له النفس عما بها وسبب اضطرابها وهو فراق المحبين ، وانقطاع الوصل وانتهاء عهوده •

هـذا الخبر يا عين هلى نظيرين
بالك لدمعك عقبهم تذخرينـه
ابكى على لامـاه حتى تذوبين
يمكن تروق قلوبهم يا فطينـة
والا عسـاهم لى بكيتى محنين
ابكى عسى ببكاك تبكين عينـه
فان هملوك احبـابك اللى تودين
وين الذى من عقبهم ترتجينـه
قلت آه يا نفسى بجـوفى تلوبين
ويلاه من قلب تزايد حنينـه (٧٠)
وايش بك على طول الليـالى تونين
ما تهجعين الليل كنك طعينـه (٧١)
وبعلتـك كل يوم تزيـدين
وايش قوم قلبك ما يونى ونينـه (٧٢)

---

(٦٩) نقضتى : أى احييت ، وبعثتى •

(٧٠) بجوفى : بجسدى • تلوبين : تضطربين •

(٧١) وايش بك : ماذا بك • تونين : تتأوهين • كنك : كأنك •

(٧٢) يونى : يفتر • أو يهدأ • ونينه : أنينه •

قالت على فرقاى شـــــوف المحبين
والوصل يوم انزاح واقفت سنينه (٧٣)
واللى تبدوا لى سواة المعـادين (٧٤)
عقب المحبة وأظهـروا لى ضغينة

وللشاعر بالاضافة الى قصائد الغزل بعض الموضوعات الأخرى كالمديح ، والشكوى ، والوصف الذى يأتى عرضا ، وبعض قصائد فى الهجاء ٠ الا أن الفن الغـــالب عنده هو الغزل ذو الطابع العذرى كما ذكرنا ٠

وفى الحقيقة أن هذه النبذة القصيرة لا تعطى الشـاعر حقه وانما أوردناها من باب التعريف بالشـــعر النبطى وأعلامه فى هذه العجالة ٠

---

(٧٣) انزاح : زال وانتهى ٠ اقفت سنينه : أدبرت وولت ٠

(٧٤) سواة المعادين : مثل الأعداء ٠

٣ _ سعد الشاعر

نسبه وحياته (١)

هو سعد بن على المهندى وكان يلقب بالشاعر وينتمى الى المسند من (المهاندة) احدى القبائل التى تقطن فى مدينة الخور ٠

وقد ولد الشاعر عام ١٨٩٥م ١٢٨٢ هـ على وجه التقريب، وقد توفي والده وهو صغير ، ولذلك عاش الشاعر فى شغف من العيش فى عهد الطفولة حتى أنه لم يتهيأ له الالتحاق بمدارس « الكتاتيب » لكى يتعلم شيئا من علوم الدين ولذلك فقد عاش حياته أميا لا يقرأ ولا يكتب ٠

وكما هو معتاد فى المجتمع الخليجى آنذاك كان البحر هو مصدر رزقهم ووسيلة لكسب قوت يومهم وهم يبحثون عن اللؤلؤ أو يصطادون الأسماك وقد اتجه الشاعر الى البحر وولع بالغوص ٠

وقد كانت له سفينة خاصة بالغوص ، وكان حسن المعاملة كثير العطف على العمال الذين يعملون معه ، وكان يتحمل الكثير من الديون ولا يطالب عماله بشىء مما عليهم من ديون رأفة ورحمة بحالهم وقد بلغ من عطفه على الفقراء أنه حاول أن يشترى سفينة أخرى لكى يجعل منها وسيلة لهؤلاء الفقراء لكسب عيشهم وردء الفاقة عنهم ٠ على الرغم من أنه لم يكن يستطيع ماديا أن يقوم بمثل هذا العمل ٠ ولذلك فقد بعث له أحد أصدقائه (٢) بقصيدة ينصحه فيها بعدم الاقدام على مثل ذلك ، وأنه لا يجوز أن يحمل نفسه فوق طاقتها وأن

---

(١) معظم ما يتصل بالترجمة للشاعر وأخباره أخذته عن الشيخ عبد الله الأنصارى أحد أصدقاء الشاعر وممن لازموه فترة من الزمن ٠

(٢) هو الشيخ شاهين بن أحمد بن عبد الوهاب ٠ ولم نحصل على القصيدة التى بعثها للشاعر ٠

الأرزاق بيد الله · فرد عليه سعد الشاعر بقصيدة يخبره فيها بأنه صحيح أن الأرزاق بيد الله ولكن لابد من العمل والجد فى طلب الرزق :

اذا كان قصدك عنى الدنيا تجنبها
والرزق يأتى لمن لا كان يحتالى
الحضرة الى بقرب الفشت خربها
والشرخ والزرع واهدم مسكر العالى (٣)
وغراشك الجديدات لوالبها
شاركت لقمان فى طبه والأعمالى
حزت الفراسة على من كان طالبها
بالحلم والعلم ويا بدع الامثالى (٤)
حتى الكراخين فى عصرك سعيت بها
لمسلك الحال لا فى مطلب المالى (٥)
حتى الجزاير تضيف من يمر بها
الله يبقيك للخيرات منهالى

فالشاعر يطلب هنا ممن نصحه بالتوكل دون العمل بأن يدع كل الأسباب التى اتخذها لكسب العيش اذا كان هو صادقا فى نصيحته · وذلك حين يشير الى الوسائل والأسباب التى اتخذها ـ الناصح ـ فى سبيل كسب العيش

---

(٣) الحضرة : حاجز يعمل من الجريد بالقرب من الشاطىء فى المياه الضحلة فتدخله الأسماك فى وقت المد وعندما تنحسر المياه فى (الجزر) تظل الأسماك بداخله فيذهب الصياد لجمعها ·

الفشت : هى الحجارة الناتئة فى وسط البحر على شكل تلال ·

الشرخ : هى الشباك المعمولة من الخيط لصيد السمك ·

المسكر : وهو كالحضرة ولكنه يعمل من الحجارة ·

وغراشك : يقصد بها الشاعر زجاجات من الادوية كان يتعاطاها المخاطب ·

(٤) ويا : مع ·

(٥) الكراخين : جمع كرخانة · وهى آلة الخياطة ·

لمسلك الحال : أى لقضاء حاجتك وليست لطلب المال أو الكسب ·

ثم يختتم قصيدته بمدح صاحبه الذى قدم له النصيحة واصفا اياه بالحلم والعلم والكرم الذى وصل به أنه أصبح يضيف كل من يمر بتلك الجزر ·

شعره :

ولع الشاعر بالشعر النبطى منذ صغره فحفظ الكثير منه عن طريق السماع ثم أخذ ينظم الشعر حتى اشتهر بسعد الشاعر وله أشعار وقصائد متعددة الأغراض ومعظم اشعاره غير مجموعة وانما يحفظها بعض الناس وخاصة زملائه وأصحابه ·

كما أننى حصلت على ديوان صغير مخطوط من أشعاره وقد أسماه جامعه « البحر الزاخر فيما قاله سعد الشاعر » ·

ومعظم أشعاره التى فى هذه المخطوطة تتعلق بالاستغاثة وطلب السقيا · كما أن له بعض القصائد التى هى عبارة عن مناجزات ومنافرات سياسية دارت بينه وبين بعض الشعراء الذين كانوا يعرضون فيها بقطر ·

واذا تمعنا فى أشعار سعد المهندى نجدها تمثل واقع الحياة التى كان يعيشها الانسان القطرى ، وهذا ما امتاز به الشعر النبطى عن الشعر الفصيح فى تلك الفترة ، فالشعر النبطى هنا يمثل البيئة القطرية والحياة اليومية للناس · واذا كانت الحياة فى قطر تتجاذبها بيئتان بيئة البحر والصيد ، ثم بيئة الصحراء التى تعتمد على الرعى وتتلهث للأمطار فاننا سوف نجد هذه الظاهرة تبدو واضحة فى شعر سعد المهندى فالانسان القطرى قبل عهد النفط عاش حياة مزدوجة بين الصحراء والبحر وعلى الرغم من قلة الأشعار التى بين يدينا للشاعر المهندى الا أننا نراه يمثل تلك البيئة خير تمثيل ·

فاذا ذهبنا الى الصحراء وعرفنا حاجة سكانها الى الأمطار فاننا لن نستغرب من شاعرنا حين نجد أن معظم

أشعاره وأطول قصائده تدور حول المطر وطلب السقيا والاستغاثة ·

يقول من قصيدة طويلة في مقدمة ديوانه وقد بنى هذه القصيدة على الالفية وكل حرف منها ينتهى بقفل ويعتبر هو القافية الرئيسية فى القصيدة بينما تتوحد الثلاثة الأشطر الأول لكل حرف فى القافية :

الف أو لف بادى بالمثايل
مثايل عسرة على كل قايل
يا الله يا عادل لنا كل مايل
يا خالق سبع السموات فى الكون
البا بديت بحمد رب البرايا
الى خلق خلقه جزيل العطايا
ارجيه يسمح لى جميع الخطايا
يرحم فقير صار بالذنب مرهون
التا تعالى الله يغنى عن الغير
رب كريم يعلم الشر والخير
طالبك يارب البرارازق الطير
يا مو فى الديان من كل مديون (٦)
الثاء ثوى حالى ودمعى تحدر
وبصبر على ماجا من الله مقدر
من جور وقت كل يوم تكدر
كل مابغيتايطيبلى صارفى هون (٧)
الجيم جاوبنى وأنا قمت احاكيه
ولا يرايع لى الى قمت اشاكيه (٨)
وقت خبيث ضيع ارواى راعيه
بالعون بالدورات ماهوبمضمون (٩)

---

(٦) الديان : الدائن ·

(٧) بغيت : أردت ·

(٨) يرايع : يراجع ·

(٩) ماهوب : ليس ·

الحـــاحوى قلبى اهمـــوم كثيرة
وأدموع عينى فوق خـــدى نثيره
من سيرة بانت ولا هيب ســـيرة
الى بها العقال ماهوب يرضون (١٠)
الذال ذال القلب من خالق النـــاس
رب كريم قادر يرفع البـــاس
يعطى الى منه عطا ماله قيـــاس
وبل مدير يســـقى الأرض مازون
.الرا رجانا فيـــك ما هوب خايب
طالبـــك يالى للمخـــاليق ثايب
انت الذى تعطى جـــزيل الوهايب
رب كريم يخلف الظن بظنـــــون
السين سال السيل وانحا على الخور
بامر الاله مظهر الشمس والنـــور
ياخذ ثمان آجاب بالأمر مصخور
حتى البهايم والمســـاكين يرضون
الشين شـــــانك يا الهى كفانا
يا خالقى يلى بعينـــك تـــرانا
ما عاد نقـــوى كثير ما عاد جانا
انت الذى منك المخـــاليق يرجون

ومن شعره المتصل ببيئة الصحراء تلك الأبيات التى يصف بها الناقة التى تحمل رسوله الى الشـــاعر لحدان الكبيسى حينما بعث له الكبيسى بقصيدة يشكو له فيها حاله وما يعانيه من هموم : فرد عليه الشاعر بقصيدة طويلة مواســـيا له وعارضا عليه العون والمساعدة ملبيا لطلبه :

ثم بدأ فى وصف الناقة التى تحمل رســـوله الى صديقه الشاعر لحدان الكبيسى :

---

(١٠) ولاهيب : وليست هى ٠

يا راكب من عنـــدنا عيدهيـــــه
عملية لى شـــافت الظل ذارها (١١)
منجـــوبة حالت ثمـــان مع اربع
ولا تبعهـــــا فى المراعى حوارها
من خلقت الرحمن جمل او صوفها
صحاح فوايمهـــا من الليث جارها
لين اقبلت بالوصف ريم من المها
والراس تزهى به ســـفايف اعذارها
وان ادبرت نعـــــامة مســـتذيرة
لى ميزت يوفى عليهـــا اطيارها (١٢)
تخلس بعين حــــزة السير كنها
عذرا تبين لحظهـــا من اخدارها (١٣)
يا طارشى من فوقهـــــــا لى تربض
مقدار ما تجنى الصحف اعتبـارها
واركب رعاك الله مـــع حزة الضحى
والعصر تهدى للاكبيسى أخبـــارها

أما صلة الشاعر بالبحر فقد اشرنا من قبل الى أنه قد ولع بالغوص وكان لديه سفينة خصصها لذلك • الا أن أشعاره فى مثل هذا الموضوع تعد قليلة وربما يكون معظمها قد فقد مع ما فقد من شعره واعنى به ما يتصل بحياة البحر والغوص من اشعار • وكل ما حصلت عليه بالنســـبة لأثر البحر فى شعره (٤) هى مجموعة من الأبيات قد قالهـــــا فى وصف السفينة وهى من قصيدة نظمها فى وصف رحلة قام بها مع بغض اصدقائه عندما زار البحرين فذهبــــوا به الى عين

---

(١١) ذارها : أخافها • وذار : بمعنى هرب •
عيد هيه : نوع من الابل القوية والجيدة •
(١٢) مستذيرة : خائفة •
(١٣) حزة السير : وقت الرحيل • تخلس : تنظر خلسة ـ تسرق النظرات •
(١٤) على حين يذكر بعض أصدقائه أن له مجموعة من القصائد فى وصف السفينة والغوص •

تسمى (أم الاشعوم) فأنشأ قصـيدة بدأها بالغزل ووصف الفتيات اللواتى كنا ينزلن بقرب تلك العين :

لا سقى الله عبرتى لام اشـعوم
حين ما جلت بى العبرة اشـمام (١٥)
قلت أنا ماروح قالوا بالـزوم
صرت أنا للى يبونه بالولام (١٦)
وين ربعى يوم عضضت البهـوم
اسكتوا عنى ولا ردوا كلام (١٧)
يوم عاينت الـزرايق قلت قوم
العساكر جات مع دولة نظام (١٨)

ثم ينتقل بعدها من الغزل الى وصف السفينة وذلك حين يطلب من نديبه أن يقرب له السفينة لكى يرحل عليها .. !

يا نديبى دن لى ضـافى اخزوم
ادهنـوه وعلقوا له حبل دام (١٩)
لى رقا فى البطح من بعد اللحوم
قلطو له خبطة صوب الجزام (٢٠)

---

(١٥) العبرة الأولى يقصد بها الدموع . وربما يراد بها الرحلة .
والعبرة الثانية : يقصد بها السفينة .
(١٦) للى يبونه : الذى يريدونه . بالولام : اى بالموافقة على طلبهم .
(١٧) البهوم : جمع بهام .
(١٨) عاينت : رأيت . الزرايق : السمراوات . جاءت : بمعنى أتت وقدمت .
(١٩) دن لى : قرب منى . ضافى اخزوم : المراد به ذو الخزمية الكبيرة الوافية والخزمية قطعة فى مقدمة السفينة مكونة من جزئين الجزء العلوى يسمى البرميل ، والسفلى يسمى الميل . حبل دام : حبل من السلك يشد به الخشب والسفن فى البحر .
(٢٠) لى رقا : (رجا) وهو ارتفاع السفينة عندما تطفو على سطح الماء .
واللحوم : هو استقرار السفينة على رمال الشاطىء وعدم طفوها .
قلطو : قدموا له : صوب : جهة .
والجزام : اسم مكان معروف فى البحر قرب (الخور) يقصد للصيد فيه . وربما يقصده الشاعر .

اركبو فيـــه اللى مثل النهـــوم
كل منهم صار فى الخدمة ولام (٢١)
صـــفقوا عند الدقل قالو يقـــوم
واعبثـــوا فى كنخته قبل الظـلام

وينتقل بعدها الشاعر الى مدح أصحاب الدار وهم حكام البحرين . ثم يختتم قصيدته بالصلاة على الرسول (ص) كما هو معتاد في معظم قصائده :

علقوا عوده وجابو له يهــــــوم
وجل من دار المناعير الحشـــام (٢٢)
دار عيسى بن على جعله يـــدوم
الى جويره ما هقاه انه يضام (٢٣)
لى لفيتو عنــــد ذربين القــــروم
استخصوا كل ربعى بالسلام (٢٤)
كل من وافاك بيقــــول امعزوم
جيـــدين ما يبيعون الحمام (٢٥)
والف صلى الله على البر الرحوم
النبى الهـــــاشمى سيد الانام

ومن الطريف فى أشعاره أنه فى بعض الأحيان يتنـــاول الأشياء البسيطة والحوادث اليومية واللحظات العـــابرة ليسجلها شعرا ومنها على سبيل المثال هذه المقطوعة . فقد

---

(٢١) اللى مثل النهوم : كناية عن قوة هؤلاء الرجال الذين يعملون فى السفينة وشراهتهم فى العمل .

(٢٢) علقو عوده : أى رفعوا الشراع الكبير . وجابو له: أحضروا له . وربما يقصد جابلوه : بمعنى يلاحظونه ، واهتموا به . يهوم: كناية عن الرجال الأقوياء وجل : بمعنى غادر ، وترك . المناعير : الشجعان .

(٢٣) جويره : أى جاره ، والمستجار به . ماهقاه : ما ظن .

(٢٤) لى لفيتو : لما وصلتم ، ونزلتم . ذربين : الذربين : أى الداهية . والقروم : أى الشجعان .

(٢٥) وافاك : التقي بك ، جيدين : أي أجواد وكرماء .

كان القطريون فى الماضى يجلبون ميـــــاه الشرب من الآبار القريبة من المناطق التى يقطنونهــا ، وكان البعض يستخدم الحمير فى نقل المياه • وقد بعث الشاعر أحد أبنـــــائه الى صديق له يطلب منه « الحمار » لجلب الماء عليه ، ولكن هذا الصديق زعم لابن الشاعر بأن حماره قد سرحه للمـــرعى • على الرغم من أن الحمار كان موجودا فى البيت فعاد الابن وأخبره والده بذلك وباعتذار صاحبه :

فأنشأ الشاعر قصيدة حول هذه الحادثة يدعو فيها على الحمار ويتمنى أن يفتك به الذئب : يقول فيها :

يا ذيب ليمن جيت قرب البـــلادى
احمار صالح بن سعد لا تخليه (٢٥)
رفيجه البـــادى على كل عادى
ما جاب جودين فى اليم يسـقيه (٢٦)
وان وكلك به كون فيك السدادى
غدر اظلام الزول ماينبخص فيه (٢٧)
لا يســتوى بينك وبينـــه اطراد
يا لى أفعـــالك بينه فى شراويه (٢٨)
عجل بتقصيبه عســــــاه النفادى
لو كان تباعه على الدرب راعيــه

ومن غريب الصدف أن هذا (الحمار) قد فتك به الذئب بعد ثلاثة أيام فقط من دعوة الشاعر عليه • كما يروى بعض أصدقاء الشاعر •

وهكذا نجد أن اشعار سعد المهندى تعد صورة صــــادقة

---

(٢٥) ليمن جيت : لما تأتى ، لا تخليه : لاتدعه ، ولا تتركه •

(٢٦) رفيجه : صديقه ، وصاحبه • ماجاب : ما أتى • جودين : مثنى جود : وهو : قربة تملىء بالماء ومصنوعة من الجلد •

(٢٧) ينبخص : يميز •

(٢٨) شراويه : أمثاله •

للمجتمع فى جوانب كثيرة من حياة سكانه ، فى الفترة التى عاشها الشاعر ٠

ونحن فى هذه العجالة لا نستطيع أن نعطى الشاعر وشعره حقه ٠ وانما أشرنا اليه اشارة عابرة نرجوا من ورائها أن نذكر بعض الدارسين والباحثين الى العناية به وبشعره (٢٩) ٠ وقد توفى الشاعر ١٩٤٣ م ٠

٤ ـ ومن شعراء النبط الشاعر ماجد بن صالح الخليفى ، وهو أحد الشعراء الذين نظموا بالفصحى أيضا ، وقد سبق أن عرضنا لشعره فى المرحلة الأولى كما أننا سوف نترجم له فى الباب الخاص بالتراجم ، وسوف نعرض لشعره ٠ وموضوعاته ، وخصائصه عند الترجمة له ٠

٥ ـ ومن شعراء النبط أيضا الشاعر (أحمد بن شاهين الكوارى) وهو من الشعراء المعاصرين ولد عام ١٣٣٦ هـ ، ١٩١٧ م فى قرية الغارية من أعمال قطر (٣٠) ٠ وقد تأثر فى شعره بالشاعر محمد بن عبد الوهاب الفيحانى حيث أن الشاعر تتلمذ عليه ، وكان يطارحه الشعر ولهما مساجلات ومراسلات شعرية جمعت فى ديوانيهما (٣١) ٠

واشتغل فى مقتبل حياته فى تجارة اللؤلؤ ، وبعد تدفق النفط ، وكساد تجارة اللؤلؤ عمل فى حرس الحدود ، ثم التحق أخيرا موظفا بوزارة الصحة (٣٢) ٠

---

(٢٩) ملاحظة : هذه الدراسة الموجزة والخاصة بالشاعر لم تكن ضمن الرسالة ، وانما أضفتها الى الكتاب عند طبعه استجابة لطلب بعض الزملاء من محبى الشاعر وفنه ٠

(٣٠) من الشعر القطرى ص ٧ ٠

(٣١) المصدر السابقص ٥٧ ، ٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ٠

(٣٢) نفسه ص ٧ ٠

شـــــعره :

له ديوان شعر طبع مرتين ملحقا بديوان الفيحـــانى فى طبعته الأولى ، ثم ديوان (من الشعر القطرى) فى الطبعـــة الثانية ٠وأغلبأشعاره تتعلق بالمناسبات،وأغلبها مديح ، وله بعض القصائد الغزلية ، وهى قصائد لا ترقى فى صـــــدق العاطفة والرقة الى مستوى قصائد الفيحانى السابقة الذكر، ولنذكر نمـــوذجا من غزليــــاته : التى يستهلها بالدعاء والاستغفار ٠٠ ثم يسترســـل فى الغـــزل ووصف حالته وما يعانيه من لواعج الحب والشوق ٠

يا الله يا المطلوب يا منشى السحاب
يا عليم بالخوافى يا رقيب (٣٣)
ونتى ونة طريح عن صـــــواب
فى نهـــــار الكون وجل مستريب
ويل من هو من فراق الشوق ذاب
كمل المشـــــغوف حاله بالنحيب
عايف من القـــوت لذة والشراب
بالســـــهاد أمسيت نومى ما يطيب
عزتا للى نحل والراس شـــــاب
شــارب كاس الهوى جامد رويب
من هدب عينـــــه رمانى بالحراب
عاقنى فى موقفى عنـــــد القليب
شفت من هجر تصــاريف العذاب
دايم تسمع و نينى كالصــــــويب
مبتلينى بالهـــوى توى شـــباب
يا ملا من غير وصــــل للحبيب

---

(٣٣) ديوان الفيحانى ص ١٦١ ٠

واذا كان لنا أن نصف هذا الشاعر فانه يمكننا القول بأنه من الشعراء العاطفيين الذين امتلأت أشعارهم ... بالشكوى والأنين والحزن لفراق الأحبة ، وعدم جمع الشمل، وان لم تكن هذه القصائد والأشعار صادرة عن عاطفة صادقة غمرها الحب كما هو الحال عند معظم الشعراء العذريين .

ومن شعراء النبط المعاصرين الشاعر عبد الله بن سعد المهندى ،وله مجموعة من القصائد فى ديوان من الشعر القطرى ، ومجموعة أخرى لم تنشر حتى الآن وأغلب شعره فى المديح .

ومن شعراء النبط أيضا الشاعر لحدان بن غانم الكبيسى وله ديوان شعر مخطوط (٣٤) .

وأخيرا فان الشعر النبطى كما اتضح لنا من هذه العجالة لم يخرج عن الموضوعات التى طرقها الشعر الفصيح ، الا أن الشعر النبطى أكثر من الفصيح ارتباطا بالبيئة وتعبيرا عن الحياة العامة والخاصة التى عاشها شعراؤه . وخاصة فيما يتصل بالمرحلة الأولى عند القياس بالنسبة للشعر الفصيح .

---

(٣٤) لدى نسخة مصورة عن **المخطوطة** .

الباب الرابع

« التراجم من أعلام الشعر فى قطر »

١ ـ الطباطبائى

٢ ـ ماجد بن صالح الخليفى

٣ ـ ابن عثيمين

٤ ـ احمد بن يوسف الجابر

٥ ـ عبد الرحمن المعاودة

تمهيـــد :

وفى هذا الباب نعرض لتراجم بعض الشعراء أو أشــهر شعراء العصر الحديث فى قطر · ومن ضمنهم أولئك الشعراء الذين عاشوا فترة معينة فى قطر ، وظهر أثر ذلك فى شعرهم فصوروا بعض الحوادث ، والمشاكل التى واجهة البلاذ فى تلك الفترة وهم كما ذكرنا بحق شعراء المنطقة بصفة عامة ، وفى مقدمتهم الطباطبائى ، وابن عثيمين ·

ونحن فى ترجمتنا (للطباطبائى) لم نأت بجـــديد فى حقيقـــة الأمر ، لأنه قد عرض له الكثير من الدارسين من قبلنا (١) · وانما عرضنا لدراسته هنا لنعطى صورة عنــه وعن صلته بقطر فقط ، حتى يكون القارىء والمطلع على هذا الكتاب على بينة من صلة هذا الشاعر بكتابنا هذا ·

١ ـ الطباطبائى

نســبه وحياته :

هو السيد عبد الجليل بن السيد ياسين بن ابراهيم بن طه بن خليل بن صفى الدين بنبه الطباطبائى الحسنى (٢) ·

وأغلب المصادر تشير الى أنه ولد بمدينـــة البصرة فى العراق عام ١٧٧٦ م (٣) غير أن كاتب مقدمة ديوانه الذى

---

(١) فقد عرض له من الدارسين :

ـ عواطف الصباح ـ فى رسالتها الماجستير ـ الشعر الكويتى الحديث ·

ـ خليفة الوقيان ـ فى رسالته الماجستير ـ القضية العربية فى الشعر الكويتى·

ـ ابراهيم الوائلى ـ الشعر السياسى فى العراق فى القرن التاسع عشر ·

(٢) القضية العربية فى الشعر الكويتى · خليفة الوقيان ص ١٧ ·

(٣)الشعر الكويتى الحديث · عواطف الصباح ص ٤٥ « هامش » وانظر القضية العربية فى الشعر الكويتى ص ١٧ ·

طبعته دار الكتب القطرية يذكر أنه ولد فى قرية (الزبارة) من أعمال قطر حيث يقول فى مقدمته :

« وبعد فهذا ديوان السيد عبد الجليل الطباطبائى ، القطرى الموطن ·· وصاحب الديوان من شعراء البادية الذين صفت قريحتهم ، ورق أسلوبهم ، سلمت فطرتهم ·· ولد فى قرية الزبارة وعاش فيها ردحا من الزمن وتزوج فيها زوجة أحبها وأحبته ··· » (٤)

والراجح أنه ولد بمدينة البصرة حيث تشير أغلب المصادر الى ذلك ، كما ذكرنا سابقا · ولكننا لا نعرف بالتحديد تاريخ وصوله الى (الزبارة) وكل ما تذكره المصادر أنه عندما كان فى السابعة والعشرين من عمره كان يقطن مدينة الزبارة ، وذلك عام ١٨٠٢ م وهو العام الذى وقع فيه الحصار على المدينة المذكورة من قبل سلطان مسقط ، وكان الطباطبائى متغيبا عن المدينة لقضاء بعض مصالحه فى العراق فى الوقت الذى كان قد ترك زوجته وأولاده فى قطر· ولما علم بالحصار وانقطع عليه خط العودة الى الزبارة نظم قصيدة طويلة يصف فيها هذا الحصار ، وما يعانيه عن شوق وحرقة الى رؤية أحبابه وهى قصيدة متعددة الأغراض مطلعها :

لك الله انى من فراق الحبائب
لفى لاعج بين الأضالع لاهب
أكابد أشواقا يكاد لفرطها
توقد فى جنبى نار الحباحب (٥)

وبعد فك الحصار الذى ضرب على الزبارة عاد الشاعر الى موطنه وظل مقيما فى الزبارة حتى نزلتها القوى الوهابية

---

(٤) ديوان الطباطبائى ص

(٥) المصدر السابق ص ١ ·

بقيادة سليمان بن طوق عام ١٨٠٩ م - ١٢٢٤ هـ وقد نظم الطباطبائى قصيدة يمدح فيها الامير السعودى (بالدرعية) مطلعها :

تبــاركت يا مولى الملوك الأعاظم
وعزيت يا مبدى الجميل وراحمى (٦)
لك الحمد اذا أوليتنا منك أنعمـا
يضيق لهـــا ذرعا يراع لراقم

وبعد دخول القوات الوهابية للزبارة واخراج ال خليفـة منها وأخذهم للدرعيـــة ، أخذ الســكان يهجرون الزبارة ويتسللون خفية للبحرين وكان من ضمن المغادرين لهـــا الطباطبائى حيث اصطحب آل خليفـــة الذين انتقلوا الى البحرين وظل فى صحبتهم حتى عام ١٨٤٣ م حين دب الخلاف بين آل خليفة على السلطة فجنب نفسه الدخول فيه وفارقهم حيث اتجـه الى الكويت وظل فيهـــا حتى وافتـــه المنية عام ١٨٥٣ م ٠

ثقـــافته :

وقد بدأت صلته بالعلم كغيره من أبنـــاء عصره فى تلك المنطقة حيث الكتاب هو المصدر والينبوع الذى ينهل منـــه الناشئة عند بدء حياتهم العلمية وهى ثقافة دينية عربية ، ثم بعدها تتعدد مصـــادر ثقـــافة كل شخص حسب ميوله واتجاهاته ، وما يقبل عليه من علم وما يتصل به من علماء يكون لهم تأثير فى حياة الطالب وتوجيهه ٠

والسيد عبد الجليل الطباطبائى قد تدرجت حياته الثقافية على هذه الوتيرة فقد بدأ حياته العلمية فى الكتاب ، فحفظ

(٦) المصدر السابق ص ٨ ٠

القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة ، وشيئا من مبادىء الحساب (٧) ، ثم أخذ يتصل بكبار العلماء ويأخذ عنهم علوم الدين واللغة ، وأشهر من أخذ عنهم الشيخ محمد بن فيروز وهو عالم الاحساء وفقيهها المعروف آنذاك،وقد كان ابن فيروز هذا ممن سكنوا الزبارة (٨) ، ولذلك كان من الراجح أن الطباطبائى قد أخذ عنه العلم عندما كان فى مدينة الزبارة . واذا عرفنا أن ابن فيروز هذا قد أجاز الطباطبائى للنقل عنه فى عام ١٢١١ هـ ــ ١٧٩٦ م (٩) ، فهذا يعنى أن الطباطبائى قد توطن قطر قبل هذا التاريخ .

والاجازة المشار اليها هى عبارة عن منظومة بعث بها الطباطبائى لشيخه محمد بن فيروز يطلب فيها اجازته فى النقل عنه ، وقد أفاض الطباطبائى فى منظومته بتمجيد أستاذه وبيان سعة علمه يقول الطباطبائى فى مطلعها : (١٠)

الحمد لله مجير السائل
مأموله وليس بالماطل
وواصل المقطوع والضعيف
اذ وردوا ببابه المنيف

وبعد الصلاة والتسليم على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم الصحابة والتابعين يأخذ فى مدح استاذه مدحا يصل به الى درجة المبالغة :

وكان منهم أوحد الزمان
الفائق الأمثال والأقران

---

(٧) ادباء الكويت فى قرنين . خالد سعود الزيد جـ ١ ص ٤٢ .
(٨) المصدر السابق ص ٤٣ .
(٩) القضية العربية فى الشعر الكويتى . خليفة الوقيان ص ٢٣ .
(١٠) روض الخل والخليل ص ١٠٢ .

من أصبح العلم به مشـــيدا
اذ كان قبـــل ركنه تهـــددا
فقـــد أعاد رســـمه وأحيى
وكان ميتـــا عد بين الأحيـا
فجـــد على ســـيدى بكل ما
رويتـــــه عن السراة العلما
وكل مـــــا دريت من علوم
من كل منثـــور كذا منظـــوم

وبعد مراسلات عديدة جرت بين الطباطبائى وشيخه وافق أخيرا على اجازته فى منظومة بعث بها الشيخ الى تلميـذه يقول فيها : بعد حمد الله والثناء عليه ثم الصلاة والســـلام على رسوله ٠ يشرح فيها مكانة الطباطبائى العلمية ثم يذكر نسبه واتصاله بالنبى صلى الله عليه وسلم :

وان هذا الفاضـــل المهـــذبا
من قاصر البـــاع الفقير طلبا
بأن يجيزه بكل مـــــا روى
وكل ما عن الشيوخ قد حوى
من كل علم وكتاب حصـــــله
قـــــراءة وكل ما أجيز له
عنهم بأن يرويــــه ثم ينقله
وكل ورد عنهم فاستعمله (١١)

ثم يعدد ابن فيروز شيوخه الذين أخذ عنهم أو قرأ لهم ، وهو كما يعدد أشياخه قد أخذ وقرأ عن جميع المذاهب ولم يلتزم بمذهب فقهى معين فأشار الى أخذه عن الشـــافعى ، وأحمد بن حنبل ومالك وغيرهم ٠ ممن ذكرهم ابن فيروز فى منظومته المذكورة (١٢) ٠

---

(١١) روض الخل والخليل ٠ ديوان السيد عبد الجليل ص ١٠٧ ٠
(١٢) المصدر السابق ص ١٠٨ ٠

شـــــعره :

وللطباطبائى ديوان مطبوع وقد طبع عدة مرات منهـــــا طبعة بومبى عام ١٣٠٠ هـ ثم طبع على نفقة دولة البحرين وطبع أيضا على نفقة دولة قطر عام ١٩٦٤ م ثم عام ١٩٦٥م ١٣٨٥ هـ الأولى بدمشق والثانية بالقاهرة ٠

وشعر الطباطبائى لا يخرج عن الطابع العــــام للشعر وما وصل اليه من ترد وانحطاط وجمود ســـــواء من حيث موضوعاته البالية أو من حيث المعـــانى الفجة التى اتسمت بالسطحية والابتذال بسبب كثرة تداولها وتكرارها ٠

ونحن لا نكون مبالغين لو قلنا أن أغلب ديوان الطباطبائى عبارة عن منظومات وليست أشعار صــــــادرة عن عاطفة دفاقة ، وشعور صادق بالاحساس فمثلا : أكثر الموضوعات التى تنـــــاولها هى المدح وهدفه من هذا المديح التـكسب والتقرب الى الأمراء وذوى الجــــاه ، واذا كان فى بعض قصائد المديح صادقا وخاصة قصـــائده التى نظمهـــا فى أصدقائه ، فانه فى الغالب ما يكون متكلفا اما رهبة أو خوفا كما فى القصيدة التى أشرنا اليها سابقا والتى نظمهـــا فى الأمير السعودى (بالدرعية) عنـدما فتحوا الزبارة والتى مطلعها :

تبـــاركت يا مولى الملوك الأعاظم
وعزيت يا مبدى الجميل وراحمى (١٣)

أو أن الدافع له فى النظم هو طلب العطـاء والتقرب الى الملوك ، كما أنه مما كان يدفعه للمدح هو حبه للشهرة ٠وخير مثال على ذلك قصيدته التي بعثها الي أحد شباهات العجم :

---

(١٣) الديوان ص ٨ ٠

أرى غـــرر المـــكارم من جواد
بها تستل أحقـــاد الأعادى (١٤)

ويرى ابراهيم الوائلى أن الطباطبائى فى مدحه لآل سعود لم يكن صادقا وانما كان ذلك نتيجة خوف أو طمع ، ويستدل على ذلك بأن الطباطبائى قد بعث برســـــالة نثرية الى أحد أصدقائه بعد أن استطاع آل خليفـــــة التخلص من النفوذ السعودى يحمد الله على ذلك ويصف الحالة التى كانوا عليها عندما كانوا تحت قبضة الوهابيين (١٥) .

وخير وصف يصدق على شعر المديح عند الطبـــاطبائى ما ذهبت اليه (عواطف الصباح) فى قولها : « أنه كان يفهم من المديح المبالغة فى رصد الصفات دون أن يكون هنـــاك ارتباط حقيقى بين هذه الصفات وبين هذا الممدوح ، أو قل انه يفهم المديح بوصفه صناعة لفظيـــة تقوم على اسراف ومبالغة يتخذهمـــــا وسيلة الى التكسب واســـتدرار العطف ... » (١٦) .

واذا تركنا شعر المديح عنده فاننا سوف نرى أن بقيـــة ديوانه يحتوى على شعر الألغاز وهو من الموضــــوعات التقليدية التى لجأ اليها الشعراء فى عصر الانحطاط فعندما توقفت القرائح عن الابتكار أقبل الشـــعراء على النظم فى الألغاز والتبارى فيها وفى حلها وديوان الطبــاطبائى حافل بهذا النوع من النظم والى جانب المديح والألغاز يأتى الشعر التعليمى الذى يشتمل على النصح والارشــاد وشرح بعض المســـائل الدينية ، الى جانب تسجيل والتعــريف ببعض المعلومات العامة .

---

(١٤) روض الخل والخليل ديوان السيد عبد الجليل ص ٣٢٤ .

(١٥) الشعر السياسى فى العراق فى القرن التاسع عشر . ابراهيم الوائلى ص١٤٥

(١٦) الشعر الكويتى الحديث . عواطف الصباح ص ٥٤ .

فمن أشعاره فى النصح والارشاد :

أطع الله ان طلبت رضـــــاه
وعن البغى والمنـــاكر أمســك
وليكن يومك الذى أنت فيـــه
فائقـــا الى التقى صحيفة أمسك
خالعـــا ربقة الهوى وابتـــداع
وعرى السنة النقية أمسك (١٧)

ومن شـــعره التعليمى ما كان يعرض به لبعض الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية شارحا لهـــا ، أو حاثا على امتثالها : ـ كقوله :

ســألت عن الماعون فى الآية التى
قرأت فخذ منى جوابا محـــررا
ثلاثة أقوال بتفســـيره أتت
زكاة كذا ما يســتعيرونه الورى
كفــأس وقدر ثم قالــوا ثلاثة
حرام علينـــا منعهن بلا امترا
هى النـــار والماء الروى وملحهم
بذا «البغوى» الحبر نص وقررا (١٨)

ونظرا للروح التقليدية التى اتسم بها الطبـــاطبائى فى شعره نراه كذلك يكثر فى شـــعره من التشطير والتخميس لأشعار السابقين عليه ٠

أرى الدهر لا تنفك منـــه زرية
تحط به قعســا وتعلو نيـــة

---

(١٧) روض الخل والخليل ص ٦٧ ٠

(١٨) المصدر السابق ص ٢٨٢ ٠

فكيف وقد ساءت لهند قضـــية
وما هنـد الا مهرة عربيـــــة
ســـــلالة أمجـــاد
تحللهـــا بغـــل (١٩)

ويحتوى ديوانه كذلك على بعض المراســـلات المنظومة والمنثورة بينه وبين أصحابه من تهانى ونحوه ٠ وقد ســبق الاشارة الى بعض قصائده فى أغراض الشعر ٠

---

(١٩) المصدر السابق ص ٣٥ ٠

٢ ـ ماجد بن صالح الخليفى :

ماجد بن صـــالح الخليفى ١٨٧٣ ـ ١٩٠٧ م وهو ينتمى الى قبيلة الخليفات احدى القبائل القطرية • ولد عام ١٨٧٣م على وجه التقريب كما يذكر كاتب مقدمة ديوانه• وقد اتصلت بأحد أقارب الشاعر فذكر لى نفس التـــاريخ (٢٠) • كذلك أشارت (مريم الخليفى) فى مقالتهـــا التى كتبتها فى مجلة العروبة (٢١) حول حياة الشاعر وشعره الى أن مولده كان عام ١٨٧٣ م •

ثقـــــافته :

يمكننا القول بأن ثقافته كانت ثقافة تقليدية لا تخرج عما كان سائدا فى تلك الفترة وهى التعليم الدينى الذى يقوم به (المطوع) حيث يقوم الطلاب بحفظ القرآن الـــكريم وتلاوته ثم تعلم مبادىء القراءة والكتابة التى قلما يتعلمها البعض • والخليفى قد تلقى تعليمه على هذا النمط حيث درس العلوم الدينية والعربية على يد الشيخ (يعقوب بن يوسف) وهو رجل من (فارس) تصدر للتعليم فى قطر فترة من الزمن ثم غادرها بعد ذلك الى السعودية •

وقد درس الشاعر على (الشيخ يعقوب) العلوم الدينيـــة والعربية ، ثم أخذ بعدها يطلع على دواوين الشـــعراء من جاهليين واسلاميين ويحفظ منها ما اسعفته ذاكرته حفظه ، ويقتبس منها ما وافق مزاجه وهذا ما سوف يتضح لنا عندما نعرض لأشعاره • كذلك من مكونات ثقـــافته ما كان يأخذه عن الأدباء والشعراء الذين التقى بهم من خلال رحـــــلاته

---

(٢٠) هو الأستاذ يوسف عبد الرحمن الخليفى •

(٢١) مجلة العروبة العدد (١٥) فى ١٩٧٠/٥/١٤ م •

(٢٢) ديوانه ص ٤ •

المتعددة للأراضى الحجازية (٢٢) · وكان ذا خط جميل ، وقد زعم فى احدى منظوماته التى نظمها فى تمجيد علم النحو بأنه على علم به (٢٣) ·

وان ترد علما يبلغك الى
كل العلوم يا لبيب عاجلا

ولكننا فى الحقيقة من خلال تتبعنا لأشعاره التى نظمها بالفصحى نجد لديه الكثير من الأخطاء النحوية واللغوية ، واختلال الأوزان التى قلما نجدها عند شاعر آخر ، بل ان نفس القصيدة التى نظمها فى علم النحو لا تخلو من هذه الأخطاء وسوف نشير الى ذلك فى موضعه من هذا الفصل ·

صفاته :

كان طويل القامة يميل الى البياض ، هادىء الطبع ، ولكنه كان فارسا يعشق الخيل ويحب الفروسية ، وكثيرا ما كان يردد ذلك فى شعره : (٢٤)

ولى همة لم ترض بالدون منصبا
وعندى لدى الأهوال عزم غضنفرا (٢٥)
اذا الخطب قالوا من له خلت أننى
دعيت له وحدى فقمت مبادرا (٢٦)

وقد اشترك الشاعر فى عدة معارك مع الشيخ أحمد بن

---

(٢٣) ديوانه ص ٦٠ ·

(٢٤) ديوانه ص ٥١ ·

(٢٥) غضنفرا : حقه الجر لأنه مضاف اليه ولكن الشاعر الحقه الف الاطلاق وهو غالبا ما يخالف قواعد اللغة ليجعل الكلمات تتمشى مع القافية التى التزم بها ·

(٢٦) عيب من عيوب القافية وهو التأسيس ·

محمد بن ثانى ومن أشهرها معركة (الضبان) عام ١٣٢٣ هـ، ١٩٠٥ م وهى المعركة التى وقعت بين القطريين والعجمان ، وقد صور لنا الشاعر هذه المعركة فى قصيدة نبطية : (٢٧)

قال العبيـدى الذى بات ما غضـــا
كن الحماط (٢٨) بموق غينه ذرى بها
بى فكرة عميـــا أو هم أو ضـــيقة
أو لولا ضحى الظبان كلنى (٢٩) لهيبها
يامنا سمحتهـــا من خطـــايا كثيرة
لا تنتقم فيهـــا ولا تعتنى بهـــا
وان زارنا وغدا من القـــوم ثعلب
من حلمنا عنهم غدا مثـل ذيبهـــا
حتى غدا ما عاد للصلح موضـــع
ما فكت الأصـــلاح من يلتقى ابهـا
قدنا الســـبايا معتنين الحر بهم
او نجايب يطوى التنايف خبيبها (٣٠)
جمعوا شيخان يام (٣١) أو حشـدوا
ما ينعرف عجميها (٣٢) عن جنيبهـا
وامطير (٣٣) وارجال الخوالد (٣٤) وخلطهم
واسبيع (٣٥) والعرجا (٣٦) ومن يلتقى بها

وكان الشـــاعر الخليفى يعمل كغيره فى صيد اللؤلؤ والتجارة فيه وهى المهنة الرئيسية للسكان فى تلك الفترة ، ومع أن هذه المهنة ذات مشاق وصعاب تواجه كل من يعرض

---

(٢٧) ديوانه ص ٥٣ ٠

(٢٨) كأنها رمص العين ٠

(٢٩) كلنى : أكلنى ٠

(٣٠) التنايف : الأراضى المرتفعة ٠ والخبيب : ضرب من السير ٠

(٣١ ـ ٣٦) أسماء القبائل التى اشتركت فى الموقعة ضد القطريين ٠

لها الا أننا لا نجد شيئا من هذا القبيل فى شعره ٠وذلك راجع الى الروح التقليدية التى طغت على شعره فأشعاره سـواء الفصيح (أو النبطى) لا يتجاوز تلك الموضوعات التقليدية التى دار فى فلكها الشعر العربى حتى بداية النهضـة الحديثة ٠

وقد لازم الشاعر مهنة الغوص حتى كانت نهاية حيـاته مرتبطة بها وهو فى ريعان الشـباب ، ففى احدى رحلات الغوص كان قد نقل أمتعته من سفينة لأخرى ، وعندما وصلوا الى احدى مغاصات اللؤلؤ وتدعى (أم الكتيب) جنـوبى جزيرة (حالول) نزل الغواصـون الى قاع البحر لجمع الصدف وكان من ضمنهم الشاعر وعند خروجهم الى سطح البحر سألهم الشاعر هل دعانى أحد من قاع البحر ؟ فقالوا له : لا ، وعاود الغطس مرة أخرى ولكنه لم يخرج ، وتجمعت السفن التى فى المنطقة للبحث عن الشاعر ولكنهم لم يعثروا له على أى أثر ٠

وكان الشـاعر قد نظم قصيدة (نبطية) وهو على ظهر السفينة فى رحلته الأخيرة وهى آخر قصـيدة نظمها وعلى الرغم من أنها قصيدة غزلية نظمها ليبعث بهـا الى أحد أصدقائه ممن كان يطارحه الأشعار الا أن هذه القصـيدة ذات جو رومانسى حزين تخيم عليه الكآبة والحزن وكأنه كان ينعى نفسه بهذه القصيدة ويصور نهـايته الأليمة حيث يقـول :

يا منرمانى أو صاب(٣٧) احشاى نشابة
يذكر حبيب سـعى بالشين لأحبـابه
سليت لى من جفونك مرهف صـارم
لا وا عذابى عن الصـارم وجذابه

---

(٣٧) أوصاب : اصاب ٠

ظنيت بك يا عـــديل الـــروح ظن ولا
حققت ظني ســـوى بالهجـــر واكذابه
ونيت من هجــــركم ونة غـــريق هوى
في غبة (٣٨)لايرى برا ولا اخشابه (٣٩)
ولا صويب (٤٠) طرح في ملتقى الغـارة
يوم اظلم الليل جاه الضـــبع واديابه
لولا الهوى ما ســـهر جفني ولا اذرفت
عيني ولا كنت اسرى الليل واشقى به (٤١)

وكان ذلك عام ١٩٠٧ م حين اسدل الستار على حيـــاة الشاعر ماجد الخليفي وهو لم يتجاوز الخامسة والثـلاثين من عمره ٠

شــــعره :

وللشاعر الخليفي ديوان شـــعر مطبـــوع يحتوي على مجموعة أشعاره التي نظمها بالفصحى ، والعامية (النبطي) وقد تم طبـــع ديوانه عام ١٩٦٣ م على نفقـــة دار الكتب القطرية ، ثم أعيد طبع ديوانه مع ديواني شـــاعرين آخرين هما : محمد بن عبد الوهاب الفيحاني ، وأحمد بن شـاهين الكواري في مجموعة واحدة تحت عنوان : « من الشـــعر القطري » ، وشعر الأخيرين كله باللهجة العامية ٠

ويحتوي ديوان الخليفي على حوالي (٦٧) قصـــيدة ومقطوعة شعرية منها احدى وعشرين قصـــيدة ومقطوعة بالفصحى ، وتتنوع الموضوعات التي تناولتها هذه القصائد

---

(٣٨) الغبة : هي وسط البحر أو أعمق مكان فيه ٠

(٣٩) أخشابه : سفنه ٠

(٤٠) صويب : المصاب ٠

(٤١) ديوانه ص ٤١ ٠

بين مدح ، وغزل ، وفخر ، ورثاء وألغاز • كما تتفاوت هذه القصائد طولا وقصرا فالبعض منهـــا ربمـــا يكون بيتين مستقلين • وأطول قصيدة فى الديوان هى قصيدة (نبطية) قالها فى وصف قرية (الغارية) كان يسكنها ثم هجرها ومر عليها بعد فترة فوقف عليها ينشد : (٤٢)

أرى الدار بعد الظـــــاعنين تنكرت
عن العهـــــد من طول الزمان خراب
لها خمســـة أحوال وعامين ما ضرب
ابها الحى من تحت الهضاب اطنـــاب

وشعره الفصيح يحتوى على الكثير من الأخطاء النحوية واللغوية مع اختلال الأوزان فى بعض أبيـــاته • الى جانب ظاهرة بارزة عنده وهى الاقواء والتى لا تكاد تخلو منهـــا قصيدة من قصائده والاقواء هو اختـــلاف حركة الروى فى القافية •

وغالبا ما نجده يستعمل بعض الألفاظ (العامية) خاصة فى موضع القافية حيث يتصرف باللفظة حسب ما يتمشى مع القافية التى ارتضاها دون النظر الى صحة ذلك وعدمه من الناحية اللغوية •

وها هو ذا نفسه يعترف بذلك قائلا فى احدى قصائده :

فدونك منى يا أعـــز خريـــــدة
بنيـــــة فكر ترتميها الفيافيـــــا
فكم قطعت من أجلكم لج مزبــــد
لأمواجه زخر يشيب النواصـــــيا

---

(٤٢) ديوانه ص ٦٠ •

سليقية ليست الى النحـــو تنتمى
فقابل مساويها بحسن التغاضيا (٤٣)

وقد أشرنا الى هـــذه الأخطـــاء من قبـــل ٠ والخليفى تقليدى فى شعره سواء الفصيح أو العـــامى وهذا الحكم يصدق على أشعاره شكلا ومضمونا فهو من حيث النهج العام للقصيدة غالبا ما يبدأها بالغزل أو بكاء الاطلال، ولذلك فالموضوعات متعددة فى القصـيدة الواحدة ٠ كذلك فان المعانى والصور الفنية عنده مستمدة من الشـــعراء السابقين له من جاهليين واسلاميين ٠ ويظهر هذا الاتجـاه بوضوح فى شعر الغزل عنده فمعظم الصور والأوصاف التى يخلعها على محبوباته اللائى يتغزل بهن أوصاف وصـــور قديمة مستمدة مما حفظه من شـــعر الغـــزل عند القدماء فأوصاف محبوبته غالبا ما تكون كالغصن فى قوامهـــا ، والبدر فى طلعتها ، والمها فى عينيها ، والغزالة فى عنقها ٠

وعهـــدى بمغناها حســان أوانس
تركن فـؤادى هام فى كل واديا (٤٤)
وفيهن بيضـــاء المحـــاجر طفلة
يطيب رياها عبير الغوانيـــــــا
منعمة هيفـــاء لو أنهـــا بدت
الى عابد أضحى من اللب خاليـا
فما الغصن ان مادتوما البدر ان بدت
وما الظبى يحكى جيـدها والمآقيـا
رعى الله ذياك القـــوام وان يكن
به دون كل العـــالمين شفائيا (٤٥)

---

(٤٣) ديوانه ص ٤٦ ٠

(٤٤) فى كل واديا : الصحيح فى كل واد لأنه مضاف اليه ٠ ومثله الغـــوانى ولكن الشاعر الحقها الف الاطلاق ٠

(٤٥) ديوانه ص ٤٥ ٠

وهذه الصور والأوصاف التقليدية تدور كذلك فى اشعاره النبطية مما يدل دلالة واضحة على أن غزله ليس نتيجة لحب صادق وعاطفة مشبوبة تفجرها لواعج الشـــوق والحرمان فتأتى بصور صـــــادقة ومعبرة ٠ ولكن الادعاء فى الحب والاتباع والتقليـــد هو الذى جعله يستعير تلك الصـــور والأوصاف القديمة ويخلعها على محبـوبات وهميـــات أوصافهن متقاربة ٠

لى صـــاحب تعشـــقه شمس الضحى والقمـــر
والجن والانس والغـــــــزلان وذيابـــــه

غر عطاه الرشا (٤٦) عين أو جيد (٤٧) أو حشى
مثـــــل الغصن الى مشى واللؤلؤ اعـــذابه

البـــــدر فى جبهتـــــه والورد فى وجنتـــــه
والمســـك فى نفحتـــه والشهد برضـــابه (٤٨)

والخليفى فى قصـــائده الغزلية لا يكاد يذكر اسم المرأة التى يتغزل بها ، وانما يعنى بوصف جمالها وهى أوصـــاف حســـــية تقليـــــــدية كما ذكـــرنا ٠ ولم يأتى ذكر المرأة فى غزله الا فى قصـــــائد قليلة قالهـــــا فى أغراض مختلفة كالمدح ونحـوه وبدأها بالغزل فذكر أسماء مستعارة طالما رددها الشعراء فى غزليـــاتهم ٠ كالقصيدة التى نظمها فى مدح أبيه وبدأها بالغزل :

بانت نوار فدمـــع العين منسكب
فالجفن فى تعب والقلب مكتئب (٤٩)

---

(٤٦) الرشا : الغزال ٠

(٤٧) الجيد : العنق ٠

(٤٨) ديوانه ص ٤٢ ٠

(٤٩) المصدر السابق ص ٤٤ ٠

والخليفى فى غزلياته متأثر بعمر بن أبى ربيعـــــة وأبى فراس الحمدانى وخاصة فى قصائده التى نظمها بالفصحى فهو يتكأ على القدماء فى معانيهم وصورهم فى الغالب ، وان كان يشوه تلك المعانى والصور بتلك الأخطـاء النحوية واللغوية بحيث ينحت مفرداته من قاموس خاص به ٠

فقصيدته التى مطلعها :

وجه المليحـــة ذاك أم بدر الســـما
وذوائب أم تلك ليـــل أظلمـــــا

هذه القصيدة تذكرنا بأجواء ابن أبى ربيعة ومغـامراته عندما يقتحم الأهوال ويجتاز الحرس والخـدم والحشم فى الوصول الى محبوبته ثم يدور ذلك الحوار بين الشـــاعر ومحبوبته ٠ يقول الخليفى فى نفس القصيدة :

لـــكنها محجـــــوبة بكتائب
ونجائب يحملن اســدا غشما (٥٠)
عجبـا لقلبى يا لهـــا من جسرة
فى خيمة فيهـا الأعادى جثمـــا
فى ليــــلة قد غيهبت وتجلببت
بظلامها وسماؤها قد غيمـــا
فاجأتهـــا فتنبهت فى دهشـــة
وتزفرت لما رأتنى قائمـــــا
قالت ألا ليت المحبـــة لم تكن
اذ جئتنى والنـــاس حولى نوما
ارخصت نفسك فى الهوى وتركتنا
غرضا لقول الحاسدين اللوما (٥١)
فأجبتهـــا ، الموت أهون فاعلمى
من نار شــوق فى الفؤادى تضرما

---

(٥٠) ديوانه ص ٩ ٠

(٥١) اللوما : الصحيح اللوم لأنها صفة للحاسدين فهى مخفوظة ٠

قالت ، اذا قد نلت ما أملتـــــه
أنت الحبيب فقر عينـــا وانعما

ويقول ابن أبى ربيعة :

فجئت أمشى ، ولم يغف الأولى سمروا
وصـــــاحبى هنـــد وانى به أثر
فلم يرعها ، وقد نضت مجاســـدها ،
الا ســـواد ، وراء البيت يســـتتر
فلطمت وجهها ، واستنبهت معهـــا
بيضـــاء آنســة ، من شأنها الخفر
قالت : أردت بذا عمـــدا فضيحتنا ،
وصرم حبـلى ، وتحقيق الذى ذكروا
فقلت داع دعـــا قلبى ، فأرقـــه ،
ولا يتـــابعنى فيكم ، فينزجر (٥٢)

وكذلك تقترب من قصيدة (أمن آل نعم) لابن أبى ربيعــة أيضا : (٥٣)

ونرى هذا التأثر بمعانى القدماء وصورهم ونهجهم يلازمه حتى فى شعره (النبطى) فيقترب من ابن أبى ربيعـــة فى قصيدته التى يقول فيها ابن أبى ربيعة :

فسريت فى ديجـــور ليل حنـــدس
متنجدا بنجـــاد ســيف أعـــوج
حتى دخلت على الفتـــاة وانهـــا
لتحط نومـــا مثـــل نوم المبهج
واذا أبوها نائم ، وعبيـــــــده
من حولهـــا مثل الجمـــال الهرج

---

(٥٢) ديوان عمر بن أبى ربيعة ص ١٤٦ .

(٥٣) المصدر السابق ص ١٢٨ .

فوضعت كفى عنـــد مقطع خصرها
فتنفست نفســـــا ، فلم تتهلج
فلزمتهـــا ، فلثمتهـــا ، فتفزعت
منى ، وقالت : من ؟ فلم اتلجلج (٥٤)

ويقول الخليفى فى قصيدة نبطية ـ قريبـــة المعنى من قصيدة ابن أبى ربيعة السابقة :

كم ليلة غدرا تشـــوف الظـلامى
مثل الجبال السود وابروق واغيـوم
نصبت فيها الشوق واهله انيـــامى
ابفرد أو سيف الهند فى كف شـغموم
رأيت الغضر ســكر من النوم رامى
عنـــه الســلب الا اثويب له اكموم
نشـــته ابراس ابهام رجلى أوقامى
متروع يمسح جبينه من النـــــوم
ســلمت يوم انه فطن فى ســـلامى
انزاح منه الروح والقلب مهمـــوم
قالت علامك فى الجهـــالة دوامى
ويلى من اسـباب الفضيحة مع اللوم
شوف الخدم والناس مثل النظـــامى
حولى وحظك فى العماهيج مشـــيوم
تشمت بنـــا الحساد وأهل التمـامى
وايصير فينـــا الهرج والظن معلوم
ما زالت به حتى رمى باللثـــــام
يضحك ابسن كأنه الدر منظوم (٥٥)

وكذلك ممن نرى لهم تأثير فى أشعار الخليفى أبى فراس الحمدانى حيث نرى أن الخليفى فى احدى قصائده قد أغار

---

(٥٤) المصدر السابق ص ٨٨ .

(٥٥) ديوان الخليفى ص ١٦ .

على معظم معانى قصيدة (أراك عصى الدمع) لأبى فراس وأدخلها فى قصيدته التى أنشأها فى مدح حمود بن صباح الخليفة واستهلها بالوقوف على الاطلال :

أهيل الحمى بانوا فبان عزائيـا
واذللت دمعا كان بالأمس غاليا
معذبتى ما أنصف الدهر بيننا
قضاك لغيرى واستخار الشقاليا
أما للهوى شرع يزيل ظلامتى
فيحكم بالانصاف فيما ابتلانيا (٥٦)
تماطلنى بالوصل وهى غنية
وقد بلغت روحى عليها التراقيا
اذا كان نزع الروح من دون وصلها
فلا هطلت سحب اذا مت ظاميا (٥٧)

وللخليفى أوصاف معينة تتكرر فى معظم قصائده الغزلية فالجمال اليوسفى كما يسميه أو الجمال الجسمى فى محبوبته غالبا ما يستولى على لب الفقيه والعابد والراهب فيقع فى غرامها :

كم من فقيه زاهد متعبد
لما رآها كان صبا مغرما (٥٨)
لو أنها طلعت لحبر راهب
لصبا واضحى فى هواها مغرما (٥٩)

وهو متأثر بالنابغة الذبيان فى قصيدته (المتجردة) ٠

---

(٥٦) ابتلانيا : من بلاه ، بلوا اختبره ٠ والشاعر هنا أتى بها (عامية) كعادته لتتمشى مع القافية التى يسير عليها ٠ وهو خطأ يتكرر عنده فى كل قصائده تقريبا ٠

(٥٧) ديوان الخليفى ص ٤٦ ٠

(٥٨) ديوانه ص ٩ ٠

(٥٩) ديوانه ص ١٢ ٠

لو تبـــدى فـــــرآه
عابـــد كان وليـــا
لصـــبا فى الحب حتى
كان للزهـــد نسـيا (٦٠)

★★★

حورية لو رآها العـــالم الزاهـــد
متعبد مخلص فى وسط محرابه (٦١)
تابع هواها وخامر حبهـــا عقله
عقب الديانة أو نسى الصـوم واكتابه

والخليفى مع اكثاره من شعر الغزل اذا قسناه بالنسبة للموضوعات الأخرى التى طرقها الا أن غزله فيه تعفف ولم يصل به التهتك والاستهتار بالقيم الدينية والاجتماعيـة الى الدرجة التى وصل بها بعض شـــعراء الغزل كعمر بن أبى ربيعة أو بشار وأبى نواس وغيرهم ٠ فكما ذكرنا أن الغزل عند الخليفى ما هو الا نتيجة اتباع وتقليد لما هو شائع فى عصره ، والقصيدة الوحيدة التى يمكننا القول بأنه ربمـــا تطرف بها فى غزلياته هى القصيدة التى يشبه فيها محبوبته بالكعبة والحجر الأسود فوصل بها الى حد التقديس (٦٢) ٠

طحنا على الخد من بعد الوجد وأخمد
نارا بكبدى تشـــابه كور حداد
عقب الجفـــا والعنـــاكل توسد يد
خله ابلم أو ضم غير معتـــــاد
يا كعبة الحسن لكن ليس هى تقصـــد
كالـكعبة التى تجيها النـــاس وفاد

---

(٦٠) ديوانه ص ١١ ٠

(٦١) ديوانه ص ٤٢ ٠

(٦٢) من الشعر القطرى ١٧٠ ٠

خدش كما (٦٣) الركن والخال الحجر الأسود
واحنـــا حواليش قيام وقعـــاد
لولا الحـذر من عذاب الواحد الأمجـد
بتنـــا حواليش (٦٤) ركاع وسجاد

وبعدها نجد أن الروح الدينية تبدو واضحة فى أشعاره وذلك راجع الى نوعية الثقافة التى نهل من معينهـا وهى ثقافة دينية كما ذكرنا • فلو تتبعنا أشعاره لوجدناها تضمنت الكثير من المعانى والاقتباسات من القرآن الكريم :

قال لى العـــاذل تســلو
قلت ذا شىء فـــريا
لا وحـــق الله انى
أســـله ما دمت حيـــا
فلقـــد همت بـــه اذ
أنا فى المهــد صــبيا
أحـــور فى وجنتيــــه
نبت الـــورد جنيـــا (٦٥)

★★★

فلما تبدت فى حجـــاب خدورها
قرأت هناك الليل والشمس والفجر (٦٦)

★★★

وزعمت انى غـــافل عن ودكم
حاشا وعم ،والضحى،والطارق (٦٧)

كمّا أننا نراه فى احدى غزلياته وهو يحاور محبوبته فى مسائل فقهية مما يدل على المامه بمثل هذه العلوم الدينية :

---

(٦٣) خدش : خدك •

(٦٤) حواليش : حولها •

(٦٥) ديوانه ص ٤٠ •

(٦٦) ديوانه ص ١٠ •

(٦٧) ديوانه ص ٥٠ •

يا من كساها الحسن ثوب وغطـــــاها
أدى زكاة الحسن الى جاك طـــــلابه
قالت أنا مـذهبى مـذهب ولد حنبل
أنكر زكاة صـغير السن وأفتى به
قلت انجزيها يقول الشـــافعى قالت
عز الله انى مع ذا طحت فى اطلابه (٦٨)
يعطـــونك أهلى زكاتى قلت يا هذى
يدى(٦٩)زكاةالحسن منيملكانصابه(٧٠)

أما شعر المديح والفخر عنده فهو لا يخرج عن المعتاد من المعانى التقليدية والأوصاف المتداولة وبدأ القصيدة فى حالة المديح بالوقوف على الاطلال ومناجاتها ثم الانتقال الى وصف المحبوبة وبث لواعج الشوق والحرقة ثم الانتقال الى الغرض الرئيسى وهو المديح ، ولكن مما يلاحظ على شعر المديح عند الخليفى أنه لم يكثر منه كما أنه لم يتمـــاد فى مدح الأمراء والتكسب بالشعر على عادة معظم الشـــعراء فى عصره وبيئته بالذات فلا نجد له قصائد من هذا النوع ، والقصائد التى قالها فى المدح كلها كان قد نظمهـــا فى مدح أقاربه وأصدقائه • وقد عرضنا لنماذج منها فى أغراض الشعر •

---

(٦٨) أى وقعت فى شراكه •

(٦٩) يدى : يؤدى •

(٧٠) ديوانه ص ٤٢ •

٣ ـ ابن عثيمين

هو محمد بن عبد الله بن سعد بن عثيمين ٠

ولد عام ١٨٤٤ م فى بلدة (السلمية) من أعمال الخرج (٧١) فى نجد وقد توفى والده وهو صغيرا وتربى فى كنف أمه وأخواله ٠٠ وتلقى تعليمه أول الأمر فى الكتاب فى قريته فتعلم مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم حيث كان نظام الكتاب هو النظام السائد فى هذه الفترة ، ثم طلب العلم على يد الشيخ عبد الله بن محمد الخرجى قاضى السلمية آنذاك (٧٢) ٠ وتتلمذ كذلك على يد الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع فى قطر ـ وقد أشرنا الى مدرسة هذا العالم الجليل فى الفصل الخاص بالحياة الثقافية ـ عكف بعدها ابن عثيمين على دواوين القدماء يحفظ منها ما شاءت له ذاكرته حفظه ويستزيد من ذلك التراث الذى أخذ ينمى موهبته ويعمق فى رصيده اللغوى والفكرى من الأدب العربى شعره ونثره ٠

أما أهم صفاته : فهو كما يقال رجل ربعة ليس بالقصير ولا بالطويل بل وسط أسمر اللون ، صحيح الجسم ممتلىء ، وكان متأثرا فى ملبسه بالزى القطرى حيث أنه عاش فترة طويلة فى قطر ٠ وكان رجلا تقيا ورعا متواضعا (٧٣) ٠

وعندما استقر ابن عثيمين فى قطر أخذ يعمل فى تجارة اللؤلؤ حيث كانت هى التجارة الرائجة فى المنطقة ، واستطاع

---

(٧١) ابن عثيمين رائد الشعر الحديث فى نجد عبد العزيز الفريح ص ٣٢ (رسالة دكتوراه ـ كلية اللغة ـ جامعة الأزهر) ٠

(٧٢) المصدر السابق ص ٣٣ ٠

(٧٣) ديوانه ص ١٥ ٠

ابن عثيمين أن يمتد بتجارته الى الهند حيث كانت العلاقات التجارية بين الهند ودول الخليج فى أوج نشـاطها فى تلك الفترة ، وخاصة فى تجارة اللؤلؤ الذى كان يصدر الى الهند التى كانت السوق الرئيسـية له ٠ وظل ابن عثيمين يمتهن التجارة حتى أواخر حياته عندما انتقل الى السعودية ٠ والى جانب ذلك فقد كان على اتصال دائم بحكام المنطقـة من آل ثانى ، آل خليفة ، وآل سعود فمدحهم وقدموا له الكثير من يد العون والمساعدة ٠ وقد تزوج ابن عثيمين بعدة زوجات ولا زالت بعض أفراد عائلته تعيش فى قطر حتى الآن ٠

صلة ابن عثيمين بقطر :

لقد كانت منطقة نجد فى تلك الفترة مضطربة وفى حالة حروب ومعارك ونزاعات مما حدا بابن عثيمين الى أن يترك نجد ويتجه الى قطر حيث بدأت الأمور هنـاك فى الاستقرار بعد أن تولى مقاليد الأمور الشيخ قاسم بن محمد وعنـدما حل ابن عثيمين ضيفا على قطر نشأت علاقة ود وصـداقة بينه وبين الشيخ قاسم نتيجة تقارب فى ميولهما الأدبية فقد كان الشيخ قاسم ـ وكما ذكرنا سابقا ـ أنه ذا ثقافة واسعة اذا قسناه بالنسبة لمحيطه الذى يعيش فيه وقد كان الشـيخ قاسم بن محمد شاعرا وله ديوان شعر بالعامية (نبطى) كما كان أديبا ذواقة للأدب والشعر ، مما حدا بابن عثيمين أن يعجب به ويضع عصا الترحال عنده ، وكان للشيخ قاسم ابن محب للأدب ويقرض الشعر بالعامية أيضا هو (على) الملقب (بجوعان) نشأت بينه وبين ابن عثيمين صـداقة وصحبة فكانا يتطارحان الأشعار ، ويتسامران على موائد الأدب ٠

ولذلك توثقت عـرى الصـداقة والود بين ابن عثيمين والشيخ قاسم بن محمد وأبنائه عليا ، وعبد الله حتى أصبح الشاعر وكأنه واحد منهم ، وكان لرعايتهم له واهتمامهم به

مكانة عظيمة فى نفسه جعلته يصل فى اخلاصه لهم الى درجة التضحية بنفسه فى سبيل نصرتهم · وقد دلل على ذلك حينما قتل صديقه (على) على يد العجمان عندما أغاروا على قطر عام ١٨٨٦ م ، ١٣٠٤ هـ (٧٤) فقام أهالى قطر برد الغارة والانتقام من العجمان فبرز ابن عثيمين فى مقدمة الجيش القطرى وهو يحمل الراية ويقاتل مع القطريين ضد أعدائهم وهو يردد أبياتا من الشعر النبطى :

ما نيب من اللى تاجروا بالعمـــارا
قلطت يوم اللاش فى الجيش قــد خار
هى بالهم لا الجســوم النظــارا
ما كل زند تقدحه يورى النـــار (٧٥)

وظلت علاقة الود والصداقة بين ابن عثيمين وبين قطـر متمثلة فى حكامها حتى أواخر حياته ، فبعـد أن اتصل بآل سعود واستقر هناك ظل وفيا لقطر يزورها كلما شده الوجد والحنين ويدبج أشعاره فى حكامها حتى اعتزاله للشـعر وأصبحت قطر وتعلقه بها وبزيارتها وشوقه لها كالكعبة الا أنه يزورها غير محرم ·

فقلت لهـــا مهــلا فان تقلقلى
الى كعبة يهــوى لهـــا كل معدم
وينتابهـــا قوم كرام أعـــزة
ففيهـــا ابن عكاز وفيهـــا ابن ضيغم
منـــاسك حج قد أقيمت فروضـــها
خلا أن من يسعى بهـــا غير محرم (٧٦)

وعندما تقدمت به السن يمم وجهه نحو موطنـه الأصلى

---

(٧٤) ديوانه ابن عثيمين ص ١٢ ·

(٧٥) ابن عثيمين رائد الشعر الحديث فى نجد ـ رسالة دكتوراه ـ عبد العزيز الفريح ص ٣٧ ·

(٧٦) ديوانه ص ٣٩٩ ·

حيث عاد الى السعودية وظل على اتصال بموطنه الثـــانى قطر حتى أواخر حياته حين وافته المنية عام ١٩٤٤ (٧٧) ٠ حيث كان قد اعتزل الشعر والتجـــارة وأصبح اماما لأحد المساجد فى (الحوطة) كما كان يقوم بالتدريس لطلاب العلم فى المسجد ٠

شعر ابن عثيمين :

ولابن عثيمين ديوان شعر مطبوع جمعه (سعد بن رويشد) وطبع بدار المعارف بمصر باسم العقد الثمين ٠ ثم أعيد طبعه على نفقة دولة قطر ٠ وقد قيل ان ابن عثيمين لم يقـــرض الشعر الا عندما بلغ الستين من العمـــر ، وقد ذهب بعض الدارسين والمؤرخين ممن عرضوا أو تصدوا لدراسـته أو للأدب الحديث فى الجزيرة العربية الى تعليل هذه الظاهرة بعدة أسباب منها : أنه ربما يكون للشاعر شـــعر سياسى لا يتمشى مع الفترة التى عاشـــها فيما بعد فلم يرغب فى اظهاره (٧٨) ٠ أو ربما يكون شعره فى بداية عهده مقتصرا على شعر الغزل ، وتحرج فيما بعد من اظهاره فأخفـاه عن الناس٠٠الى آخر هذه التعليلات (٧٩) ٠وأول قصيدة نظمها بالفصحى كما ذكرها جامع الديوان هى قصيدته اللاميـــة التى قالها فى مدح الشيخ محمد بن عيسى الخليفة وذلك فى عام ١٩٠٢ م (٨٠) ٠

وابن عثيمين لم يخرج فى شعره على الطابع العام للفترة التى عاشها من حيث التقوقع فى الموضوعات الشـــعرية

---

(٧٧) ابن عثيمين رائد الشعر الحديث فى نجد - رسالة دكتوراه - عبد العزيز الفريح ص ٤٠ ٠

(٧٨) المصدر السابق ص ٤٥ ٠

(٧٩) الشعر الحديث فى الجزيرة العربيـــة - رسالة دكتوراه - عبد الله الحامد ص ١٦١ ٠

(٨٠) المصدر السابق ص ١٦١ ٠

التقليدية التى ظل الشعر العربى يجترها طوال فترة طويلة . فهو لم يتطرق الى موضوعات جديدة تخرج عما كان سائدا عند الشعراء المعاصرين له فى تلك المنطقة ، ولكنه عاد بالشعر العربى فى هذه المنطقة الى عهده القديم ، من حيث الجزالة فى الأسلوب ، واستقامة المعنى ، والدقة فى اختيار الألفاظ الفصيحة وان كانت ضاربة فى الغرابة الى حد قد يستعصى على القارىء فى بعض الأحيان فهم معانيها .

وابن عثيمين يعتبر أقوى شاعر ملك ناصية الشعر فى هذه المنطقة فى تلك الفترة ، وهو يعد بمثابة البارودى فى مصر ، الا أنه لم يصل الى ما وصل اليه البارودى من سعة الأفق ، والتنوع ، اذ لم يتح له ما أتيح للبارودى من ثقافة واسعة ، واطلاع ومعايشة لحياة أكثر تطورا وحيوية قد عاشها البارودى فى تلك الفترة . فبالنسبة للفترة الزمنية التى عاشها ابن عثيمين وهى فترة متأخرة كنا نتوقع أن يتجاوز طور الريادة فى الاحياء والبعث ويجارى شعراء معاصرين له تجاوزوا ذلك الى طور التجديد ،من أمثال شوقى ،وحافظ، ومطران فقد طرق هؤلاء الشعراء فى تلك الفترة أبوابا جديدة لم يكن يعرفها الأدب العربى من قبل كالشعر المسرحى عند شوقى ، والاجتماعى عند حافظ .. فهؤلاء قد تجاوزوا طور الاحياء والبعث الى طور التجديد والخلق والابداع فى الوقت الذى ظل فيه ابن عثيمين يجتر أغراض القدماء وموضوعاتهم وصورهم ، وأغلب معانيهم . وكل ذلك راجع الى الظروف الثقافية والاجتماعية التى عاشها .

وأهم الموضوعات التى تناولها ابن عثيمين ، أو التى احتواها ديوانه هى المديح ، والرثاء ، والتهانى ، والغزل التقليدى الذى يأتى به فى مطالع قصائده الى شعر الوصف الذى يتخلل هذه القصائد كوصف الناقة أو الديار ونحوه . وأغلب الأغراض التى طرقها ابن عثيمين هو فن المديح ولعل ذلك راجع الى كونه الفن الشائع فى المنطقة ، ثم ولوع الحكام

والأمراء بالمديح ، الى جانب حاجة ابن عثيمين الى المال حيث خرج من نجد فقيرا فكان لابد أن يتقرب الى الحكام والأمراء فى البلد التى يحل بها عن طريق مدحهم وتمجيدهم ، ولذلك فقد طغى فن المديح عنده على بقية الفنون ، فديوانه يحتوى على سبعة وثلاثين قصيدة فى المديح فى مقابل ثمان قصائد فى مختلف الموضوعات (٨١) ٠

وشعر المديح عنده ينحصر تقريبا فى ثلاثة أسر حاكمة هى :

أسرة آل ثانى حكام قطر ، وأسرة آل سعود ، وأسرة آل خليفة حكام البحرين ٠ وأول قصيدة قالها فى مدح حكام قطر هى تلك القصيدة التى نظمها فى مدح الشيخ عبد الله بن قاسم عام ١٩٠٧ م ، ١٣٢٥ هـ :

نعم هذه أطلال سلمى فسلم
وأرخ بها سيل الشؤون وأسجم
وقف فى مغانيها وعفر بترب بها
صحيفة حر الوجه قبل التندم (٨٢)

وقد تحدثنا عن شعره وقيمته الفنية أثناء عرضنا لبعض قصائده التى قالها فى قطر وذلك عند حديثنا عن موضوعات الشعر القطرى فى الباب السابق ٠

---

(٨١) الشعر الحديث فى الجزيرة العربية ٠ (رسالة دكتوراه – عبد الله الحامد) ص ١٦٢ ٠

(٨٢) ديوانه ص ٣٩٥ ٠

٤ ـ أحمد يوسف الجابر

حيـــــاته : (٨٣)

ولد الشاعر أحمد الجـــابر عام ١٩٠٣ م ، ١٣٢١ هـ فى الدوحة عاصمة قطر · ولما بلغ الســـــابعة من عمره أدخله والده أحد (الكتاتيب) ، وكان المدرس فيها عمه محمد بن جابر · ومكث الجابر فى المدرسة ما يقارب العامين ، تعلم فيهما القراءة والكتابة ، وقراءة القـــرآن الكريم · كما هو معتاد فى تلك المدارس · ولما بلغ السادسة عشر من عمره ، التحق بالمدرسة (الأثرية) التى كان يدرس فيهـــا الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع (٨٤) · وظل الجـــابر فى هذه المدرسة حوالى ثلاث سنوات ونصف ·

وقد كانت الدراسة فى هذه المدرســـة تسير على النهج التقليدى القديم ، فتبدأ بدراسة العلوم الدينيـــــة كالفقه ، والأحاديث النبوية ، والسيرة ، وقد درس الشاعر فيها بعض علوم اللغة ، كالنحو ، والأدب ، كما درس فيهـــا من كتب النحو ، الأجر الروميـــــة للأجر الرومى الصنهاجى وشرح الكفراوى عليها · وكتاب قطر الندى وشرح ابن عقيل عليه · كما درس بعض كتب التاريخ ·

وفى عام ١٣٣٨ هـ ، ١٩١٩ م التحق الشـــاعر بخدمة الشيخ عبد الله بن قاسم أمير البلاد آنذاك · وقد كان لاتصاله بالشيخ عبد الله بن قاسم أثر على توجيهـــه على مواصلة الدراسة ، والاستزادة من العلم ، فعندما التحق بخدمة هذا الأمير ، كان يطلب منـــه أن يطلع على بعض الكتب ، وبعد

---

(٨٣) كل ما يتعلق بحياة الشاعر ومصادر ثقافته · قد أخذته عنه مشافهة من خلال بعض المقابلات والأحاديث التى أجريتها معه فى منزله بمدينة الدوحة فى شهر فبراير ١٩٧٨ م ·

(٨٤) وقد أشرنا الى هذه المدرسة فى الفصل الخاص باحياة الثقافية ·

قراءتها يجلس معه ويستمع الى ما قرأه ، كما يطلب منـه ، اعادة قراءة هذه الكتب عليه ، ويناقشه أحيانا حول بعضها ، ومن أهم الكتب التى كان يقرأها ـ كما يروى الشـاعر ـ تفسير ابن كثير وقد قرأه على الأمير ثلاث مرات . وتفسير البغوى ، وتاريخ ابن الأثير ، وتاريخ ابن جرير . ومن كتب الحديث صحيح البخـارى ، وصحيح مسلم ، ومشـكاة المصابيح . وبلوغ المرام للعسقلانى . ومن كتب الأدب التى كان يقرؤها كتاب الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ، والآمالى لأبى على القالى وخزانة الأدب للبغـدادى . ومن دواوين الشعراء كان قد قرأ : النقائض بين جرير والفرزدق . كما قرأ الشاعر لبعض شـعراء العصر العبـاسى ، ومن المحدثين قرأ للشاعر محمود سامى البارودى . وكما يقول: الجابر أنه تأثر نوعا ما بالشاعر ابن عثيمين .

وكان الشاعر بالاضـافة الى عمله هذا وهو القراءة والتحصيل ،واعادة ما قرأه على الأمير، أيضا يقوم بامامتهم فى الصلوات ، ويخطبهم فى الجمع . كما أنه كان الـكاتب الخاص للأمير ، وكان يدبج بعض الرسائل المتبـادلة بين الأمير ، وبين بعض الحكام فى المنطقة .

وفى عام ١٣٥٦ هـ عنـدما حدثت أزمة الحدود بين قطر والبحرين حول (الزبارة) كان الشـاعر هو المسؤول عن التجنيد وتوزيع السلاح ، واجراء الرواتب للجنود . وبعـد تولى الشيخ على بن عبد الله الحكم على أثر تنازل والده له ظل الشاعر على نفس الوظيفة للحاكم الجديد وهو بمثـابة مدير مكتبه ، وأمين السر لديه . وتولى الشاعر أيضا بعدها الاشراف على « مكتب العطاء » ومهمتـه تتلخص فى اجراء راتب معين لكل مواطن ، وخاصة المحتـاجين منهم ، وكان يتعداه أحيانا فتمنح هذه المساعدات لكل وافد يطلب المساعدة والعون المادى . وظل الشاعر يدير هذا المكتب حتى بداية الستينات حيث ادمج المكتب بعدها مع دائرة العمل والشؤون الاجتماعية (وزارة العمل والشؤون الاجتماعية الآن) .

أما فى الوقت الحاضر فيتولى الشـاعر الاشراف على جنسية المجندين فى الجيش · وهو بالاضافة الى ذلك يدير بعض الأعمال التجارية الخاصة ·

وفى أثنـاء خدمته للشيخ عبد الله بن قاسم تحصل بين الأمير والشاعر بعض الجفوة ، ويقلب الزمان للشاعر ظهر المجن ، فيقرر الشاعر ذات يوم الرحيل حيث كان يقطن الى جوار أميره فى مدينة (الريان) ويتفق الشـاعر مع أحد أقاربه فى مساعدته على ذلك · ويصور لنا الشـاعر هذه الحادثة العابرة ، والتى انجلت فيما بعد وعادت العلاقة كما كانت عليه بين الأمير وشاعره · يقول الشاعر : (٨٥)

عسى لمحـة من عارض اسـتخيله
تحقق آمالى فيحيـا محيله (٨٦)
ارقت لهـا وهنا أشيم فأسـعدت
شؤون لرؤياها تزيد همـوله (٨٧)
سرت مثل نبض العرق خفيا وميضها
على حين أولى النجم حان أفـوله
فقـدمت أولى الخطـو ثم رددتها
كشأن الذى أعيت عليـه سـبيله
وطمـاحة قلت اطمأنى لجـاجة
سيغنيك عن حزن البلاد سهوله (٨٨)
وأعلقتهـا حبل الرجاء وقولهـا
لعل الذى أظمأ التـلاع يسيله (٨٩)
ونضـو الرجاء أدميت منـه أظله
على أثر نيل الجـد طال طويله (٩٠)

---

(٨٥) درر المعانى ج ٢ ص ٧ ·

(٨٦) المحيل : الجدب ·

(٨٧) اشيم ، من شام البرق : نظر اليه ليتحقق من مكان مطره ·

(٨٨) حزن البلاد : يراد به الخشونة والغلظة · والسهولة الرقة واللين ·

(٨٩) التلاع ما ارتفع من الأرض ، والتلاع مسيل الماء وهو المقصود ·

(٩٠) والنضو : البعير المهزول ·

زخارف آمال يعلل ربها
وتدآب سير قل منه حصيله
وسعى على آثار جداء شارف
اذا امتص خلف حن منه فصيله (٩١)
علالة آمال أعلل مهجة
تراقب من نجم النحوس أفوله
برغمى شكاة ضيع البؤس سرها
وأظهر مظنون الشكاة دخيله
فقد أجهضتنى من زمانى أزمة
على حين شرخ العمر بان ذبوله
تجهمنى الأدنى الذى هو عدتى
وباعدنى من جل همى وصوله
وانكرت نفسى بينهم وتنكرت
معارف تستجفى الخليل خليله
وقد كان لى القدح المعلى لديهمو
فقد ظل قدحى بينما أستجيله
ثلاث أتت بعد الثلاثين لو أتت
على حجر قد بان فيه نحوله
سنون توالت رنق الدهر صفوها
سوى سؤرة لو كان تشفى غليله (٩٢)
وهاض جناحى خفقه فتساقطت
قوادمه مذ طار عنه نسيله
فقد آن للمضطر انشاء رحلة
تباعد عن ظل الهوينا مقيله
لى الله كاف موقف الهون والدنا
وضربى أعراض البلاد وطوله

---

(٩١) الجداء : الغنى . والجداء : ولد الماعز . وهو المراد هنا ومفردها جدى والجمع أجد ، وجداء . شارف : دنا وقرب منه . الفصيل : ولد الناقة . وخلف : الضرع أو الثدى .

(٩٢) رنق الدهر صفوها : كدر صفوها . السؤرة : بقية الماء .

وتتسم هذه القصيدة بصدق العـــاطفة وعمق التجربة ، فجاءت الصور والأوصاف متمشية مع الأفكار والمعـانى . وان كانت هذه الصور والأوصاف ضـــاربة نوعا ما فى الغرابة . ويغلب عليهـــا طابع البداوة . وذلك راجع الى نوعية ثقافة الشاعر . وتشيع بعد ذلك بعض الأخطاء اللغوية والنحوية فى القافية فحرف الروى تارة يكون مرفوعا ، وتارة يكون منصوبا .

ثقـــــافته :

ومن خلال استعراضنا لحياة الشـــــاعر فى الصفحات السابقة اتضحت لنا أيضا ثقافته ونوعيتها ومصـــادرها ، فهى ثقافة تقليدية ، كونها من خلال اطلاعاته وقراءاته للكتب والدواوين التى أشرنا اليها سابقا . وهى ثقافة ذات طابع دينى اسلامى ، عربى بحكم التقاليد الســـائدة فى التعليم آنذاك . وقد ظهر أثر هذه الثقافة على شعره . فنجد شـــدة تأثره بالقديم خاصة فيما يتصل بالاسلوب العـــام للقصيدة كما سوف يتضح فيما بعد .

شـــــعره :

والجابر ليس له ديوان خاص بشعره ، ومعظم أشـــعاره التى نشرت حتى الآن هى مجموعة من القصـــــائد متعددة الأغراض منشــــــورة فى ديوان (درر المعانى) المكون من أربعة أجزاء ويحتوى على أشعار لشعراء كثيرين من قطريين وغيرهم .

وقصــــــائد الجـــابر موزعة بين الجزء الأول ، والجزء الثـــانى (٩٣) ، من الديوان المذكور ومعظم أشـــعاره فى

---

(٩٣) قصائده فى الجزء الأول الصفحات : ١٠ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ،

المناسبات ٠ كتهنئة بولاية حكم (٩٤) ، أو التهنئة بعودة من رحلة (٩٥) ، أو الشفاء من مرض ونحوه ٠ وله ثلاث قصائد سياسية فى الرد على بعض شـــعراء البحرين أيام الأزمة الطارئة بين البلدين الشقيقين ، وقد ذكرنا له قصـــيدة فى الباب السابق من هذا الكتاب ٠ كما ذكرنا له بعض قصائد فى الرثاء ، كالقصيدة التى رثى بها الشيخ حمد بن عبد الله، والقصيدة التى رثى بها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ٠ وقصيدة بمناسبة العام الهجرى سبق ذكرها ٠

أما شعر الغزل ٠ فان الجابر لم يطرقه لا من قريب ولا من بعيد ، وذلك راجع الى شدة تمسكه ، وغلبة الروح الدينيـة عليه ، فرأى تجنب هذا الفن ، وأن لم ير حرمته ٠

وشعره كما اتضح لنا من خلال دراستنا لبعض أشعاره فى المرحلتين ـ حيث أن شعره يشـــمل المرحلتين ـ شـعر تقليدى سواء من حيث موضوعاته أو من حيث أسـلوبه فى القصيدة ٠ وان اختفت عنده المطـــالع الطللية والمقدمات الغزلية ٠ الا أن الصور والأوصاف والمعانى فى أغلبها معان تقليدية ٠ كما أشرنا الى ذلك فى قصائده السابقة ٠وهو كثير اللجؤ الى غريب اللغة فى معظم قصائده سواء فى الألفـاظ أو الصور والأوصاف والمعانى ٠ وقصيدته (شكوى حال) تمثل هذا الاتجاه والتى سبق ذكرها منها قوله :

« سيغنيك عن حزن البلاد سهوله »
« ونضو الرجاء أدميت منه أظله »
« وسعى على آثار جداء شـــارف
اذا امتص خلف حن منـــه فصيله »

---

٢٥٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ٠

وفى الجزء الثانى (من درر المعانى) من ص ٧ ـ ٢٣ ٠

(٩٤) درر المعانى ج ١ ص ١٠ ، ٢١٥ ٠

(٩٥) المصدر السابق ص ٢١٨ ٠

وقوله :

وقد كان لى القــدح المعلى لديهمو
فقد ضــل قدحى بينمــا أستجيله

وهكذا نجد أن معظم الأوصاف والصور والمعـانى عندم مستقاة من الشعر العربى القديم ؛ فالممدوح فى كرمه بحر زاخر بالخيرات ٠

يا لجــة الــكرم الذى من قبله
كانوا أواذى بحــره الزخــار
خضل الأنامل بالحيـنــاء وجوده
كالبحر يحتقر الغمام السارى (٩٦)

وتهلل وجه الممدوح واشراقته شبيه بغرة الصبح وطلعة البــدر

أنبع الصفا أم غرة الصبح أم بدر
بوجهك أم هذى الســماحة والبشر
جميل المحيــا المعى مهــذب
له قسمات غار من نورها البدر (٩٧)

والممدوح فى شجاعته وقوة بأسه أسد يخشى وثبته :

يا أيهــا الأسد المخشى وثبتــه
لا تبرزن شــبا ناب وأظفــار
والتف حولك م الأبناء مأســدة
بجحفل كأتى البحــر زخار (٩٨)

---

(٩٦) درر المعانى ج ١ ص ٢١٥ ٠

(٩٧) نفسه ص ٢١٨ ٠

(٩٨) نفسه ص ٣٠١ ٠

وقوله :

الشعب لبى زئير الضيغم الضـــــارى
وقادح المجـــد أورى زنده الوارى (٩٩)

والجابر مع هذه الروح التقليـــــدية التى سيطرت على شعره ، الا أنه لم يعش بمعزل عن عصره ، وحوادثه ، فكما سبق أن أشرنا من قبل أن هناك العديد من القصــــائد التى تصور الحوادث والمشاكل التى كانت تحدث أيامها ، وان عبر عنها باسلوب تقليدى • كما أنه أحيانا فى شعر المناســـبات يتخذ منها منطلقا لبث بعض النصائح وسوق العبر للممدوح شحذا للهمة ، ودفعا للعمل وقد سبق أن أوضحنا هذا الاتجاه فى الباب الخاص بالشعر • ولنستمع اليه فى هذه الأبيات من قصيدة قالها فى تهنئة الشيخ على بن عبــــد الله بولاية الحكم ، يقول فيها مخاطبا الحاكم : (١٠٠)

وأنفذ الحق بين النـاس مرتقبـــا
يوم الجزاء كما للناس أعمــــال
أوارحم شبيبة شعب ضـــاع أولها
مرت عليهـا من الاهمال أجيـــال
أنظر اليهـــــا بعطف منك ينشلها
من هوة الجهل ان الجهل اضــــلال
وأرفـع لواءك بالتعليم مجتهـــــدا
ورد حياض المعـــالى فهى سلسال
الف شــــــوارد آراء بك اتفقت
وانهض فرائدك العليـــا والنـــال
وأحذر بجهدك جار الســـؤان له
بوائقــــا همهن المال والحـــال

ويلتفت الشاعر الى المجتمع بصورة مباشرة حين يخاطب

---

(٩٩) نفسه ص ٣٠٥ •

(١٠٠) المصدر السابق ج ١ ص ١١ •

شبابه حاثا اياهم على المثابرة والجد فى طلب العلم ، فبالعلم تبنى الأوطان وترقى الأمم · ويـــدعوهم الى ترك الكسل والخلود الى الراحة · ويحثهم على التمسك بتقـوى الله والتحلى بالخلال الكريمة : (١٠١)

بنى وطنى هبو اشتياقا الى العلى
وشيموا بروق المجد لاحت مخائله
دعو عنكم الأخلاد بالجهل والونى
فأنى ينال المجد فى الناس جاهله
انيروا بنـــور العلم نهج طريقكم
وسيروا على الهدى الرواء مناهله
ألا فاقبلوا منى نصيحة مشـــفق
حريص عليكم لم تعقه مشــاغله
بنى وطنى ما أقبح الجهل بالفتى
واقبح منـــه فى الملمـات حامله
ولا تألفـوا ظل الهوينـــا وشمروا
فهـــذا أوان الجد زمت رواحله
وكونوا مثالا فى المعالى واســوة
بكم يقتدى من لام أمرا يحــاوله
ولا تظهروا حسنا وتخفون ضـده
فان دخيل الســؤ تسرى غوائله
ملاك الفتى تقـــوى الاله وطاعة
لتقوى بهــا عند الاله وســائله
وطاعة من ولاه ذو العرش أمركم
فطـــاعته فــرض اقيمت دلائله
وللشـــعب أبنـــاء وللشعب حقه
ولابد يوما أن يرى وهو ســائله
هنــــالك لا يألوا الفتى بحيـــاته
اذا سيم ظيمــا أو أثيرت بلابله

---

(١٠١) القصيدة مخطوطة لدى الشاعر · ونشر جزء منها فى أحد الكتب المدرسية المقررة على تلاميذ الابتدائية · (كتاب الصف الخامس) ·

يصول صيال الليث حول عرينــــه
اذا ما اذيلت واستبيحت معـــاقله

ولكن الشاعر يضيق ذرعا بصنف معين من الشباب ،وهم أولئك الذين تشبهوا بالغربيين فى زيهم واسدال شعورهم ، وتعليق السلاسل فى رقابهم ، فتشـــبهوا بالنســـاء حتى لا تستطيع أن تفرق بين الكاعب والشـــاب ، فيثور عليهم الشاعر ، ويطالب بمعاقبتهم : والقصيدة تشيع فيها الأخطاء اللغوية فى القافية سوف نشير الى بعضها فى الهامش ٠

عذارى الحى تشـــكو حر شكوى
شـــبابا جار ظلما واغتصـــابا
حقـــوقا لا ترى فيهـــا شريكا
يشـــاركهن تستلب اســـتلابا
أغار على انوثتهـــا شـــباب
شبابا بيننـــا فقـــد الشـــبابا
تراه معقـــرب الصـــدغين يغدو
أســـيل الخد ينســـاب انسيابا
وقد عقـــد الخنـــافس فى جبين
وأرخى من انوثتــــه حجـــابا
وغرز المشـــط وسط الرأس شرط
اذا خاض الخنـــافس فيه غابا
يرطل شـــعره فى كل حين
كأن على مســـائحه سرابا (١٠٢)
متى جمـــع الـــزقاق لهن سربا
فما يدريك أيهمـــا الكعابا (١٠٣)
وقد ناطوا السلاسل وســـط عنق
كذا أرســـاغهم والرشـــد غابا

---

(١٠٢) سراب : خبران ، بالرفع ٠

(١٠٣) الكعاب : بالرفع ٠

تخلوا عن رجـولتهم وابـــدوا
مئـآنث قد تضاق بها الرحابا (١٠٤)
غزانا الغـــرب غـزوا بعـد غزو
فلما شـــارف الاخـــلاق طابا
وقال رضـــيت بالأخـــلاق منهم
متى ذهبت تكون لهـــم ذهـــابا
فهـــلا وازع فينــــا أمين
قوى شكيمة وســـليل غابا (١٠٥)
فيلهب بالســـــياط لأقــربيهم
وتحليق الشــعور لهم عقــــابا
فبعــدهم عن الشعب افتخــــار
وقـــربهم يزيد الشـــعب عابا
ولا تصبح مدارســـــنا مجـــالا
لمثلهموا وتوصــــد عنـــــه بابا
ويبعـــــد م الوظائف كل فــرد
على منهـاجهم كشف الحجابا (١٠٦)

وقصيدته الأولى كما هو واضح أقرب الى الشعر التعليمى فى نهجها ٠ففيها حثعلى العلم ودعوة الىالتمسك بالأخلاق، وكلها فى صورة نصائح مباشرة يسوقها الشاعر للناشئة من الشباب ٠أما القصيدة الأخيرة فيمكن أن تدخل ضمن النقد الاجتماعى الذى يرصد المجتمع وما فيه من قيم وخلال فيحث عليها ، ويبرز ما فيه من مثالب ، وتقـــاليد زائفة ، وعادات دخيلة غير صالحة فيحاربها ، ويوضح مضارها ٠ ولكن حظ الشاعر من هذا اللون من الشـــعر قليل بل لا يتعــــدى ما ذكرناه ٠

---

(١٠٤) الرحاب : بالرفع ٠

(١٠٥) سليل غاب بالجر ٠

(١٠٦) مجلة العروبة العدد (١٤٢) فى ١٩٧٢/١٠/١٩ م ٠

وكما ذكرنا سابقا أنه شاعر مخضرم أى أن شعره شمل المرحلتين ، ولكنه مع ذلك ظلت أشعاره من حيث الأسلوب فى القصيدة كما هو فى كلا المرحلتين · وان حدث بعض التجديد فى الأفكار والمعانى لديه ، كما أشرنا عند عرضنا لنماذج من شـــعره وما ذكرناه عند دراستنا لقصـــيدتى الرثاء فى المرحلتين ·

٥ ـ المعــــاودة : (١٠٧)

هو الشاعر عبد الرحمن بن قاسم المعاودة ،عربى النسب كان بعض أفراد أسرته يقطنـــون مدينـــة (الزبارة) ابان ازدهارها • ويتصل نسبه من جهة أمه بالشاعر عبد الجليل الطباطبائى حيث يقول الشاعر فى احدى قصائده :

ـ خطرات ـ

اذا ما شجانى الحب ســطرت أدمعى
بشــــعر يمر الدهــــر وهو جديد
فلا عجب هذا على حال شــــاعر
نمتــــه الى عبد الجليل جدود (١٠٨)

ولد الشاعر عام ١٩١١ م ـ ١٣٣٠ هـ بالبحــــرين (فى ضاحية القضيبية) وعندما بلغ السادسة من عمره بعثــــه والده الى الكتاب ، وقد حفظ القرآن الكريم ، وأجاد الكتابة بعد وقت قصير •

وفى عام ١٩٣٨ م التحق بمدرسة (الهداية الخليفيــــة) بمدينة (المحرق) وقد تخرج من هذه المدرسة عام ١٩٤٧ م ، ثم أرسل ضمن بعثة تعليمية من قبل حكومة البحرين لمواصلة الدراسة فى الجامعة الأمريكية فى بيروت • وبعد أن قضى الشاعر هناك ثلاث سنوات ، طلبت الحكومة اعادته مع أفراد البعثة الآخرين بسبب ميولهم واتجاهاتهم المنــاوئة للحكومة

---

(١٠٧) كل ما يتعلق بحياة الشاعر وثقافته ، أخذته عنه مشــــافهة من خلال مقابلتى له فى منزله (بالبدع) فى الدوحة فى ١٩٧٧/١١/٧ م •
ثم من مقدمة ديوانه • (ديوان المعاودة) ط ١٩٤٢ م •

(١٠٨) ديوان المعاودة ص ٥٩ •

القائمة آنذاك فى البحـــرين • وعاد الشـــاعر دون أن يتم دراسته هناك • وبعد عودته عرض عليـــه العمل بدائرة المعارف (وزارة التربية) ولكنه رفض ذلك • ثم قام بانشاء مدرسة أهلية يطلق عليها حتى الوقت الحاضر مدرســــة المعاودة ولا زالت قائمة حتى الآن (١٠٩) • وقد تفرغ الشاعر لادارتها والتدريس فيها فترة من الزمن ، وقد تخـرج على يديه الكثير من أدباء البحرين ، ورجال الفكر فيها • وقد كان الشاعر يقوم بتعليم الكثير من طلبة هذه المدرسة بالمجـــان عندما يرى عدم مقدرة البعض ماديا •

ثقـــــافته :

من خلال عرضنا لحياته تبين لنا أن الشاعر قد بدأ حيــاته الثقافية وتكوينه العلمي من خلال الثقافة التقليدية (الكتاتيب) ذات الطابع الدينى • ثم بعدها درس فى (مدرسة الهداية) وهى ذات طابع حديث • وربمـــا تعد فترة دراســـته بهذه المدرسة هى فترة تكوينه الثقافى والعلمى ، ثم كانت دراسته فى الجـامعة الأمريكية فترة من الزمن هى التى فتحت أمامه أبواب الثقافة الجديثة بصـــورة أرحب ، فتكون لديه الوعى القومى والوطنى • ومما ساهم فى تكوينه الفكرى واتجاهه القومى والوطنى هو ما كانت تشهده البحرين فى تلك الفترة من حالة تتسم بالقلق • ومحاولة للتغيير ورفض الواقع (١١٠)

ولعل هذه الارهاصات وحلم الشـــاعر بواقع أفضل ، وتبرمه من الواقع الذى كان يعيشـــــه ، كل ذلك ولد عنده احساسا بالغربة فى وطنه لتردى الأمور ، وضيقه بالدخلاء الذين يعيشون مكرمين منعمين وأبنــــاء الوطن محرومون

---

(١٠٩) يذكر الأستاذ عبد الله الزائد فى تقديمه لديوان المعاودة طبعه عام ١٩٤٢م أن المدرسة اسمها (مدرسة الاصلاح الأهلية) •

(١١٠) الأدب المعاصر فى البحرين ١٩٢٥ ـ ١٩٧٥ م (رســــالة) علوى الهاشمى ص ٣٧٤ •

منبوذون ٠ فأخذ الشاعر يقاوم هذا الوضع وسخر شعره فى ذلك حتى أطلق عليه شاعر الشباب ٠ وكما يرى البعض أن المعاودة كان أحد رجال الحركة الوطنية ، والصوت المعبر عنها (١١١) ٠ ولهذه الأسباب لقى الشاعر أيضا بعض المضايقات مما زاد من تبرمه بالوضع ، فانعكس ذلك على شعره ، وأخذ يردده :

وانى مغبون بدارى وموطنى
نصيبى هنا الاعراض والنظر الشزر(١١٢)
وذنبى فى البحرين أنى أديبها
وأنى رغم (الأذى) ابنها البكر(١١٣)

ويقرر الشاعر بعدها الانتقال الى قطر والرحيل عن بلده مصورا لنا الأسباب التى دعته الى ذلك :

أريد المعالى فى حماك وقد عدت
على بذاك الربع لؤما ثعالبه
اذا المرء يا مولاى ضيم بموطىء
فأحرى به ان كان حرا يجانبه
طمعت بهذى الأرض دارا وموطنا
فأنعم بها ربعا ستبنى جوانبه (١١٤)

★★★

والحر يأنف أن يعيش بموطن
فيه تعز أسافل الغربان (١١٥)

ويطلب من أمير قطر (الشيخ على آنذاك) أن يساعده فى الانتقال فيلبى طلبه :

---

(١١١) المصدر السابق ص ٣٧٤ ٠

(١١٢) القطريات ص ٢٦ ٠

(١١٣) (رغم المؤذيات) أو على رغم الأذى ٠

(١١٤) المصدر السابق ص ٤١ ٠

(١١٥) المصدر السابق ص ١٢٠ ٠

ومثلك لا تخفى عليـــه مشـــاكل
يواجهها الحر الأبى المنـــاضل
ولو استطيع اليوم ما كنت ســـاكنا
بربع دهتنى فى حمـــاه النوازل
ولكن أطفـــالا صـــغارا تعوقنى
رعايتهم عن أى أمـــر أحـــاول
وان شـــاء مولاى الكريم فاننى
الى ساحه عنموطنالذل راحل (١١٦)

ولكن الشاعر بعد نزوحه لقطر واستقراره فيها ظل حنينه لوطنه الأصلى (البحرين) يتردد صداه فى أشعاره ٠ فهو على رغم النوى والبعد وعلى رغم ما لاقاه هناك من اغفـال لمكانته الا أنه لا زال يكن لوطنه الحب ، والشوق والحنين :

هل لى عن الحى بعد النـــأى سلوان
كلا فانى مضنى القلب ولهـــــان
يا أيهـــا العازل الجانى على لقـــد
أشجيت قلبـــا به هم وأشـــجان
قلبا يجيش بمـــا يدعو الفخـــار له
وما تعــز به عجل وشيبـــان (١١٧)

ويقول من قصيدة أخرى كلها حنين وشوق الى وطنـــه وذكرى لأيام طفولته وشبابه :

هو الماء لكن فى لهـــاتى صـــاب
فهـــل لى للبحـــرين بعـــد اياب
سلام عليها ما استطالت بنـــا النوى
وما غـــرنا من ذا الزمـــان سراب

---

(١١٦) نفســه ص ٧٨ ٠

(١١٧) درر المعانى ج ٣ ص ١٢٢ ٠

فيا موطنا لو اســـتطيع فديتـــــه
بروحى ولو عندى عليه عتـــاب
ذرعت بلاد الله شرقا ومغـــربا
فمـــا طاب لى الا اليه مـــآب
احبك رغم الحـــــادثات فانه
يلام الفتى فى صـــده ويعـــاب
طريح فراش أثقل الهم قلبـــه
فيـــاليت حولى من ثراك تراب
اذا لاح من نحو المحـــرق بارق
حننت واضــنانى جوى وعذاب
وذكرنى قومـــا على أعـــزة
مدى الدهر ما عنهم هوى ومنـاب
هنـــالك ارباع الطفولة والصـــبا
واهل كرام حولهـــا وصـــحاب
فيا من يروينى بعذب عيونهـــا
فقـد ظمئت نفسى وعز شراب (١١٨)

والمعـــاودة بعد ذلك شـــديد الاعتزاز بنفسه ، والفخر بأرومته ٠ وقد لا يقل هذا الاعتزاز بالنفس والفخر بها عنده عن المتنبى فى ذلك :

أجل فانى من قوم اذا فخـــروا
فذكرهم فى الثريا أو لدى زحل (١١٩)

★ ★ ★

فنحن الألى مهمـــا تنكر دهرنا
علونا لأنا سادة للعلى حشـد (١٢٠)

★ ★ ★

---

(١١٨) لسان الحال ـ المعاودة ص ٨٥ ٠
(١١٩) القطـــريات ص ١٣٧ ٠
(١٢٠) نفسه ص ١٥١ ٠

ولى نفس حر لا تهـــون على الأذى
ولو أننى بين الأنـــام فقيـــر
فكم حاولوا ذلى وراموا اهـانتى
فأعجـــزهم رب أجـل قـــدير
نبذتهمو خلفى ويممت ســـيدا
بنعماه يشفى مدنف وكسير (١٢١)

* * *

ويطلبنى (موسى) كأنى تابـــع
لديه وانى ذلك الســـيد الفحل
اذا عرف الفضـــل المدل بفضله
على الناس هان الغير وانكشف الجهل
فدع ذا واصـــغاء لما أنا قائل
اذا كان عند النـــاس قد ينفع القول
أنا ابن الألى ماهان قـط ســـليلهم
وما وهنـــوا فى الحادثات وما قلوا
تركت بـــلادى أطلب العـــز والعلى
فأكرمت فى دار عواهلهـــا حلوا
اذا المـرء لم يأنف من الضيم والأذى
فما هو بالاكرام بين الورى أهل (١٢٢)

وربما تكون هذه الظاهرة بدأت واضحة فى شعر المعاودة بعد نزوحه لقطر وهى ظاهرة الفخر والاعتزاز بالنفس وذلك كرد فعل لاحساس داخلى يشعر به الشاعر ، بعد تركه لوطنه، ومصاحبته للأمير وتقيده بأوامره وتسخير شعره فى مدحه، فولد عند الشاعر شـــعور بالتبعية وهو من هو فى بلده ، ومكانته هناك : فأخذ الشاعر فى التنفيس عن هذا الشعور ، بالفخر بنفسه وبمكانته التى أحس بغروبها فى موطنـــه الجديد ..

---

(١٢١) قطريات ص ٨٩ .

(١٢٢) المصدر السابق ص ١٨٢ .

شـــــعره :

وللمعاودة مجموعة من الأشعار مطبوعة فى عدة دواوين، أولها ديوانه الذى أسماه (ديوان المعــاودة) وقد طبع عام ١٩٤٢ م ثم طبع ديوانه (لسان الحال) عام ١٩٥٢ م ببيروت، وهو يحتوى على بعض القصـــائد التى نشرت فى الديوان السابق · ومجموعة جديدة من القصائد · ثم طبع له بعد ذلك مجموعة من الأشعار فى كتاب درر المعانى بأجزائه الأربعة · وبعدها جمعت معظم أشعار المعــــــاودة التى نشرت فى الدواوين الســالفة الذكر فى مجموعتين جديدتين أسماهما القطريات ، ودوحة البــلابل · الأولى طبعت عام ١٩٥٧ م ببيروت والثـــانية طبعت عام ١٩٦٠ م فى بيروت أيضا · وهاتان المجموعتان أيضا تكررت بعض القصائد فيهما ·

وهناك مجموعة من القصائد التى نظمها حديثـــا ولكن أغلبها لم ينشر حتى الآن (١٢٣) ·

والشعر عند المعاودة تعبير عن أحاسيسه ومشــــاعره وأفكاره ·

وما الشـــعر الا ترجمان مشـــاعر
به كل خاف من جوانحنا يبدوا (١٢٤)

لذلك فلا غرابة أن نجد أن شعر المعاودة مهما حاول تكبيله فيما بعد بالمديح · الا أنه ظل مع ذلك ينم عن تلك المشــاعر القومية والوطنية ، ويدعو للاصلاح والتغيير ، ومقـــاومة الدخيل ، الذى عكر عليه صفوه وحرمه من أرضه ، وأشــقى بنى وطنه · فهو لا تسنح سانحة الا وتراه يعرج على التنديد بالدخلاء والمحتلين · ابان الاحتلال الانجليزى للمنطقة :

---

(١٢٣) توجد مجموعة من هذه القصائد فى المركز الثقافى

(١٢٤) القطريات ص ٩٥ ·

أجل اننى أحيا بدار نعيمهـــــــا
لغير بنيها فهى نهب بغـــــاة (١٢٥)

* * *

نوائح تبكى فى طلول « أوال »
وتندب ملكا ضـــائعا ومعــالى
مكثت بها خمسا وعشرين ساعة
لأشـــهد ما لم يخطرن ببـــــالى
رأيت سراة القـــوم فيهـــا أذلة
فيا للأسى من خطبهـــا المتـــوالى
رأيت بها حمر الخدود جحـــافلا
تقـــــوم ببطش منـــكر ونكال
بهـــا مصرع الأحرار فى رأد الضحى
بها الكل فى ضيق وأسوء حال (١٢٦)

والمعاودة فى ثورته على الواقع وما هو عليــه من تخلف فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصــادية لا يتوقف ذلك عنده فى حدود وطنه وبيئته بل يتعداه الى أفق أرحب ، حتى يشمل الوضع العربى بصفة عامة فتظهر عنـــده تلك الروح الوطنية والقومية الثائرة ، على الواقع المرير الذى يعيشه الوطن العربى ، وما فيه من تخلف سياسى واجتماعى واقتصادى ، ثم ما فيه من قلاقل ، وتنـــاحر على السلطة ، وخلافات بين الساسة والحكام .

ويصور الوضع العربى وحال الأمة وما هى عليـــه من تخاذل وضعف فى قصيدته التى نظمهـــا فى ذكرى ميلاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) قائلا :

يا خير هاد لقـــد تاهت مواكبنا
وقادنا بمهـــاوى الذل كل غبى

---

(١٢٥) المصدر السابق ص ٢٧ .

(١٢٦) المصدر السابق ص ١٧٤ .

تراثنا الضخم لم نحفظ نفائسه
وما أخذنا الى التجديد من سبب
ضعنا وضاع الذى قد خلفوه لنا
وما أضعنا سبيل اللهو واللعب
حتى غدونا أذلاء مقسمة
أوطاننا واكتسبنا حلة الرهب
ويح العروبة ان لم يحمها رجل
لم يغره المال أو زيف من الرتب
مجاهد فى سبيل الله ليس له
غير العلى وبناء المجد فى أرب
تبا لكل أنانى يعيش كما
قد شاء والغير فى جوع وفى سغب
ان ذل قومك فالذل الثقيل على
كتفيك رغم العقار الضخم والذهب
أفلاذ أكبادنا ضاقت بلا دهمو
عليهم وجناها كل مغترب
حتى غدت بابلا تكتظ أربعها
بكل وجه غريب النطق والنسب
ان السياسة قد أضحت فضائحها
مكشوفة لم تغب عن عين مرتقب
ولى الزمان الذى كنا نصدق ماقالوا
وجاء زمان الجد والنصب (١٢٧)

وازاء هذا الوضع المتردى الذى يحس به الشاعر فى كيان هذه الأمة نراه كثيرا ما ينطلق الى الماضى ليتغنى بأمجاد هذه الأمة عل ذلك يشحذ من همتها ، ويوقظها من غفلتها • ويأخذ بها الى الطريق الصحيح • لتستعيد مكانتها ، وقد ذكرنا أمثلة من ذلك للشاعر عند حديثنا عن شعر المناسبات وكيف أن الشاعر يستغل هذه المناسبات ، ويدعو الى

---

(١٢٧) القطريات ص ١٥٢ •

الاصلاح عن طريق التذكير بماضى الأمة : استمع اليـــه فى احدى هذه المناسبات وهى عودة الحاكم من أوربا : فيقارن بين التطور والتقدم الصناعى فى الغرب ، وبين حالة العرب، ثم يعرج على الماضى وأمجاده ليتخذوا منه عبرة ٠

ماذا رأيت بأوروبا ورونقهـــــا
وما خفى من مـــزاياها وما بانا
وللصناعة فيهـــا ما رأيت وكم
نالت بها فى مجال السبق رجحانا
كذلك العلم يا مولاى لحمتـــه
عز وكم ســـيد بالجهل قد هانا
والشرق استاذ أهل الأرض قاطبـــة
قدما ومنه استقوا علمـا وعرفانا
الأنبيـــاء على أرباعه خطـــروا
وفيـــه نذكر (آشـــورا) وكلدانا
حتى أتى سيد الدنيـــا وواحدها
ومن به شرف المعبـــود عدنانا
ســـارت جيوش معد فى كتائبهـــا
فحطمت فى ذرى اليرموك (ماهانا)
والقادســـية فيهـــا مجدنا عبق
يوم اقتحمنـــا لكسرى الفرس ايوانا
أجدادنا الصيد أعلام الفتوح وهم
للعلم كم شـــيدوا فى الأرض أركانا
وتلك آثارنا فى الأرض مـــــاثلة
وفى المـــآثر يلقى المـــرء برهانا
واليوم آن بأن نحيى القـــديم وأن
نعيد من مجدنا الموروث مابانا (١٢٨)
وأن نصـــارعهم بالعلم أجمعنـــا
وأن نحطم عـــدوانا وطغيـــانا

---

(١٢٨) القطريات ص ٧١ ٠

ان الشعوب اذا عز القديم بهـــا
لا يجملن بأن توليه نسيانا (١٢٩)

ولكن الشاعر قد يضيق ذرعا بهذا الواقع ، ويرى أنه لا جدوى من دعوته ومناداته بالاصـــلاح • فيشتد غضبه ، ويتحامل على أمته وما هى عليه من تخاذل ، وتأخر فتشتد حملته على الساسة ، ويعرض بالجامعة العربية : قائلا :

- الجامعة العربية -

تمخضت عن فأر فلا كنت يا جبل
ولا جادك الغيث الهتـــون اذا هطل
بنى العرب ما قول لديهم بنـــافع
اذا لم يؤيد منكم بعـــد بالعمـــل
وليس الأنانى بالـــزعيم وان غدا
بألقـــابه يزهو ويختـــال بالحلل
وجامعـــة فى مصر للعرب أصبحت
لها صوتهـــا الداوى ولكن بلا عمل
وفى مصر . . . .
. . . .
وفى اليمن . . . .
. . . .
وفى الأردن . . . .
. . . .
وفى . . . .
. . . .
وفى كل يوم خطبـــة بعد خطبـــة
لعـــزام فى جمع بعـــزام يحتفل

(١٢٩) القطريات ص ٧١ •

وفى كل قطر للعروبة مشكل
وجيش ولكن دهره يشتكى الشلل
ويفرض (برنادوت) فى الشرق حكمه
ولا ناقة كانت له فيه أو جمل
وما كان (برنادوت) الا صنيعة
فكيف على أمثاله يعقد الأمل
ويخلفه (الزنجى) من بعد قتله
وعمن تسود (الزنج) فى الناس لا تسل
أرى ديما حطت على كل مربع
من الشرق لكن غيثها قط ما هطل
فهذا نصيب العاجزين وحظهم
من العيش والمجد العظيم لمن عمل (١٣٠)

ويرى الشاعر عدم الجدوى من مناداته بالاصلاح ٠ وأن كل جهده يذهب هباء :

أقرأ اليوم من صحيفة أمسى
عبرا فى الحياة أعمق درسى (١٣١)
وأرى فى الوجود سفرا مليئا
من عظات تمحو جهالة نفسى
ليت شعرى والعمر يمضى جهارا
هل أرى من سعوده مثل نحسى
وأنا الحارث المجد بأرض
ضاع جهدى بها ولم أجن غرسى
كلما جزت فى الحياة طريقا
عدت من ذلك الطريق بنكسى

ويقول :

فلا تعجبوا فالحر يشجيه أن يرى
مكانته من غلطة الدهر - للعبد

---

(١٣٠) لسان الحال ص ٧٤ ٠

(١٣١) ديوان المعاودة ص ٤٨ ٠

ترفعت الا عن فعـــال زكيـــة
تبرهن عن فضلى وتنطق عن مجـدى
وأوقفت أشـــعارى على نصح أمتى
ولم أتبذل فى مقال ولا قصـــد
فكان جـــزائى أن أكون كما أرى
أحاول غرس الزهر فى الحجر الصلد (١٣٢)

وضيق الشاعر بواقع أمته ، ثم همـومه من الأمور التى جعلته يسترسل فى خمرياته ولهوه حتى ليذكرنا بخـمريات أبى نواس ولهو الخيام وعبث الحياة عندهما ، فالمعـــاودة يشير فى قصيدته التالية أنه لولا هموم الحياة ، ومآسيها لما لثم الخمر وتغنى بها :

هات الكؤوس ودع مقـال اللاحى
واطرد هموم النفس فى الاصباح
واذا حرمت من الغـرام نعيمـــه
فتـــأسى عنـــه بمستساغ الراح
هذا النســـيم تخطـــرت أمواجه
يهـــدى اليك تحيــــة الأرواح
فأشرب على ذكر الحبيب فانهـــا
ترياق هم بل ضـــماد جـــراح
يا كأسى لولا ما يجيش بخــــاطرى
ممـــا ألم وما يهيض جنـــاحى
ما كنت الثم بعد عاطـــرة اللمى
وجمالهـــا قـــدحا من الأقداح
فأنا الشـــجى كأننى طير الـــربى
عند الأصـــيل بوحدتى ونواحى
عرضت أقداحى لمنهطل الحيـــا
فكما وضعت أخذتهـــا أقداحى

(١٣٢) لسان الحال ص ٨ ·

أمــــا مــــآسى العيش فهى كثيرة
وهمــــومه تربو على الأفــــراح
يا جنــــة أبدلت بعد نعيمهــــا
نــــارا تلهب فى مهب رياح
الشــــوق يدفعنى اليك فأرعــوى
علما بأن القرب غير مبــــاح (١٣٣)

ويقول فى قصيدة أخرى مصورا الدافع له على السير فى هذا الاتجاه أيضا · عنوانها ـ مجد العرب السالف ـ :(١٣٤)

أغريدة الوادى أثرت لواعجــــا
فلا أسكت الرحمن غريدة تشــــدو
حنــــانيك هم قد الم بخــــاطرى
تجدده الذكرى ويضرمه البعــــد
تناغت حمامات الأراك عشــــية
فبت وفى قلبى لنــــار الجوى وقد
وادنيت من بنت الدهــــور زجاجة
لأشفى بها قلبا أضر به الجهــــد
عسى أن لى فى عالم الوهم سلوة
وأن لنفسى عن مطامعهــــا بد
فسقيا لأيام الوصال التى بهــــا
سقتنى حميا الحب ســــائغة هند
فان تجدينى فى العشيرة والحمى
غريبا ففى أرياضــــه ذبل الورد
وان تنــكرى الصبر الجميل فاننى
« فتى عربى ملؤ بردته مجــد »
أجل كم حدت بى نزعة بعد نزعة
الى المثل الأعلى فما أســعد الجد

---

(١٣٣) ديوان المعاودة ص ٤٩ ·

(١٣٤) ديوان المعاودة ص ٣٥ ·

وما الصبر عار للرجال وسبة
اذا لم يؤآت الدهر أو يحمد الجد

ولكننا نرى المعاودة ينساق فى خمرياته ، وغرامياته حتى يذكرنا بعالم النواس والخيام ، أو مجالس اللهو ، والقيان فى العصر العباسى :

وليلة ببريق الكأس نيرة
وبالحبيب الذى باللثم أحيانى
غراء بين ليالى العمر دانية
قطوفها ذات أسمار والحان
ناولته قال حسبى قلت خذ فرنت
الى بالعتب والتقريع عينان
وراح فى غفوة والكأس فى يده
بدران فى شكل بلور وانسان
فقلت يا أيها الغافى أفق فلقد
مضى من الليل يا نعسان ثلثان
وهاكها كعيون الديك صافية
واشرب لأنهل منها كأسى الثانى (١٣٥)

ويبلغ به التطرف فى هذا الاتجاه متأثرا بأبى العلاء والخيام : الى حد قوله : (١٣٦)

هامت الروح بواد من خيال
فتراءى لى من الحق ضلال
قلت وا ها نحن فى قيل وقال
قصرت أفهامنا عما يرام
غض طرفا وامشى هونا اننا
لم نزل فى غمرة من جهلنا

---

(١٣٥) المصدر السابق ص ٥٢ .

(١٣٦) المصدر السابق ص ٧٧ .

صـــاح أن الكون رمز عنـــدنا
كفراش نحن حول النـــار حام
أين هارون وأين النـــاصر
وزمـــان بذويهم عامـــر
أين قيس قبلهم بل عامـــر
قد أحيلوا للشـجيرات طعـــام
فالثم الـكوز فيـــا رب خزف
كان قبـــلا جسم هيفـــاء تحف
بعيـــون وقلوب تـــرتجف
حولهـــا وهى على عرش الغرام

وفى اعتقادى أن نظرة المعاودة الى الحياة بهذه النظرة أو فلسفته فيها ليست الا فورة شباب ، وهروبا من واقعه الذى ضاق به ٠

أما غزليـــاته فهى صـــورة تقليدية غالبا ـ على عكس الخمريات ـ فهو فى غزله لا يتعدى طرف اللسان الذى يتغنى بالحب ، ويبكى الوجد ، وليس لديه من ذلك شىء ٠ فالغزل عنده غزل اصطناعى ، ومعظم أوصافه وصوره مستقاة من الشعر العربى ـ وقد عرضنا لقصيدة غزلية له فى موضع سابق من بحثنا هذا ـ فأنت وتقرأ قصائده لا تحس بحرارة عاطفة ، ولوعة شوق ، وصـــدق معاناة ، وانما هى آهات متكلفة مصطنعة :

غـــرام سـما وحبيب هجـــر
فلله قلبى اذا مـــا ادكـــر
أظبى الفـــلاة عـلام النفـــور
وليس بكفى عصـــا أو حجـــر
تأمل تجدنى ـ عدتك الخطوب ـ
محبـــا على أمره قد صبر
فما شـــاقنى منك غير الحـديث
رقيق الحواشي وغير النظـــر

وانى أنا الشـــاعر المســتهام
ففيم الصـــدود وفيم الحـــذر
حبيبى تجنيك يذكى الشـــعور
ويفضـــح سرا بقلبى اســـتتر
وكم زرتنى محســـنا فى المنـــام
فجبرت قلبـــا عليـــك انكسر
واسعفتنى بالحـــديث الشـــجى
فـــذلك لى منك أقصى وطــــر
أعهـــد الصفاء عليك الســـلام
فقـــد جاء بعدك عهـــد الكدر
ترى هل تعـــود ليـــالى الحمى
وتلك العهـــود وذاك القمـــر
فقد ذقت ذرعا بهـــذ الصـــدود
وبت اراعى نجـــوم الســـحر
فهـــل بشر أنت فى قلبـــه
أم أنت خلقت بقلب حجـــر (١٣٧)

ففتور العـــاطفة ، والتـــكلف هو الذى دعاه أن يتكلف الأوصاف ، والمعانى الجافة التى لا تمت بصلة الى صـــدق عاطفة ، أو عمق تجربة عند الشـــاعر فى الحب . فهو لم يشتاق لمحبوبه الا لرقة أحاديثه ، وتلك النظرات فقط ... ! وهو ليس بكفه عصا ولا حجر . حتى يتهرب المحبوب منه . فهل هذه أوصاف تنم عن صدق عاطفة عند الشاعر . وقد فطن أحد النقاد الى تكلف الشاعر فى مثل هذه الموضوعات ، ومجـــاراته للأقدمين حين انتقد قصـــيدته الغزلية التى يقول فيها :

يا حبيبى هاك فأرشـــفها وهات
هاتهـــا من فمك المعســـول هات

(١٣٧) المصدر السابق ص ٥١ .

انمـــا ريقك والراح حيـــــاتى
ان فى ثغـــرك كاسى والمـــدام
ريقك الراح وصرف لا يطـــــاق
هو والصـــهباء لى كاسى دهاق
حلت النشـــوة منـــه والمـــذاق
فأسـقنى ما شئت يا أقصى المرام
يا بديــــع الحسن يا حلو الدلال
آه لو ترجع هاتيك الليـــــالى
عن يمينى أنت والدن شـــــمالى
حينما نار الهـوى كانت سلام (١٣٨)

يقول الناقد حول هذه القصيدة :

« فقل لى بربك أيها الصـــديق القـــارىء ماذا تجد فى البيت ـ الأول ـ معنى مكرر معـــاد تحت أثواب مهلهلة من الألفاظ ، وهذه هى الميزة الوحيدة التى يمتاز بها شـــاعرنا بعد أن يبتز تراث الشعراء الأقدمين ٠٠ » (١٣٩)

لعل هذه أهم الأغراض التى دار حولها شعر المعـــاودة فشعر المناسبات والمديح يأتى فى المقدمة ، وهذا يمتزج فيـه شعره الوطنى والقومى والتغنى بماضى المسلمين والعرب ٠ ثم يأتى بعده شعره العاطفى كالغزليـــات ثم الخمريات ٠ وللمعاودة بعض الروايات الشـــعرية أو التمثيليات ولكنها مفقودة منها : (رواية عبد الرحمن الداخل) والرشـــيد وشارلمان وسيف الدولة بن حمـــدان ، والمستعصم بالله ؛ جبلة بن الأيهم) (١٤٠) وبعد ذلك يبقى المعاودة شـــاعر الوطنية فى المقام الأول ٠ كما يقول صديقه الأديب الشـــاعر ابراهيم العريض فى تقديمه لديوان المعاودة (لسان الحال)

---

(١٣٨) المصدر السابق ص ٧٩ ٠

(١٣٩) ادب النثر المعاصر فى شرقى الجزيرة العربية د ٠ عبد الله المبارك ص ١٤٨

(١٤٠) لسان الحال ص ١٠٢ ٠

فبعد تقسيمه للشعراء الى فئات ثلاث شاعر يصور عصره وشاعر يصور بيئته ، وشاعر يصور نفسه · يقول : عن المعاودة (وأنت فلو سألتنى : من أى الفئات صاحبنا لقلت لك انه فى الوطنية هذا الشاعر الثانى · فانك لن تجد صورة صادقة لبيئة البحرين والعوامل التى تستفز شبابها وتحركهم كهذه الصورة التى يجلوها لك المعاودة فى مواقفه كلها ببيانه الرصين ···) (١٤١)

وبعد ماذا عن أسلوب المعالجة فى القصيدة عند المعاودة، وأين مكانته من التجديد ، والتقليد ؟

وخير وصف للمعاودة حول هذا الموضوع هو ما وصفه به كاتب مقدمة ديوانه « دوحة البلابل » الأستاذ (مارون عبود) حين قال : (كيفما اجلت نظرى فى الديوان خطرت أمامى قروم الشعراء التى يتنطح لمساورتها المعاودة ، هذا الشاعر القديم الجديد) ـ ولعل هذا أصدق ما قاله كاتب المقدمة فى كل ما قاله بعد ذلك ـ فالمعاودة شاعر تقليدى من حيث التزامه بالشكل الخارجى للقصيدة العربية التزاما تاما فى الأوزان والقافية · وهو بعد ذلك يتحامل على الشعر الحر ، أو الشعر المرسل · حيث يقول :

« بعض الجرائد والكتب الدورية تطالعنا بشعر خال من الموسيقى الشعرية والأوزان لشعراء محدثين يقولون عنه انه الشعر المنثور (أو مختل الأوزان ومضطربها) يسمونه بالشعر الحديث ··· » (١٤٢) ·

فهو لا يرضى عن هذا اللون من الشعر ، ويلتزم بالشكل التقليدى للقصيدة العربية · وقد جارى المعاودة القدماء وعارضهم فى مواطن عديدة من قصائده وخاصة المتنبى

---

(١٤١) نفسه ص ٧ ·

(١٤٢) لسان الحال ص ٦ ·

وأبى تمام ، وجرير (١٤٣) ، وهو أكثر تأثرا بشعراء العصر العباسى ، خاصة فى شعره العاطفى والخمريات كما أشرنا الى ذلك من قبل .

فمن قصائده التى جارى بها القدماء قصيدته الثائيـة التى جارى فيها قصيدة أبى تمام التى نظمها فى مدح مالك بن طوق ، ومطلعها : (١٤٤)

قف بالطلول الدارسـات علاثا
أضحت حبـال قطينهن رثاثا
قسم الزمان ربوعهـا بين الصبا
وقبولهـا ودبـورها أثلاثا

ويقول المعاودة فى معارضتها : (١٤٥)

قف بالربـوع وحيهن ثلاثا
أضحت على كر الدهـور رثاثا
واذكر هواك بهـا وعهدا نيرا
وأليـف روح لم يكن نكاثا
وأسكب دموعك فوقهـا والثم بها
تلك الطلول وقبـل الأجـداثا
لعبت بى الدنيـا وثم أغاثنى
من فى مرابعـه الأذى ماعاثا
ندب اذا ما جئتـه لعظيمـة
أحيـا الـرجا بجميله وأغاثا
يهب الجزيل ووجهـه متـألق
بالبشر لا كدرا ولا ملتـاثا

---

(١٤٣) أشار كاتب مقدمة دوحة البلابل الى ذلك ص ٢٢ الكتاب المذكور .

(١٤٤) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار - عبد الرحمن بن درهم ج ٢ ط دمشق ص ٣٦ .

(١٤٥) القطريات ص ٥٢ .

لا زلت بالمجـــد المؤثل والعــلا
سـورا لقومك شـامخا وغياثا
ما أنت الا ذلك الحــــر الذى
جعل العدى والحاســـدين بغاثا
وسليل أمجــاد كرام خلفــوا
غـرر المـآثر والفعـــال تراثا
أعلى يا زين العـــلا ومنـــارها
يوم الكريهـــة يخجل الدلهـــاثا
يسعى ونور الله فوق جبينــــــه
للمجـــد ما أبطـــا وما قد راثا
قطر بك ازدهرت وأقبل ســـعدها
وحبــــاك ربك خيرها ميراثا

فكلا الشاعرين وقف على الأطلال وحياها ، ولكن أبا تمام ذكرته الأطلال بالأحبة ، فبكى البين واشتكى ، وتغزل ووصف الحبيب . أما المعاودة فسرعان ما ترك الأطلال وعرج على الممدوح الذى أغاثه من نوائب الدهر ، وتلاعب الحيـاة به وبعد ذلك يتقـــاربان فى أوصـاف ممدوحيهما ، وان كان المعاودة أكثر تركيزا على ناحية الكرم والتقوى فى ممدوحه، ومال أبو تمام - بالاضافة الى الكرم - الى ابراز صـــفة الشجاعة ، وحمـــاية الذمار فى ممدوحه . وهذه صفات راجعة الى مدى تطابقها مع كل من الموصوفين ، فأبرز كل واحد منهما ما يراه فى صاحبه . ويبقى بعد ذلك اتفـــاق الشاعرين فى وصف آباء الممدوحين ، وهذه الصـــفات قد أطال فيها أبو تمام فى قوله :

لـكن قراكم صـــفحه من لم يزل
وأبوه فيكم رحمـــة وغيـــاثا
عف الازار تنـــال جارة بيتـــه
أرفـــاده وتجنب الارفـــاثا

عمــــــرو بن كلثوم بن مالك الذى
ترك الغلى لبنى أبيـــــــه تراثا

ردعوا الزمـــــان وهم كهول جلة
وســـــــطوا على أحداثه أحداثا

فى حين نجد أن المعاودة قد اختصر كل هذه الأوصـــاف والمعانى ، وأثبت كل المآثر والأفعـــال لآباء الممدوح فى بيت واحد حين قال :

وســـــليل أمجـــــاد كرام خلفوا
غرر المــآثر والفعــــــال تراثا

وبعد فقد امتاز أبو تمام بطول النفس وتنوع المعـــــانى وعمقها ٠ وفضيلة السبق فى ذلك ٠ وامتاز المعاودة فى حسن الصياغة وسلاسة اللفظ وسهولته والتركيز فى حشد المعانى والأفكار فى صورة موجزة ٠

وفى قصيدة أخرى نجده يعارض جريرا فى قصيدته التى نظمها فى مدح عبد الملك بن مروان ومطلعها :

أتصحو أم فؤادك غير صـــــاح
عشية هم صحبك بالرواح (١٤٦)

فيعارضه المعاودة فى قصيدته التى مطلعها : (١٤٧)

رويدا ما الفـــــؤاد بمســـــتباح
لغيرك رغم من هو فيـــك لاحى

(١٤٦) نزهة الأبصار - لابن درهم ج ١ ص ٢٢٢ ط دمشق ٠
(١٤٧) القطريات ص ٥٣ ٠

ومعارضاته ومجاراته للشعراء العباسيين وغيرهم كثيرة وواضحة فى أشعاره (١٤٨) .

أما بالنسبة للصور والأوصاف والمعانى فهى أيضا قسمة بين الجدة والتقليد سواء فى ذلك أشعار المديح والمناسبات ، أو غزلياته ، وان كانت الروح التقليدية هى الغالبة عليه خاصة بالنسبة للشكل الخارجى للقصيدة ، والصور والأوصاف .

أما أسلوب الشاعر فهو مشرق واضح سلس الألفاظ ، محكم التراكيب غالبا ، استمع الى هذه الرقة والسهولة على الرغم من النهج التقليدى للقصيدة يقول :

طربت وأشجانى نواح الحمائم
وانعش هذا القلب طيب النسائم
اذا نام ذو القلب الخلى فانني
بجنح الليالى السود لست بنائم
أظبى الفلا فى جيده ونفوره
لقد أسهرت عيناك مقلة نائم
رعى الله عهدا فى هواك كأنه
رؤى الليل قد مرت على ذهن حالم
غداة تساقينا كؤوسا من الهوى
وطابت ليالينا بغفلة ناقم
ورويت نفسى من لماه وأصبحت
جفون كلينا فى اشتجار الصوارم
ووسدتك اليمنى وارخيت أختها
على جسد حلو التقاطيع ناعم

---

(١٤٨) انظر المصدر السابق ص ٥٢ وما بعدها .
وانظر مقدمة دوحة البلابل للناقد مارون عبود .

فشـــاهدت بدرا باهرا وسط داكن
من الشعر مسدول الجدائل فاحم (١٤٩)

وهكذا فان معظم الصور والأوصاف عند المعاودة صـور وأوصاف ومعان تقليدية الا أنه امتاز فى صياغتها باسلوب سهل ومعان قريبة بعيدة عن التعقيد ، أو غرابة اللغـــة . أما ألفاظه فعربية فصيحة اذا استثنينا بعض ما ندمنهـا مخالفا للغة . ولكنه على أى حال كان متمكنا من صـناعة الشعر وقوافيه الطيعة .

نلاحظ بعد ذلك كثيرا من التـكرار فى بعض المعـانى والأوصاف التى تناولها فى شعره . كما أنه كان يجنح كثيرا الى الاسلوب الخطابى وعلى الأخص فى شعر المناسبات . وربما كان تكرار المعانى والأوصاف يرجع الى أنه رصـد معظم شعره لمدح شخص واحد وهو الشيخ (على بن عبد الله) فكان لهذا أثره فى تكرار الأوصاف ، وتشابه القصائد ، ثم ان اكثاره فى مثل هذه الموضوعات ، فى سبيل ارضـاء الممدوح هو الذى أدى به الى السطحية والابتذال فى بعض قصائده . حتى أصبح يلتقط الأوصاف وينظمها نظما :

أينعت كالزهر فواح الشـذى عبقا
وأنت أصبحت ضخما سيدا سامى
يا قرة العين يا زين الشباب ويا
سليل من هم لدى العلياء فى الهام (١٥٠)

ومهما يكن من شىء فان هذا الشـاعر يعتبر نمطا جيدا يمثل المدرسة المحافظة فى المرحلة الثانية من عصرنا الحديث . فهو شاعر كلاسيكى مجيد لا يسمو الى مرتبـة الفحـول ولا ينزل الى مرتبـــة التقليديين فى المرحلة الأولى التى درسناها .

---

(١٤٩) القطريات ص ٥٧ .

(١٥٠) درر المعانى ج ٣ ص ١٣٣ .

هذا الى ما تميز به من روح طموح ، ونفس ثائرة فيهـا قوة نفس المتنبى وطموحه ، واستعلاؤه وفخره ، وان لم يسمو الى مرتبته ٠

وفيه من روح أبى العلاء والخيام وأبى نواس ما أشرنا اليـــه ٠

« خاتمـــة »

حاولت فى هذه الدراسة أن أسجل حالة الأدب القطرى فى العصر الحديث وأن أتتبع مراحله وأطواره ومكانته من خط سير الأدب العربى فى العصر الحديث بصفة عامة ٠ ولعلى أستطيع أن ألخص أهم جوانب هذه الدراسة فيما يلى :

أولا : ألقيت الأضواء على تاريخ قطر الذى أهمل خاصة فيما يتصل بالماضي وصورت أحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأدبية كما اننى تناولت تاريخهـــا عبر العصور السابقة تمهيدا للحديث عن تاريخها المعاصر ٠

وبما أن هذه الأحوال كلها تختلف فى العصر الحـــديث تبعا للحالة الاقتصـــادية فقد كان لابد من أن أقسم البحث سياسيا وتاريخيا وأدبيا الى مرحلتين : مرحلة ما قبل النفط، ومرحلة ظهوره ٠

ثانيا : أما النثر الفنى فقد تتبعتـــه فى هاتين المرحلتين وكشفت عن ضعفه وفتـــوره فى المرحلة الأولى ، وذكرت أسبابها وسجلت بعض النماذج وحللتها مســتظهرا نواحي الضعف والخصـــائص التى تكشف عن ذلك ٠ على أنه كان نثرا محدودا ، ضيق الأفق الى الحد الذى نستطيع معه أن ننفى وجود نثر فنى بالمعنى الصحيح فى تلك الفترة ٠

أما المرحلة الثانية وهى التى أخذت النهضة الحديثة تظهر فيها فقد أخذ النثر الفنى يزدهر ويتأثر بالنثر فى الأقطـــار العربية الأخرى شكلا وموضوعا ٠ فقد تعددت اتجـــاهاته وتنوعت موضوعاته من مقال الى قصـــة الى مسرحية ، الى خواطر ذاتية ، وسرت اليه سمات المذاهب الحديثة فى الصور والأخيلة كما تحرر من قيود الصناعة اللفظية التي رسف فيها

قبل ذلك ٠ ولقد استعرضت بعض النماذج والصــــور لهذه الألوان وحللتها تحليلا أدبيا وقومتها تقويما فنيا ٠

ثالثا : أما الشعر فقد كان في المرحلة الأولى ضيق الأفق محدود الأغراض ضعيف الأسلوب ، يطغى عليه آنذاك الشعر الشعبى (النبطى) الذى دعانى الى الوقوف عنده وقفـــة قصيرة ٠

وحين ازدهرت الحياة المادية والعلمية ، والاعلامية فى قطر فى المرحلة الثانية أخذ الشعر ينتعش ويتجدد ويتأثر بما شاع فى العصر الحديث من اتجاهات وتيارات جديدة حتى وجدنا فى هذه الفترة النزعات الرومانســـية والرمزية الى جانب مدرسة محافظة تأثرت كذلك بالثقــافة الحديثة فقوى أسلوبها وتعددت موضوعاتها ٠

ولقد كشفت عن هذه الاتجاهات جميعهـــا مستشهدا لكل لون منها بالنمـــاذج التى أوضحت خصــــائصها بالتحليل والتقويم ٠

رابعا : ولم يفتنى أن أخصص بابا لدراسة تفصيلية تتناول أشهر أعلام الشعر فى كل من المرحلتين كنماذج للشــعر فى هاتين المرحلتين وهى دراسة كشفت فيها عن جوانب الأصالة أو التقليد والتحرر والتجديد كشفا واضحا مدعما بالشواهد والأمثلة والتقويم الفنى الذىاعتمدت فيه على جهدى المستقل وذوقى الخاص ٠

خامسا : ومع ذلك فأنا أزعم أننى منصف حين قررت فى غير موطن من هذا البحث أن النهضة الأدبية الحديثـــة فى الشعر والنثر فى المرحلة الثانية التى نعيشها الآن لا تعدو أن تكون محاولات لم تتبلور بعد ولم تبلغ ما بلغته النهضـــة الأدبية فى بعض الأقطـــار العربيـــة من قوة وازدهار واستقرار ٠

سادسا : وأخيرا فبحسب هذا البحث أنه دراسة جديدة وتسجيل جديد لأدب قطر من الأقطار العربية لم يكشف النقاب عنه من قبل ولم يتناوله قلم باحث من قبلي ٠ فعسى أن أكون قد وفقت في رسم صورة له واضحة المعالم والأبعاد ٠

والله الموفق للصواب ؟

« المصادر والمراجع »

١ ـ الأدب المعاصر فى الخليج العربى
عبد الله الطائى ط القاهرة ١٩٧٤ م

٢ ـ الأدب العربى المعاصر فى الخليج العربى (قسم الشعر)
د . عبد الله المبارك ط القاهرة ١٩٧٣ م

٣ ـ الأدب الشعبى فى جزيرة العرب
عبد الله خميس ط الرياض ١٩٥٨ م

٤ ـ أدب النثر المعاصر فى شرقى الجزيرة العربية
د . عبد الله المبارك ط القاهرة ١٩٧٠ م

٥ ـ أدباء الكويت فى قرنين
خالد سعود الزيد جـ ١ ط ٢ الكويت ١٩٦٧ م

٦ ـ الأغنية الشعبية فى قطر
محمد طالب الدويك ط الدوحة ١٩٧٥ م

٧ ـ الاقتصاد الكويتى القديم
عادل محمد العبد ط الكويت ١٩٧٧ م

٨ ـ أنت وغابة الصمت والتردد
كلثم جبر ط الدوحة ١٩٧٨ م

٩ ـ الالتقاء الحضارى وأثر البترول فى تغير الأسرة فى قطر
جهينة العيسى
« رسالة ماجستير » تقدمت بها لجامعة
القاهرة ـ كلية الآداب ـ قسم الاجتماع ١٩٧٥ م

١٠ - البحرين فى صدر الاسلام وأثرها فى حركة الخوارج
عبد الرحمن النجم ط بغداد ١٩٧٣ م

١١ - البحرين من ١٧٨٣ - ١٩٧٣ م
أمل الزيانى ط بيروت ١٩٧٣ م

١٢ - البترول والتغير الاجتماعى فى الخليج العربى
د. محمد غانم الرميحى ط القاهرة ١٩٧٥ م

١٣ - التطور السياسى لقطر من ١٨٦٨ - ١٩١٦ م
عبد العزيز المنصور ط الكويت ١٩٧٥ م

١٤ - التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية
محمد خليفة النبهانى ط ٢ القاهرة ١٣٤٢ هـ

١٥ - التيارات السياسية فى الخليج العربى
د. صلاح العقاد ط القاهرة ١٩٧٤ م

١٦ - الدولة السعودية الأولى
د. عبد الرحيم عبدالرحمن ط القاهرة ١٩٧٦ م

١٧ - الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية
جى . بى كيلى ترجمة خيرى حماد ط بيروت ١٩٧١ م

١٨ - الساعة والنخلة
خليل الفزيع ط الدوحة ١٩٧٧ م

١٩ - الشعر الكويتى الحديث
عواطف الصباح ط الكويت ١٩٧٣ م

٢٠ ـ الشعر المعاصر فى البحرين من ١٩٢٥ ـ ١٩٧٥ م
علوى الهاشمى
« رسالة ماجستير » كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٧٨ م

٢١ ـ العصر الجاهلى
د٠ شوقى ضيف ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ـ القاهرة ٠

٢٢ ـ العقد الثمين
من شعر ابن عثيمين ط الثانية مطـــابع العروبة ـ الدوحة ١٣٨٦ هـ

٢٣ ـ القضية العربية فى الشعر الكويتى
خليفة الوقيان ط الكويت ١٩٧٧ م

٢٤ ـ القطـــريات
عبد الرحمن المعاودة ط بيروت ١٣٧٧ هـ

٢٥ ـ النقد الأدبى الحديث
د ٠ محمد غنيمى هلال ط ٣ القاهرة ١٩٦٤ م

٢٦ ـ الولد التهائت
يوسف نعمة ط الدوحة ١٩٧٠ م

٢٧ ـ بستان الأكياس والأفراد من الناس
عبد الرحمن الخليفى ط مؤسســة دار العلوم ـ الدوحة ـ قطر ـ

٢٨ ـ تاريخ قطر العام
محمود بهجت سنان ط بغداد ١٩٦٦ م

٢٩ ـ تاريخ الكويت العام
د . أحمد أبو حاكمة ط الكويت ١٩٦٧ م

٣٠ ـ تاريخ آداب اللغة العربية
جورجى زيدان الجزء الأول ، ط دار الهلال ـ القاهرة

٣١ ـ تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء فى القديم والجديد
محمد عبد الله الأحسائى ط الرياض ١٩٦٠ م

٣٢ ـ تاريخ نجـــد
محمود شكرى الألوسى
الطبعة الأولى بغـداد ١٣٤٣ هـ
الطبعة الثانية القاهرة ١٣٤٧ هـ

٣٣ ـ تاريخ نجد وملحقاته
أمين الريحانى ط بيروت ١٩٦٤ م

٣٤ ـ جوانب من جغرافية قطر
د . صلاح بحيرى، ومضيوف الفرا ط عمان ۰۰۰۰ ؟

٣٥ ـ جمهرة أنساب العرب
ابن حزم ط الرابعة القاهرة .

٣٦ ـ جزيرة العرب فى القرن العشرين
حافظ وهبه ط القاهرة ١٩٦٧ م

٣٧ ـ حركة البعث فى الشعر العربى الحديث
د . ماهر حسن فهمى ط القاهرة ١٩٧٠ م

٣٨ ـ خواطر فى الفن والقصة
عباس العقاد ط بيروت ١٩٧٣ م

٣٩ ـ دليل الخليج
ج • ج لوريمر ترجمة وطبع الديوان الأميرى بقطر
الجـزء الثـالث من القسم التاريخى
والجزء السادس من القسم الجغرافى

٤٠ ـ درر المعانى فى مدح آل ثانى
أربعة أجزاء ط مؤسسة العروبة ـ قطر
جـ ١ ١٩٥٧ م ، جـ ٢ ٠٠٠٠ ؟ ، جـ ٣ ١٩٦٤ م
جـ ٤ ١٩٦٥ م

٤١ ـ ديوان السيد عبد الجليل الطباطبائى
نشر دولة قطر طبع بالقاهرة ١٣٨٥ هـ

٤٢ ـ ديوان الخليفى
ماجد بن صالح الخليفى ط قطر ١٩٦٣ م

٤٣ ـ ديوان الفيحانى
محمد عبد الوهاب الفيحانى ط دار الكتب القطرية
١٣٨٦ هـ

٤٤ ـ ديوان الشيخ قاسم بن محمد بن ثانى
مطابع قطر الوطنية الطبعة الخامسة ١٣٨٩ هـ

٤٥ ـ ديوان المعاودة
عبد الرحمن المعاودة ط ١٩٤٢ م

٤٦ ـ ديوان عمر بن أبى ربيعة
ط بيروت ١٩٥٢ م

٤٧ ـ دوحة البلابل
عبد الرحمن المعاودة ط بيروت ١٩٦٠ م

٤٨ ـ روض الخل والخليل
ديوان السيد عبد الجليل ط ٣ دمشق ١٩٦٤ م

٤٩ ـ فارس من قطر « قطرى بن الفجاءة »
ابراهيم يونس ط القاهرة ١٩٧٦ م

٥٠ ـ فن المقـــالة
د ٠ محمد يوسف نجم الطبعة الرابعة بيروت ١٩٦٦ م

٥١ ـ فن القصة القصيرة
د ٠ رشاد رشدى ط الثانية القاهرة ١٩٧٠ م

٥٢ ـ فن كتابة القصة
حسين القبانى ط الثانية عمان ١٩٧٤ م

٥٣ ـ فى النقد المسرحى
د ٠ محمد غنيمى هلال ط القاهرة ١٩٦٥ م

٥٤ ـ قطر ماضيها وحاضرها
مصطفى الدباغ ط بيروت ١٩٦١ م

٥٥ ـ قاموس الأنثولوجيا والفلكلور
ايكه هو لتكرانس
ترجمة د ٠ محمد الجوهرى
د ٠ حسن الشامى
ط دار المعارف ١٩٧٢ م

٥٦ ـ لمحات من الخليج العربى
محمد جابر الأنصارى ط البحرين ١٩٧٠ م

٥٧ ـ لقاء فى بيروت
يوسف نعمة ط بيروت ١٩٧١ م

٥٨ ـ لسان الحال
عبد الرحمن المعاودة ط بيروت ١٩٥٣ م

٥٩ ـ من الشعر القطرى
« ثلاثة دواوين ، الفيحانى ، الخليفى ، الكوارى »
الطبعة الثانية قطر ١٩٦٩ م

٦٠ ـ معجم البلدان
ياقوت الحموى (الجزء الثالث ، والسادس عشر منه)
ط بيروت ١٩٥٥ م

٦١ ـ مشاهير علماء نجد وغيرهم
الشيخ عبد الرحمن عبد اللطيف آل الشيخ
ط ٢ الرياض ١٣٩٤ هـ

٦٢ ـ مقدمة ابن خلدون
ط دار الشعب القاهرة ٠٠٠٠ ؟

٦٣ ـ نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والاشعار
عبد الرحمن عبد الله بن درهم
ط دمشق فى ثلاثة أجزاء ٠ والجزء الثالث من طبعة بيروت

٦٤ ـ وفيات الأعيان
ابن خلكان جـ٤ ط القاهرة ١٩٤٨ م

الصحف والدوريات ، والبحوث :

١ ـ التعليم العام فى قطر
(محاضرات مطبوعة) الدكتور كمال ناجى

٢ ـ الدليل الاعلامى العربى ـ قطر ـ ١٩٧٥ م

٣ ـ الشعر النبطى كمصدر لتاريخ نجد
بحث مطبوع على الاستنسل ـ قدم فى الندوة الأولى لدراسة تاريخ الجزيرة العربية ـ د · عبد الله عثيمين

٤ ـ الحصـــاد الثقافى
تحت اشراف نادى طلبة قطر · القاهرة ط ١٩٧٧ م

٥ ـ حصاد الموسم الثقافى ـ بأجزائه الثلاثة من ٧٢ ـ ١٩٧٧م
كتيبات عن المواسم الثقافية لوزارة التربية والتعليم بقطـــر

٦ ـ دليل قطر للتجارة والصناعة
مؤسسة كودكو ١٩٧٧ م

٧ ـ فهرس مطبوعات الشيخ على بن عبد الله
عن دار الكتب القطرية ١٩٦٧ م

٨ ـ قصـــائد معـــاصرة من شعر الخليج العربى بين الأصالة والتقليد
د · كامل عزيز ـ بحث قدم لجامعـــة البصرة فى الدورة التى نظمتها عن اللغة وآدابهـــا فى الخليج العربى عام ١٩٧٧ م

٩ ـ كتابات ـ الجزء الثانى
مجلة فصلية تهتم بانتاج الشباب من الكتاب والشعراء في البحرين

١٠ ـ من الوثائق التاريخية فى الديوان الأميرى
رسائل متبادلة بين حكام قطر وغيرهم

١١ ـ نهضة قطر ط ١٩٦٤

١٢ ـ مجلة الدوحة ـ الأعداد القديمة ، والجديدة

١٣ ـ مجلة العروبة

١٤ ـ مجلة العهد

١٥ ـ مجلة الخليج الجديد

١٦ ـ مجلة الجوهرة

١٧ ـ مجلة الفجر

١٨ ـ مسرحيات ـ مطبوعة على الاستنسل ـ منها :
(الأميرة والمغنى) (أم الزين) (باقى الوصية)
(هوبيل يا المال) عبد الرحمن المناعى
(السر المكتوم) لخليفة الكبيسى

١٩ ـ قصائد مخطوطة ، ومطبوعة لم تنشر
للجابر ، والمعاودة ، ومبارك بن سيف

٢٠ ـ يوم العلم الرابع عشر
كتيب عن وزارة التربية والتعليم ـ قطر ١٩٧٥ م

٢١ ـ نشرة مطبوعة حول التعريف بالمركز الثقافى ومهامه.

المقـــــابلات :

مقابلاتمع بعض الشعراء والمهتمين بالثقافة ، منهم:

١ ـ الشاعر أحمد يوسف الجابر

٢ ـ الشاعر عبد الرخمن قاسم المعاودة

٣ ـ الشيخ فالح بن ناصر الثانى

٤ ـ الأستاذ/ يوسف عبد الرحمن الخليفى

٥ ـ الأستاذ/ محمد جابر الأنصارى

٦ ـ الشيخ / عبد الله بن ابراهيم الانصارى ٠

فهـرس الموضـوعات

الصفحة

اهـــداء ١

مقدمة بقلم الدكتور/ ماهر حسن فهمى ٣

المقـــدمة ٩

البـــاب الأول

الحياة العــامة فى قطر ... ... ١٥ ـ ٩٣

الفصل الأول : قطر جغرافيا وتاريخيـا ١٧

قطر جغرافيـــا ١٧

قطر تاريخيـــا ٢٢

الفصل الثانى : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ... ... ٢٣ ـ ٤٩

الحياة الاقتصـــادية ٣٣

الحياة الاجتمـــاعية ٤١

الفصل الثالث : الحياة الثقافية ... ... ٥٠ ـ ٧١

التعليم فى قطـــر ٦٠

البعثـــــات ٦١

كليتا التربيـــة ٦٢

المكتبات العــــامة ٦٣

الأندية الأدبية والثقـافية ٦٥

المركز الثقـــــافى ٦٥

الصحافةالمحلية ودورها فىالحياة الثقافية والأدبية... ٦٧

مجلة العـــروبة ٦٧

مجلة الدوحة ٦٧

مجلة العهـــد ٦٨

الندوات والمحـــاضرات ٦٩

الصفحة

الفصل الرابع : الحركة الأدبية في قطر ... ... ٧٢ ـ ٩٣

المرحلة الأولى ٧٣

المرحلة الثانية ٨٢

أسباب تخلف الحركة الأدبية في قطر ٨٨

الباب الثاني

النثر الفنى ... ... ٩٥ ـ ١٥٠

الفصل الأول : النثر في المرحلة الأولى ... ... ٩٧ ـ ١٠٤

أولا : الرسائل ٩٨

ثانيا : النثر التأليفى ١٠٢

الفصل الثاني : النثر في المرحلة الثانية ... ... ١٠٥ ـ ١٥٠

أولا : المقالة ١٠٥

ثانيا : القصة القصيرة ١١٦

ثالثا : الأدب المسرحى ١٣٤

مسرحية أم الزين • لعبد الرحمن المناعى ١٣٦

مسرحية المغنى والأميرة • لعبد الرحمن المناعى ١٤٣

مسرحية السر المكتوم • لخليفة الكبيسى ١٥٠

الباب الثالث

الشعر القطرى الحديث ... ... ١٥٥ ـ ٢٤٦

الفصل الأول : المرحلة الأولى ... ... ١٥٧ ـ ٢٠٠

تمهيد ١٥٧

أغراض الشعر وخصائصه ١٦٠

فن المديح ١٦١

فن الرثاء ١٧٧

فن الغزل ١٩٣

الصفحة

أغراض وموضــوعات متفرقة ٢٠٠

الفصل الثانى : الشعر فى المرحلة الثــانية ... ... ٢٠٩ - ٢٤٦

أولا : المدرسة التقليدية ٢١٠

أغراضها وخصائصها ٢١١

١ - شعر المناسبات ٢١٢

٢ - فن الرثاء ٢٢٧

أغراض أخــرى ٢٣٥

ثانيا : الحركة التجديدية أغراضها واتجاهاتهـا ... ٢٤٣

تمهيــــد ٢٤٣

الأغراض والاتجاهات فى نتاج هؤلاء الشباب ٢٤٦

الفصل الثالث : الشعر النبطى (نبذة) ... ... ٢٦٤ - ٢٩٦

١ - الشيخ قاسم بن محمد (شــعره) ٢٦٩

٢ - الفيحـــانى ٢٧٥

٣ - سعد الشاعر (حيــاته) ٢٨٧

(شـــعره) ٢٨٩

ومن شـــعراء النبطى ٢٩٨

البــاب الرابع

التراجم ... ... ٢٩٩ - ٣٤٩

من أعلام الشعر فى قطر ٢٩٩

تمهيـــد ٣٠١

١ - الطباطبائى : نسبه وحياته ٣٠١

ثقـــافته ٣٠٣

شـــعره ٣٠٦

٢ - ماجد بن صالح الخليفى ٣١٠

الصفحة

ثقـــــافته ٣١٠
صـــــفاته ٣١١
شـــــعره ٣١٤

٣ ـ ابن عثيمين ٣٢٥
صلة ابن عثيمين بقطـر ٣٢٦
شـــعر ابن عثيمين ٣٢٨

٤ ـ أحمد يوسف الجـــابر ٣٣١
حيـــــاته ٣٣١
ثقـــــافته ٣٣٥
شـــــعره ٣٣٥

٥ ـ المعـــــاودة ٣٤٣
ثقـــــافته ٣٤٤
شـــــعره ٣٤٩

الخاتمـــــة ٣٦٩

المصـــــادر ٣٧٣

تصـــويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٦	١٠	ابن	بن
٢٨	١١	البرتغاليون	البرتغاليين
٢٨	١٥	يلقى	يلق
٤٣	٢٠	أوقات	أوقاتا
٦٥	٩	وايقاض	وايقاظ
٧٥	٢٥	أنه	أنه لم
٧٩	١٣	مبتدء	مبتدئا
٨٥	٢٤	تهفوا	تهفو
١١٧	٤	جانب	جانبا
١٢٢	٩	تبقى	تبق
١٢٣	١	لفضه	لفظه
١٢٣	٨	يؤدى	يؤد
١٣٠	١٨	بدمينتى	بمدينتى
١٥٠	٢٨	رصـــد	رصدا
١٥٧	٢٦	تحظى	تحظ
١٦٦	١	جنّيناه	جنيْناه
١٧٣	٦	بخلتْ	بخلتَ
١٧٤	٩	أزال	أزل
١٧٩	٩	الوداد	الود وداً
١٩٢	٩	نَيَطَت	نِيطَتْ

رقم الايداع بدار الكتب ٣٢٢٠ لسنة ١٩٧٩

المطبعة الفنية الحديثة
٤٠ شارع الأصبغ الزيتون ت ٨٦٤٨٧٦

